# آداب الطريقة وأسرار الحقيقة

## في

## رسائل الشيخ عبد الرزاق القاشاني

المتوفى ٧٣٠ هـ

تحتوي على الرسائل التالية



ضبطها وصححها وعلق عليها

الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي

الحسيني الشاذلي الدرقاوي




منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

# آداب الطريقة

# وأسرار الحقيقة

## في

## رسائل الشيخ عبد الرزاق القاشاني

المتوفى ٧٣٠ هـ

يحتوي على الرسائل التالية




ضبطها وصححها وعلق عليها

الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي

الحسيني الشاذلي الدرقاوي



منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية بيروت لبنان

منشورات محمد علي بيضون



دار الكتب العلمية



الطبعة الأولى
٢٠٠٥ م - ١٤٢٦ هـ

منشورات محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

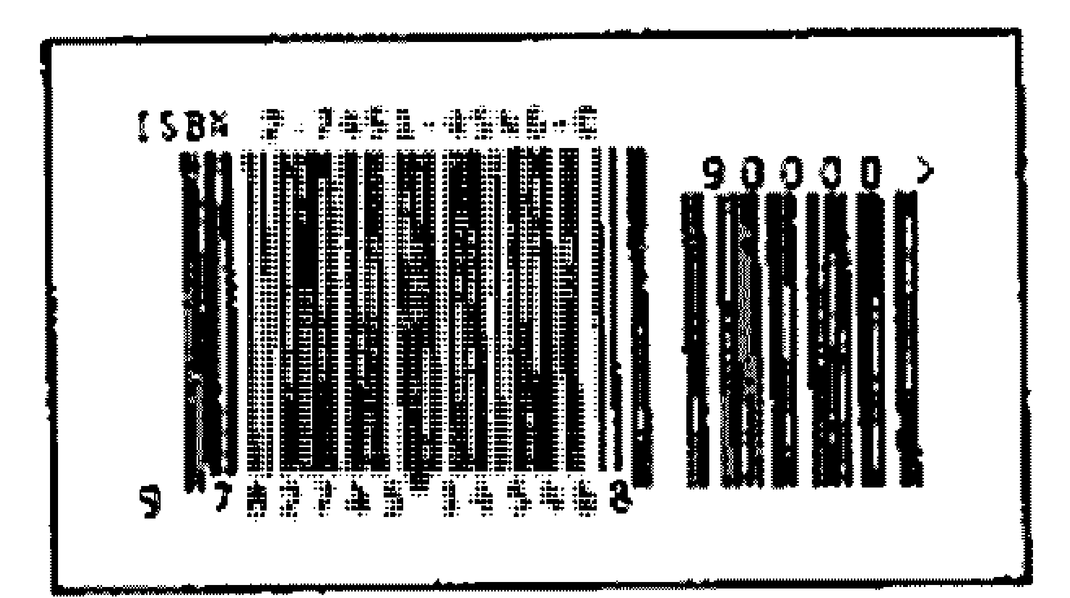
Mohammad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

الإدارة: رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
Ramel Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg., 1st Floor
هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ (٩٦١ ١)

فرع عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
Aramoun Branch - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
هاتف: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢ (٩٦١٥)
فاكس: ٨٠٤٨١٣ (٩٦١٥)
ص.ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
رياض الصلح - بيروت ١١٠٧٢٢٩٠

http://www.al-ilmiyah.com
e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun-ilmiyah.com

الكتاب: آداب الطريقة وأسرار الحقيقة
ᵓĀDĀB AṬ-ṬARĪQAH
WA-ᵓASRĀR AL-ḤAQĪQAH
المؤلف: الشيخ عبد الرزاق القاشاني
المحقق: الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي
الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت
عدد الصفحات: 200
سنة الطباعة: 2005 م
بلد الطباعة: لبنان
الطبعة: الأولى





## تقديم

بسم الله المعبود بحق واجب الوجود الأزلي الأبدي، المستغني عن كل ما سواه والمفتقر إليه كل ما عداه، الأول الباطن بهويته وكنزيته وذاته، والآخر الظاهر بأسمائه وصفاته، ليس كمثله شيء من حيث أحديته وهو السميع البصير من حيث واحديته، كان ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان، والكائن معه ثابت بمعيته تعالى له لا بنفسه، ومن لا وجود لذاته من ذاته فوجوده لولاه عين محال، أول في عين آخريته وظاهر في عين بطونه وباطن في عين ظهوره، لا يتصوره عقل ولا يدركه فهم ولا يعرفه غيره. خلق الأشباح لعبادته وخلق الأرواح لمشاهدته. أجرى ذكره على ألسنة أحبابه فكان هو الذاكر والمذكور وتجلى ببصر وسمع أوليائه فكان هو الشاهد والمشهود والسامع والمسموع.

وصلى الله على عبده وخليله وحبيبه ورسوله المبعوث رحمة للعالمين الحسية والمعنوية الملكية والملكوتية، الكون الجامع والمجلى الكامل والقدوة الحسنة للإنسان الخليفة في أرض ناسوت جسمه وسماء ملكوت قلبه وجبروت حقيقة روحه بما جاء له به من إسلام وإيمان وإحسان: شريعة وطريقة وحقيقة.

وعلى آله الطيبين الطاهرين من التعلق بسراب الأغيار الفانية المتحققين بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾ [النور: الآية ٣٩]، وقوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: الآية ٢٧] وعلى أصحابه الأخيار المتحلين بأنوار مقامات نبيهم المختار الجامعة للتجليات الآفاقية والأنفسية، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت: الآية ٥٣].

وبعد، ففي إطار كتب التصوف الإسلامي التي نقوم بتحقيقها وتنقيحها وتصحيحها ونشرها بأبهى حلة خدمة للركن الثالث من أركان الدين الإسلامي الذي هو مقام الإحسان؛ مقام: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك». نقدم للقراء عدة رسائل صوفية للشيخ عبد الرزاق القاشاني المتوفى سنة ٧٣٠هـ جمعناها في كتاب أسميناها «آداب الطريقة وأسرار الحقيقة في رسائل الشيخ عبد الرزاق القاشاني» وهذه الرسائل هي التالية:

١ ـ تحفة الإخوان في خصائص الإخوان.

٢ ـ رسالة في القضاء والقدر.

٣ ـ بيان مقدار السنة السرمدية وتعيين الأيام الإلٰهية.

٤ ـ الرسالة المعادية.

٥ ـ السّوانح الغيبية والمواهب العينية.

٦ ـ شرح حديث الحقيقة.

٧ ـ الرسالة العرفانية.

٨ ـ في بيان قول النبي ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمٰن».

٩ ـ في اتحاد الذات مع الصفات أو تغايرهما.

١٠ ـ في التلفيق بين الحديثين.

١١ ـ في الجمع بين الحديثين.

١٢ ـ ما الرابطة بين الحق والعبد.

١٣ ـ في بيان المراد بما وقع في كلام المحقّقين من ذكر الوجه والشَّعر لمحبوبهم.

١٤ ـ في شرح مسألة البسائط والأعراض.

١٥ ـ في سبب تعلُّق النفس بالبدن.

١٦ ـ في ما يتعلق ببطون الآية الكريمة: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ [الأحزاب: الآية ٧٢].

١٧ ـ في تقسيم السلاك إلى الله إلى أربعة أقسام.

١٨ ـ في العلم الاستدلالي.

١٩ ـ إن جميع الموجودات مرايا وجه الحق سبحانه وتعالى.

٢٠ ـ في تحقيق ما فعل آصف بن برخيا من حصول عرش بلقيس عند سليمان عليه السلام.

٢١ ـ تعليقة على المفصل في علم العربية.

ومما لا شك فيه أن كتب التصوُّف الإسلامي تساعد المُريد على الاطلاع على الأحوال والمقامات، التي يمرّ بها السالك إلى الله تعالى، كما يطّلع على الحكم والقواعد الصوفية، التي يستلهم منها كيفية التحقّق بأحكام مقام الإسلام وأنوار مقام الإيمان، وأسرار مقام الإحسان، وصولاً إلى قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: الآية ٩٩]. كل ذلك بإشراف ورعاية وتربية شيخه العالِم بأمراض النفوس والقلوب؛ وبالأدوية الشافية له من هذه الأمراض، لأنه ورث عن النبي ﷺ علوم وأسرار مقامات الدين الثلاث: الإسلام والإيمان والإحسان، الشريعة والطريقة والحقيقة، المُلْك والملكوت والجبروت؛ مصداقاً لقوله ﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء»، وقوله ﷺ: «إن هذا العلم دين فانظروا عمّن تأخذون دينكم».

ونرجو الله تعالى أن ينفعنا والمسلمين بما في هذه الكتب من الحب والإخلاص والصدق واليقين ومن أنوار أسرار ما تعبّدنا الله به على لسان نبيّه ﷺ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: الآية ٢١]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: الآيتان ٣، ٤]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء: الآية ٦٩] لننال السعادة الحقيقية المتمثّلة بمعرفة الله تعالى في الدنيا، والنظر إلى وجهه الكريم في الآخرة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: الآيتان ٢٢، ٢٣].

كتبه الشيخ الدكتور

عاصم إبراهيم الكيالي الحسيني

الشاذلي الدرقاوي

# ترجمة المؤلف الشيخ القاشاني

٠٠٠ ــ ٧٣٠هــ/ ٠٠٠ــ ١٣٣٠م

هو الشيخ العارف بالله تعالى (جمال الدين) عبد الرزاق بن (كمال الدين) أحمد بن أبي الغنائم محمد الكاشي أو الكاشاني أو القاشاني، عالم ومفسّر وصوفي كبير من علماء الشريعة والحقيقة. مجهول تاريخ الولادة، وتوفي ببغداد سنة ٧٣٠ هجرية.

من شرّاح «فصوص الحكم» للشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي الحاتمي ومن الجامعين للمصطلحات الصوفية. ترك مؤلفات عدة، منها:

- «شرح منازل السائرين» للهروي (نقوم بتحقيقه)، وهو من أهم المصادر التي تتحدث عن المقامات القلبية والروحية الملكوتية والجبروتية التي يمر بها السالك إلى الله تعالى.

- «شرح تائية ابن الفارض» في الحقائق الإلٰهية. وتعتبر تائية ابن الفارض من أهم التائيات التي نظمتها الصوفية في التعبير عن مراتب التجليات الإلٰهية.

- «لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام» وهذا الكتاب من أهم وأوسع الكتب في علم المصطلحات الصوفية التي يتداولونها فيما بينهم وقد قمنا بتحقيقه ونشره في الدار ويقول عنه مؤلفه: «إني لما رأيت كثيراً من علماء الرسوم ربما استعصى عليهم فهم ما تتضمنه كتبنا وكتب غيرنا من الكتب والأسرار التي يشير إليها المحققون العالمون بالله من أكابر شيوخ الصوفية... أحببت أن أجمع هذا الكتاب مشتملاً على شرح ما هو الأهم من مصطلحاتهم، وما تواطؤوا عليه من الألفاظ والألقاب التي يعبرون بها عما يتداولونه بينهم من علومهم الإلٰهية وأسرارهم الشريفة الربانية، وما به يفهم بعضهم عن بعض كما جرت عليه عادة أهل كل فن». والكتاب قمنا بتحقيقه.

- وله كتابان آخران في اصطلاحات الصوفية أحدهما يسمى «اصطلاحات

الصوفية» والثاني «رشح الزلال في شرح الألفاظ المتداولة بين أرباب الأذواق والأحوال» وقد قمنا بتحقيقهما أيضاً.

ـ وله أيضاً: «كشف الوجوه الغر والسراج الوهاج في تفسير القرآن» و«تأويلات القرآن» و«رسالة في القضاء والقدر».

# تحفة الإخوان

# في

# خصائص الفتيان

بسم الله الرحمن الرحيم

## وبه ثِقتي وعليْهِ اعْتِضادي

الحمد لله الذي زيَّن نفوس الفتيان بزينة الفضائل، وشرَّفهم بمحاسن الشِّيم والشمائل، حتى حمدوه حقّ حمده بالغدوات والأصائل، حيث استعانوا بالنِّعم الجلائل على السير الجمائل. والصلاة والسلام على المنتجب من أكرم القبائل محمَّد الهادي للخلائق بأوضح الدلائل؛ وعلى آله السابقين بالمكرمات على الأواخر والأوائل، خصوصاً فتى العرب الباذل بغير المسائل، أسد الله الغالب عليّ بن أبي طالب، صلاةً هي أفضل الوسائل.

وبعد، فقد التمس منّي مَن وجبت طاعته وكملت براعته، وهو الشيخ العالم العارف الكامل المحقِّق مقدّم الطائفة الصوفيّة، مقتدي الملَّة المحمديَّة، وارث الفتوّة والولاية، أهل البداية والنهاية، بقيّة السّلف نقاوة الخلف، رضيّ الملَّة والدِّين، عماد الإسلام والمسلمين، علي بن يحيى بن محمد بن الشيخ الكبير شهاب الحقّ والدِّين عمر السهرورديّ قدَّس الله أرواح الماضين وأدام بركة الباقين، أن أملي مما حضرني رسالة في الفتوَّة، فرأيت إجابته عن لوازم المروّة، وإن كنت فيها عديم المنّة ضعيف القوّة!.

فأسعفته بذلك مع قصر الباع وخور القدم، فإنَّ القليل خيرٌ من العدم، وسمّيتها: «تحفة الإخوان في خصائص الفتيان»، ورتّبتها على مقدّمةٍ وعشرة أبوابٍ وخاتمةٍ.

أمّا المقدّمة فمشتملةٌ على ثلاثة فصولٍ.

## الفصل الأوّل

# في بيان حقيقة الفتوّة

اعلم! أن الفتوّة عبارةٌ عن ظهور الفطرة بصفائها ولطافتها وغلبتها على مقتضى النّشأة بقوّتها وسلاطتها، وهي صفةٌ تابعةٌ لاستعداد الكمال، لازمةٌ للفطرة السليمة الإبراهيمية التي قال الله تعالى فيها: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾ [الشعراء: الآية ٨٩].

فإنَّ الفطرة الإنسانية متى سلمت من آفات دواعي النفس وصفاتها، وصفت وأشرقت وتجرّدت عن الغواشي الطبيعية والعلائق البدنيّة، واستعدّت لكمالها واشتاقت إلى غايتها وقهرت النفس وقمعت غلباتها وكسرت سورتها ومنعت وثباتها، وانخلعت عن الأمور الماديّة والأوصاف الدّنيّة، وارتفعت بهمّتها العالية إلى المراتب السنيّة والمقامات الشريفة، وارتقت عن حضيض الملابس الشهويّة والغضبيّة إلى ذروة الفضيلة الإنسيّة، وأنفت من كل خلق دنيّ وقصدت كل خلق سني وأبت الدّنايا والرذائل وشغفت بالمكارم والفضائل، حصلت المروّة، وإذا أحرزت الفضائل المنسوبة إلى العفة والشجاعة وأحكمت أساس الهداية والعدالة، حصلت الفتوّة. فالمروّة سلامة الفطرة وصفائها، والفتوّة حليتها وبهاؤها. وهي مبنى الولاية وابتداؤها، كما أنّ المروّة مبنى الفتوّة وأساسها، فمن لا مروّة له لا فتوّة له ومن لا فتوّة له لا ولاية له، إذ المروّة تنبيء عن اتصال العبد بالحق بوصلة صحة الفطرة؛ ولهذا قال النبي عليه السلام: «أقيلوا ذوي المروءات عثراتهم فإنه لن يعثر منهم عاثرٌ إلاّ ويده بيد الله يرفعه»[1].

ومدارها العفاف، فإذا تمَّ العفاف تمّت المروّة، والفتوّة تشعر بالقرب ومدارها الشجاعة. فإذا تمّت الشجاعة، تمّت الفتوّة، والشجاعة لا تتمّ إلاّ باليقين الموجب

(١) روي بألفاظ أخرى متقاربة منها ما رواه البيهقي في السنن الكبرى، باب السارق توهب له السرقة، حديث رقم (١٧٠٠٦) [٨/ ٢٦٧] ولفظه: «أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلاّ حداً من حدود الله». ورواه الدارقطني بهذا اللفظ، كتاب الحدود، حديث رقم (٣٧٠) [٣/ ٢٠٧] ورواه غيرهما.

للأمن. فإن الشك يلزمه الخوف.

قال الله تعالى في وصف أرباب الفتوّة: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾ [الكهف: الآيتان ١٣، ١٤] أي: ﴿ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾ [الكهف: الآية ١٣] بمقتضى صفاء الاستعداد وسلامة الفطرة ونور الهداية الأصليّة، ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣]: وفقناهم لطلب اليقين، ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [الكهف: الآية ١٤]: قوّيناها وصبرناها على هجر النَّعيم والأوطان والفرار بدينهم بالمسافرة إلى بعض الغيران وشجّعناهم على القيام بكلمة التوحيد والتظاهر بالإسلام ﴿إِذْ قَامُوا﴾ [الكهف: الآية ١٤] بين يديّ الجبّار دقيانوس من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم ﴿فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الكهف: الآية ١٤].

روي أن أهل الإنجيل فسقوا، وطغت ملوكهم، فعبدوا الأصنام، وأكرهوا على ذلك، وممَّن شدّد في ذلك دقيانوس، أراد فتيةً من أشراف قومه بذلك وتوعّد عليه القتل، فأبوا إلاّ الإيمان بالله والتوحيد وهربوا إلى الكهف ـ كما هو المشهور من قصتهم ـ.

وتحقيقه إذا انجرت الفتوّة ـ أي: الولاية ـ إنهم ﴿ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾ [الكهف: الآية ١٣] إيماناً يقينياً علمياً بطريق الاستدلال أو على سبيل المكاشفة ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣] أي: هداية إلى عين اليقين ومقام المشاهدة ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [الكهف: الآية ١٤] قوّيناها بالصبر على المجاهدة وهجر المألوفات الجسمانية والملاذ الحسيّة وشجّعنا على محاربة الشيطان ومخالفة النفس والهوى ﴿إِذْ قَامُوا﴾ [الكهف: الآية ١٤] بكلمة التوحيد بين يدي جبّار النفس الأمّارة بالسوء من غير مبالاة بها حين عاتبهم على ترك طاعة إله الهوى ودعتهم إلى عبادة صنم الجسم، فنفوا إلٰهية الهوى، وأنكروا عبادة صنم الجسم، بقولهم: ﴿لَن نَّدْعُوَا مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ [الكهف: الآية ١٤] ـ قولاً ذا شطط، أي: ذا إفراطٍ وإبعادٍ فيه ـ ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: الآية ١٣].

## الفصل الثاني

## في بيان منبعها ومظهرها

لما تقرَّر أن الفتوّة مبنى الولاية وأساسها، فحيث ظهرت الولاية كملت الفتوّة، لأن نهايتها بداية الولاية، كما أن نهاية المروّة بداية الفتوة، إذ طريق الولاية أخلاق ومعاملاتٌ وأحوالٌ ومكاشفاتٌ وعلوم ومشاهدات تنتهي إلى الفناء في الله. وطريق الفتوّة تجرُّد الأخلاق والمعاملات، وينتهي إلى خلاص الفطرة عن قيد الجبلّة، ولمّا خلصت الفطرة حصلت البغية. إذ الفضائل لازمةٌ لها ذاتية والرّذائل خارجة عنها عارضيّة. وينبىء عنها قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ﴾ [البقرة: الآية ٢٨٦]. فإن الاكتساب اتخاذٌ بالقصد والنّية، والكسب حصول كيف اتّفق؛ فالخيرات نافعةٌ لها كيف ما حصلت، لأنها مقتضياتها ولوازمها عند التجرُّد والشرور لا تضرّها إلاّ إذا توجّهت إليها بالقصد واتخذتها لنفسها وإلاّ مُحيت عنها وذهبت لأنها عوارض غريبة عنها وعن عاملها صاعدةٌ إليها من ظلمات النفس ومعادن الرّجس.

وأوّل نقطة الولاية ومفتتحها ـ الذي انتشر منه الوحدة وظهر عليه الفتوّة والولاية ـ هي النفس المقدّسة الإبراهيمية، إذ كان إبراهيم خليل الله عليه السلام أول من تجرّد عن الدنيا ولذاتها وتخلّى عن زينتها وشهواتها واعتزل عن أبيه وقومه وتحمّل المشاق والمتاعب في محبّة ربّه وهاجر إلى الله عن الأهل والأعزّة والأوطان والمألوفات الملذّة وصبر على الغربة والمجاهدة وتشجّع بكسر الأصنام ومخالفة الأقوام حتى شهد له أعداؤه بالفتوّة، كما حكى الله تعالى عنهم بقوله: ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنبياء: الآية ٦٠].

«والـفـضـلُ مـا شـهـدَتْ بـهِ الأعـداءُ!»

فهو منبع القوة ومظهرها باطناً وظاهراً، ومؤسّس قواعدها ومشيّدها أوّلاً وآخراً، ولهذا سنّ الضيافة والقرى، ونذر أن لا يأكل وحده إلى أن يتوفّى، وبلغ من فتوّته إلى المباشرة لذبح الولد والخروج عن جميع المال عند طيب الخلد بسماع ذكر الخليل وتحقيره في جنب تعظيم اسمه الجليل.

وقطبها الذي قام به اعوجاج أمرها واستوى انحناء ظهرها هو مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، رضي الله تعالى عنه، إذ بلغ من الزهد والورع ما بلغ ووصل من الشجاعة والجلد إلى ما وصل وآثر الطعام بعد طيّ ثلاثة أيام حتى نزل فيه ما نزل من قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الإنسان: الآية ٨].

وفدى النبي بنفسه ليلة الخروج من مكة وأسلم نفسه إلى من طلب دمه مكتوفاً وبذل روحه في محاربة أعداء الدِّين لوفور ثباته وقوّة كماله في اليقين، حتى قال فيه جبرائيل عليه السلام: «لا فتى إلاَّ علي»[١].

فنسبة فتوَّة إبراهيم عليه السلام إلى فتوَّة علي رضي الله عنه نسبة ذبح الولد إلى فداء النفس، ويختمها خاتم الولاية ـ أعني: المهديّ ـ في آخر الزمان رضوان الله عليه ـ كما أنَّ أول نقطة النبوَّة هو آدم صفيّ الله عليه السلام. وقطبها إبراهيم خليل الله عليه السلام، المأمور باتّباعه فيها، وخاتمها محمدٌ حبيب الله ﷺ.

فنسبة فتوّة أمير المؤمنين رضي الله عنه إلى فتوّة إبراهيم صلوات الله عليه كنسبة نبوَّته إلى نبوَّة آدم صلوات الرحمٰن عليه. فكل من ثبت له قدمٌ فيها أو نبض له عرق بها فقد رشح عليه ما طفح منه وفاض إليه ما جرى عنه، ويلزمه اتّباعه والاقتداء بهداه والاستمداد من روحه المقدّسة والاستفاضة من نفسه المطهّرة حتى يستعد بمناسبة ما لقبول بعض أحواله ويستفيد بقوة محبّته لمعةً من أنواره فيكمل فيها بحسب استعداده ويبلغ نهاية مقصده ومراده عند رسوخ وداده بعد كمال طاعته وانقياده، والله أعلم!.

(١) لم أعثر على نسبة هذا المثل السائر لسيدنا جبريل عليه السلام.

## في مبادئها ومبانيها

لما تبيَّن أن الفتوَّة هي بروز نور الفطرة عن حجاب القوّة إلى مشهد الفعل، فمبادئها الأمور المزكّية للنفس، المصفية للقلب من الآداب الحسنة والأفعال الجميلة والشمائل المرضيّة والعادات المحمودة والدواعي الجيّدة والآراء الصائبة والنيّات الصادقة، وكل ما حذّر مِن الرذائل وجنّب من أفعال السّباع والبهائم ورفع الحجب الظلمانية النفسانية وكشف الحقائق النورانية الإيمانية.

وعنوان شأنها الحياء، وهو: حصر النفس خوف ارتكاب القبائح، فإنه يدل على نجابة جوهر النفس وسلامة الفطرة في الأصل وقوّة التميز بين الحسن والقبح والاستنكاف من القبيح والانبعاث إلى الحسن؛ كأنها لصفاء استعدادها شاعرةٌ بنقصانها هاربةٌ من الرذائل، طالبةٌ للفضائل، ولهذا قال النبي عليه السلام: «الحياء من الإيمان»[1]، وقال أمير المؤمنين رضي الله عنه: «من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه»[2]. وقال الشاعر:

لَعمْرُ أبيكَ ما في العَيْشِ خَيْرٌ ... ولا الدُّنْيا إذا ذَهَبَ الحَيَاءُ[3]

وهو مبدأ فضيلة العفّة ـ التي هي أساس المروّة ومبانيها وأصولها التي تبتني

(١) رواه البخاري في صحيحه، باب الحياء من الإيمان، حديث رقم ٢٤ [١/١٧] باب الحياء، حديث رقم (٥٧٦٧) [٥/٢٢٦٨] ومسلم في صحيحه، باب بيان عدد شعب الإيمان، حديث رقم (٣٦) [١/٦٣] ورواه غيرهما.

(٢) أورده المناوي في فيض القدير [٣/٤٢٧].

(٣) هذا البيت هو للشاعر العباسي أبو تمام: حبيب بن أوس بن الحارث الطائي ولد سنة ١٨٨هـ في قرية جاسم من قرى حوران بسورية وتوفي سنة ٢٣١هـ، في شعره قوّة وجزالة واختلف في التفضيل بينه وبين المتنبي والبحتري. والبيت جاء في ديوانه على النحو التالي:

فلا والله ما في العيش خير ... ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

وهو من البحر الوافر، وتفعيلته:

مفاعلتن مفاعلتن فعولن

عليها ما أشار إليه قطبها الذي رفع شأنها وأحكم بنيانها، أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، حيث قال: «أصل الفتوّة الوفاء والصدق والأمن والسخاء والتواضع والنصيحة والهداية والتوبة».

ولا يستأهل الفتوّة إلاّ من يستعمل هذه الخصال.

وعلامة كمالها ما أفاد بقوله عليه السلام، حين سُئل عن الفتوّة: «هي العفو عند القدرة، والتواضع عند الدولة، والسخاء عند القلّة، والعطيّة بغير منّة».

فحاصلها الاتصاف بفضائل الأخلاق والاجتناب عن رذائل الأوصاف.

والفضائل بأسرها تنحصر في الأجناس الأربعة المشهورة، وهي:

العفّة والشجاعة والحكمة والعدالة.

والأصول الثمانية المذكورة المؤسّس عليها الفتوّة كل اثنين منها من بابٍ واحدٍ من هذه الأربعة، وقد اختار رضي الله عنه من أنواع كل جنسٍ منها ما هو بمنزلة الأصل والمبدأ الذي إذا حصل استتبع البواقي. فلم يلبث إن تبعته وما هو بمنزلة الغاية والنهاية الذي إذا حصل استجمع الجميع فلم يخرج منه شيء، فالتوبة والسخاء من باب العفّة، والتواضع والأمن من باب الشجاعة، والصدق والهداية من باب الحكمة، والوفاء والنصيحة من باب العدالة.

ولنبيِّن كل واحدةٍ من هذه الخصال في بابٍ!.

# الباب الأول

## فـي التّوبة

قدّمناها لأنها الأصل والأساس في باب العفّة.

والعفّة صرف الشهوة عن مقتضى الهوى إلى مقتضى الرأي الصائب وترك تعبّدها ليفيد حريّة، وهي كمالٌ واعتدالٌ للقوّة البهيمية ـ التي هي أول قوّةٍ تظهر من قوى النفس وتجرّ بمقتضى الهوى إلى الرّدى وتدعو إلى الشّره والحرص والطمع والبخل وتغيّر عزمة الرجال وتنزلهم بمحلّة النساء وتلبسهم العار والشّنار، وتلبسهم العزّة والاقتدار وتذهب الحميّة وتغلب الأمنيّة ـ.

والتوبة هي الرجوع عما نهي عنه في الشرع مما أزرى بالمروءة عند العقل من قولٍ أو فعلٍ أو قصدٍ؛ قال ابن عباس رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: الآية ٨]: صادقاً من قلوبكم، وهو الندم بالقلب والاستغفار باللسان والإقلاع بالبدن والضمير والعزم على أن لا يعود إليه أبداً.

وقال الإمام المحفوظ زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهما: ليست التوبة بالكلام ولكن بالعمل والرجوع من الذنب.

وهي أول قدم من أقدام الفتوّة ومبني أمرهم ومبدأ طريقتهم. والمتفتّي من إذا نوى الرجوع عن الشيء لا يعود إليه أبداً، إذ من ضروراته عزمة الرجال وقوّة الثبات؛ ولا تصح الفتوّة بدونهما، وهي تستلزم الصبر عما أعرض عنه من الملاذ والمشتهيات والمحابّ.

والصبر هو حبس النفس عن مطاوعة الهوى ومقاومتها في متابعته، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت: الآية ٣٥]، ومن إنشاء أمير المؤمنين رضي الله عنه:

إنّي رأيتُ وفي الأيّامِ تَجْرِبَةٌ ... للصَّبْرِ عاقِبَةٌ محمُودَةُ الأثَرِ

وقَلَّ مَنْ جَدَّ في أمرٍ يُطالِبُهُ فاستَصْحَبَ الصَّبْرَ إلاَّ فازَ بالظَّفَرِ[1]

وهو يؤدّي إلى الدّعة. والدّعة: سكون النفس عند هيجان الشهوات، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه: الآية ١٣١].

ويلزمها الوقار، وهو: التأنّي في التوجه نحو المطالب، قال النبي ﷺ: «مَن تأنّى أصاب أو كادَ ومَنْ عجّل أخطأ أو كادَ»[2].

وهو يستلزم الورع، والورع: اجتناب الأمور القبيحة وملازمة الأعمال الجميلة، قال أمير المؤمنين رضي الله عنه: «لا معقل أحرز من الورع».

ويلزمه حسن السّمت، وهو: محبة ما يكمّل النفس.

ويفضي إلى الانتظام، وهو: تقدير الأمور وترتيبها بحسب المصالح، قال أمير المؤمنين رضي الله عنه: «كن مقدّراً ولا تكن مقتّراً».

والانتظام يؤدي إلى القناعة، وهي: التساهل في أسباب المعاش والاقتصار منها على الكفاف؛ قال النبي ﷺ: «ليسَ الغنىٰ عن كثرةِ العَرَضِ ولكنَّ الغنى غنى النَّفسِ»[3]؛ وقال أمير المؤمنين رضي الله عنه: «كفى بالقناعةِ مُلْكاً وبحُسنِ الخلقِ نعيماً».

وتنتهي إلى الحريّة، والحرية رأس مال الفتوّة وعنوان المروّة وملاك الأمر فيهما، إذ الفتى من لم يتعبّد لشهوته ولم يتذلّل لغيره في طلب طعمته، وانطلق من قيد هواه وخرج من أسر قواه وقنّعه الله بما آتاه، لا يبذل ماء وجهه في لذّة بطنه أو فرجه ولا يتقيّد بحفظ فلسه لشحّ نفسه، إذ متعبّد النفس بعيدٌ عن الرجولية قريبٌ من الخنوثة والصّبوية؛ وهي عبارةٌ عن اكتساب المال من غير امتهانٍ وذلّةٍ وإنفاقه في المساعي

---

(١) وجاء بيتان قبل هذين البيتين هما:

إصبر على مضَضِ الإدلاج في السَّحَر وفي الرَّواح إلى الحاجاتِ والبُكَر

لا تضجرَنَّ ولا يحزنك مطلبها فالنجح يتلف بين العجز والضجر

(٢) رواه الطبراني في المعجم الأوسط، من اسمه بكر، حديث رقم (٣٠٨٢) [٣/ ٢٥٩] وفي المعجم الكبير، حديث رقم (٨٥٨) [١٧/ ٣١٠] والقضاعي في مسند الشهاب، من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه، حديث رقم (٣٦٢) [١/ ٢٣١] وأورده غيرهما.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، باب قول النبي ﷺ: «ما يسرني أن عندي...»، حديث رقم (٦٠٨١) [٥/ ٢٣٦٨] ومسلم في صحيحه، باب ليس الغنى، حديث رقم (١٠٥١) [٢/ ٧٢٦] ورواه غيرهما.

الجميلة والمصارف الحميدة من غير رياءٍ ومنّةٍ؛ قال النبي عليه الصلاة والسلام: «لأن يأخُذَ أحدُكم حبلَه فيأتي بحُزمة حطبٍ على ظَهره فيبيعها فيكُفّ الله وجهَه خيرٌ له من أنْ يسألَ الناسَ أعطوه أو منعوه»[1]. ومن كلام أمير المؤمنين رضي الله عنه: «طوبى لمَن ذلَّ في نفسه وطابَ كسبُه وصلحتْ سريرتُهُ وحسُنَت خليقتُه وأنفَقَ الفَضْلَ من مالِهِ وأمسَكَ مِنْ لسانِهِ». ومن إنشائه رضي الله عنه:

لَنَقْلُ الصَّخْرِ مِنْ قُلَلِ الجِبالِ أحبُّ إلَيَّ مِنْ مِنَنِ الرِّجالِ

وهي تقتضي المروّة؛ وترك اللّذة والاستغناء عن الناس واليأس عمّا في أيديهم، واستبقاء ماء الوجه، وبذل ما لا بدّ من إفادته عرفاً حتى لا يلحقه شينٌ.

أوحى الله تعالى إلى داود النبيّ عليه السلام أن: «يا داود! لا تصحب إلاّ من تكاملت فيه المروءة والدّين».

وكمالها في السّخاء، الذي هو نهاية العفّة وغايتها.

(١) رواه البخاري في صحيحه، باب الاستعفاف عن المسألة، حديث رقم (١٤٠٢) [٢/ ٥٣٥] رواه ابن ماجه في سننه، باب كراهية المسألة، حديث رقم (١٨٣٦) [١/ ٥٨٨] ورواه غيرهما.

## الباب الثاني

## في السخاء

السّخاء إفادة ما ينبغي لمن ينبغي على وجه الذي ينبغي بلا أذًى ومنٍّ ولا عوضٍ ولا غرضٍ ولا توقّع ثناءٍ ومدح؛ وهو أعلى درجات العفّة وأرفع مراتبها الذي هو غايةٌ لها وآخر قدمٍ من أقدام الفتى فيها، وإذا اتّصف به فقد أحصى جميع أنواعها واستحقّ المدح والتعظيم بها والتقدّم على أهلها؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: الآية ٩]، وقال النبيّ عليه السلام: «الجاهلٌ سخيٌّ أحبّ إليّ من عابدٍ بخيلٍ»[1]، وقال أمير المؤمنين رضي الله عنه: «من يعط باليد القصيرة يعط باليد الطّويلة».

وأقلّ درجاته المسامحة، وهي: ترك ما لا يجب تركه من الحقوق المالية على سبيل التبرّع؛ قال الله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: الآية ٢٨٠]، وقال النبيّ عليه الصلاة والسلام: «من أنظر معسراً أو وضع عنه أظلّه الله تحت ظلّ عرشه يوم القيامة يوم لا ظلّ إلاّ ظلّه»[2].

ثم السّماحة؛ وهي: بذل ما لا يجب بذله على سبيل التّفضل. وقال النبي عليه السلام: «السّماح رباحٌ»[3]. وقال أمير المؤمنين رضي الله عنه: «كن سمحاً ولا تكن مبذّراً».

ثمّ المواساة؛ وهي: بذل المال في معاونة الأصدقاء بحيث يشركهم فيما

---

(١) رواه الترمذي في سننه، باب ما جاء في السخاء، حديث رقم (١٩٦١) [٤/ ٣٤٢] والبيهقي في شعب الإيمان، الباب الرابع والسبعون، حديث رقم (١٠٨٤٨) [٧/ ٤٢٨] ورواه غيرهما.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، باب حديث جابر الطويل، حديث رقم (٣٠٠٦) [٤/ ٢٣٠١] وابن حبان في صحيحه، ذكر إظلال الله جل وعلا في القيامة، حديث رقم (٥٠٤٤) [١١/ ٤٢٣] ورواه غيرهما.

(٣) رواه القضاعي في مسند الشهاب، حديث رقم (٢٣) [١/ ٤٨] تتمته: «والعسر شؤم». وأورده الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب، حديث رقم (٣٥٧١) [٢/ ٣٤٧] وأورده غيرهما.

يختص به؛ قال النبي عليه الصلاة والسلام: «البركة في المال هي إيتاء الزكاة ومواساة المؤمنين وصلة الأقربين»(١).

ثمّ الكرم؛ وهو: الإنفاق بالسهولة وطيب النفس في الأمور العظام؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾ [البقرة: الآية ٢٦٥]، ومن كلام أمير المؤمنين رضي الله عنه: «بالإفضال تعظم الأقدار».

ثم النّبل؛ وهو: الإعطاء مع السرور به.

ثم الإيثار؛ وهو: أن يكون مع احتياجه إليه، قال الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: الآية ٩]، وهو الشّرف التام والخطب الجليل والخصلة الحسنى والذروة العليا عند أهل الفتوّة، به تتفاضل أقدارهم وإليه تتسابق أقدامهم، يحتقرون كلّ فضيلةٍ من غيرها ويأبون كل سجيّةٍ من دونها، من فاز به فاز بالقدح الأعلى ومن ظفر به ظفر بالحظّ الأسنى.

وعن حذيفة العدويّ، أنه قال: انطلقت يوم اليرموك بطلب ابن عمٍّ لي ومعي شيءٌ من الماء وأنا أقول إن كان به رمقٌ سقيته ومسحت وجهه، فإذا أنا به فقلت: أسقيك؟ فأشار إليّ: نعم!، فإذا رجلٌ يقول: آه! فقال ابن عمّي: انطلق به إليه، فإذا هو هشام بن عاصٍ، فقلت: أسقيك؟ فسمع هشام آخر يقول: آه! فقال: انطلق به إليه، فجئته، فإذا هو مات! ثم رجعت إلى هشام فإذا هو قد مات! ثم رجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات!.

وحكاياتهم في الإيثار أكثر من أن تُحصى، فالأولى بالإيجاز أن تُدرج وتُطوى.

---

(١) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

## الباب الثّالث

# في التّواضع

وهو أوّل خصلةٍ من خصال الشجاعة. والشجاعة: صرف الغضب إلى مقتضى الرأي الصحيح والعقل الصريح عند الإقدام على المخاوف والوقوع في البلايا والشدائد. قال الله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ [آل عمران: الآية ١٩٥]، وقال النبي عليه الصلاة والسلام: «إنّ الله يحبّ الشجاعة ولو على قتل حيّةٍ»[1]. وهي كمالٌ واعتدالٌ للقوّة السبعيّة الطالبة للجاه والغلبة المائلة إلى القهر والسلطنة، الداعية إلى الكبر والعجب والحقد والتهوّر بالإفراط أو الجبن والخور والخوف والفشل بالتّفريط، التي تذهب كمال الرّجل وبهاءه وتزري بأبّهته وجلاله وتحقّر قدره وتستخفّ عقله.

والتّواضع: هو استعظام ذوي الفضائل من الأقران والإخوان، ومن هو دونه في الجاه والمال أو يساويه أو فوقه في الشّرف والفضيلة، وبذل الجاه لكلّ أحدٍ على حسب قدره، وذلك لقلّة اعتناء النفس بحقها وعدم الالتفات إلى خطرها ووقعها؛ قال الله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢١٥﴾ [الشّعراء: الآية ٢١٥]. وقال النبي ﷺ: «ما تواضع أحدٌ لله إلاّ رفعه الله»[2]؛ ومن كلام الإمام علي رضي الله عنه: «حلية المؤمن التّواضع».

ويلزمه الحلم؛ وهو: طمأنينة النفس وترك الشّغب عند سورة الغضب.

ويقرب منه: الرّفق والمداراة ولين الجانب؛ ويستلزم عدم الطّيش؛ وهو: التأنّي في الخصومات والحروب الشّرعية، كما قال الله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾ [البقرة: الآية ١٩٠]، وقال أمير المؤمنين رضي الله عنه: «من بالغ في الخصومة أثم».

---

(١) رواه القضاعي في مسند الشهاب، إن الله يحب البصر النافذ، حديث رقم (١٠٨٠) [٢/١٥٢] والبيهقي في كتاب الزهد الكبير، حديث رقم (٩٥٤) [٢/٣٤٦] ورواه غيرهما.

(٢) رواه الترمذي في سننه، باب ما جاء في التواضع، حديث رقم (٢٠٢٩) [٤/٣٧٦].

والثّبات؛ وهو: قوّة مقاومة الآلام والشدائد. قال الله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [آل عِمران: الآية ١٤٦].

وهذا هو أحد قسمي الصّبر الذي أشار إليه أمير المؤمنين رضي الله عنه بقوله «الصّبر صبران: صبرٌ على ما تكره وصبرٌ عمّا تحب».

وهو يوجب احتمال الكدّ ـ أي: تحمّل المتاعب البدنيّة والمشاقّ النفسانية وإتعاب الجوارح في اكتساب الخيرات والحسنات. قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: الآية ٦٩].

ويلزمه الشّهامة؛ وهي: الحرص على ما يوجب الذّكر الجميل من الأمور العظام وصنوف المجد والمعالي. قال النبي عليه الصلاة والسلام: «إنَّ الله يُحِبُّ معالي الأمورِ وأشْرافها ويُبْغِضُ سَفْسَافها».

ومن لوازمها كبر النّفس، وهو: استحقار اليسار والاقتدار على حمل الكرامة والصغار. قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء: الآية ٧٧].

ومن كلام أمير المؤمنين رضي الله عنه: «مَنْ كبُرتْ عليه نفسُهُ هانَتْ عليه شَهْوَتُهُ».

وهو يستلزم العفو، إذ كبير النفس لا تحرجه زلّةٌ ولا يؤثّر فيه أذًى ولا تثقل عليه جنايةٌ. والعفو هو: ترك الانتقام مع القدرة. قال الله تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عِمران: الآية ١٣٤]. وقال النبي ﷺ: «لا تكونوا إمّعةً تقولون إنْ أحسنَ الناسُ أحسَنّا وإن أساؤوا ظلَمْنا ولكن وطّنوا أنفسكم إنْ أحسن الناسُ أن تحسنوا وإن أساؤوا فلا تظلِموا».

وهو من أمّهات خصال أرباب الفتوّة ومعظماتها التي انفردوا بها وتسابقوا فيها. ويلزمه الرقّة؛ وهي: التأثّر عن أذى يصيب أبناء الجنس بلا اضطراب فيحترز صاحبها عن إيذائهم ويصفح عن آثامهم ويدفع الأذى عنهم ما أمكنه ويكشف ضرّهم بما تيسّر له. قال النبي ﷺ: «ترَى المؤمنين في تراحُمِهِم وتوادِّهِم، وتعاطُفِهِم كمَثَلِ الجسَدِ إذا اشْتَكى منْه عضوٌ تَداعىٰ له سائرُ الجسدِ بالحُمّى والسَّهرِ»(١).

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الأوسط، باب من اسمه إبراهيم، حديث رقم (٢٩٤٠) [٣/ ٢١٠] وفي المعجم الكبير، حديث رقم (٢٨٩٤) [٣/ ١٣١] والبيهقي في شعب الإيمان، الباب السابع والخمسون، حديث رقم (٨٠١٢) [٦/ ٢٤١] ورواه غيرهما.

وتتبعها الحميّة، وهي: محافظة الملّة والحرمة لنفسه وجيرانه وإخوانه عن التّهمة والذّب عن العشيرة في الجملة على ما أمر به النبيّ عليه الصلاة السلام بقوله: «اتَّقُوا مواضعَ التُّهم»(١).

والحميّة من أخصّ سيرهم وعاداتهم وأعزّ أخلاقهم وأوصافهم، يحتملون عندها الآلام والأهوال ويرتكبون دونها الأخطار ويتركون الأسباب والأموال ويحامون الأعراض ببذلها ولا يبالون بفواتها وفقدها.

ويلزمها عظم الهمّة، وهو: عدم المبالاة بسعادة الدنيا وشقاوتها حتى الموبقات عند حصول المكرمات الباقيات، كما حكى الله تعالى عن سحرة فرعون في جواب قوله: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الشُّعَرَاء: الآيتان ٤٩، ٥٠]. وهو لا يكون إلاّ عند الأمن الذي يكمل به فضيلة الشجاعة وينتهي عنده حدّ الجلادة. والله المستعان!.

---

(١) رواه الترمذي في سننه، باب ما جاء في الإحسان والعفو، حديث رقم (٢٠٠٧) [٤/ ٣٦٤] والبزار في مسنده، حديث رقم (٢٨٠٢) [٧/ ٢٢٩].

## الباب الرابع

# في الأمن

وهو ثقة النفس وطمأنينتها بأن لا يصيبها جزعٌ في المخاوف ولا يَنُوءها فشلٌ عند المعاطب. قال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: الآية ٨٢]؛ ويسمّى النّجدة ـ أيضاً ـ. ولا يحصل إلاّ بقوّة اليقين والوقوف على سرّ القدر والوثوق بحسن كلاءة الله تعالى وحفظه وامتناع قدرة الخلق عليه عند حمايته ومنعه. ولا تتمّ فضيلة الشجاعة ولا تستقرّ إلاّ به، إذ الشّاك مضطربٌ والمرتاب غير متثبّتٍ، ومن لم يرتبط جأشه بعلم اليقين، ولم يتمسّك من الله تعالى بالحبل المتين، لم يرسخ قدمه في مواطن الشدّة والخوف، ومواقع الرّدى والرّغب، بل يهاب كل ضعيفٍ ويهرب من كلّ خسيسٍ، يحسب كلّ صيحةٍ عليه عدّواً هاجماً، ويرى كل شوكةٍ حساماً صارماً، ويكون كما قيل:

«إذا رأى غَـيْـرَ شَـيْءٍ ظَـنَّـهُ رَجُـلاً»

ومن تيقّن قوله تعالى: ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: الآية ٣] وتأمل معنى قوله: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: الآية ٨] وتدبّر قوله: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: الآية ٣٨]؛ علم أنّ لعمره حدّاً محدوداً، وأمداً ممدوداً، ولموته وقتاً معلوماً، وقدراً مقدوراً، فلا يخاف من عاداه، ولا يبالي بمن ناوأه، كان أقوى منه أو ساواه.

رُوي عن الحاتم الأصمّ رحمه الله أنّه لقي شقيقاً البلخيّ رحمة الله عليه في بعض غزوات الكفّار بخراسان، وهو في المعركة، فقال له شقيقٌ: كيف تجد قلبك يا حاتم؟ قال: كما كان ليلة الزّفاف، لا أفرّق بين الحالتين.

فقال شقيقٌ: أما أنا فهكذا، ورمى بسلاحه ووضع رأسه على ترسه ونام حتى سُمِع غطيطُه!.

فهذا هو الأمن والطمأنينة واليقين وانكشاف الغطاء بظهور النور المبين. ولا يتخلّف عنه شيءٌ من الشجاعة إلاّ تبعه ولا نوعٌ إلاّ تضمّنه وصاحبه يعتقد معنى قوله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: الآية ٥١] يتربّص إحدى الحسنيين ويختار الحَيْن[1] على الشين. ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: الآية ١٣]!.

(١) الحَيْن: الهلاك. والجمع: الحوائن.

## الباب الخامس

# في الصدق

الصّدق أدنى درجات الحكمة ومبناها. والحكمة فضيلة القوّة النطقيّة وكمالها، وخاصيّة النطق إخبار الغير عمّا في الواقع، وبه امتاز الإنسان عن سائر الحيوان وفضّل على جميع الأكوان. فلمّا لم يطابق ما ظهرت خاصيّته ولم يفد فائدته فهو إذن كالأنعام ومن حيث إنه أفاد اعتقاداً غير مطابقٍ كان أضلّ وأخسّ منها، فلو لم يصدق لم يعدّ إنساناً، ولهذا قال الإمام عليٌّ رضي الله عنه: «لا مروءة لكذوبٍ».

وهي ـ أعني: الحكمة ـ ها هنا تعرّف الموجودات على ما هي عليه وتحريّ وجوه الصواب في الأفعال على ما ينبغي أن يفعل، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: الآية ٢٦٩].

والصّدق إمّا في النيّة ـ وهو: استقامة القصد إلى الله تعالى فيما يتوجّه إليه من الأفعال حتى لا يشوبه غرضٌ لغير الله تعالى ولا طمعٌ ولا يفسده رياءٌ ونفاقٌ ولا طلب صيتٍ وسمعةٍ ولا ثناءٍ ومدحٍ ولا قصد عوضٍ وثوابٍ ولا توقّع مكافآتٍ وجزاء. فكلّ ذلك يهجّن المروءة ويشين الفتوّة، بل لا يفعل إلاّ لله ويستخرج حق الله عليه في كل فعلٍ وعملٍ منه ويجعله نصب عينه ولا يقصد غيره في فعله، قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾ [فصّلت: الآية ٦].

وإما في القول ـ وهو: مطابقته لما في الواقع، قال الله تعالى: «وإن الله مع الصادقين»، ولا شيء يزري بالفتى كالكذب، فإنه أفظع للرجال من حيض ربّات الحجال وأشنع للفتيان من إتيان الذّكران!.

وإما في الفعل ـ وهو: أن لا يفعل في السّر ما يستحيي منه في العلانية، ولا يترك سرّاً ما يفعل جهاراً، ولا يخالف ظاهره باطنه ولا غيبه شهادته، بحيث لو عرضت أعماله على العالمين لم يستنكف من شيءٍ منها، ولا يودّ إخفاء بعضها، ونعم القدم الصّدق، ولهذا سميّ الخير وألحق به. قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: الآية ٢]، وقال: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ

مُّقْتَدِرٍ ۝﴾ [القمر: الآية ٥٥]. فمن لم يصدق لا حظّ له في الفتوّة، بل لا خلاق له من المروّءة، ومن اعتاد الصّدق فقد استفتح باب كلّ خير واستدفع كل ضيرٍ واستعدّ لكل سعادةٍ وكمالٍ واستحفظ من كل شقاوةٍ ووبالٍ.

ويلزمه الصّفاء؛ وهو: تنوّر الصدر وانشراحه لقبول صورة الغيب. قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزُمَر: الآية ٢٢].

ويستلزم وجود الفهم والذكاء والفراسة واللّب والفطنة. قال أمير المؤمنين رضي الله عنه: «من تبصّر الفطنة ظهرت له الحكمة».

واللّب يقتضي التذكّر؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: الآية ٢٦٩]، والحفظ، قال الله تعالى: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ [الحاقة: الآية ١٢].

رُوِي عن عبد الله بن الحسن لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ لعليّ رضي الله عنه: «سألت الله أن يجعلها أذنك يا عليّ! . قال الإمام عليٌّ رضي الله عنه: فما نسيت شيئاً بعدها وما كان لي أن أنسى».

ويلزمها الهداية التي هي نهاية الحكمة، والله الهادي!.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره [٢٩/ ٥٥] والذهبي في ميزان الاعتدال في نقد الرجال ( ١٠١٨١ـ ٤٢١) [٧/ ٣٦٤] ورواه غيرهما.

## الباب السادس

# في الهداية

وهي انفتاح عين البصيرة بالتوفيق واكتحالها بنور التأييد لرؤية المطلوب. قال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: الآية ٢٢].

والمراد بها ها هنا علم اليقين الفائض على العبد عند فرط الصفاء عقيب النظر والاستدلال، فإن غاية الحكمة لا تتجاوز حدّه ولا ترقى إلى رتبة عين اليقين وحقّ اليقين، لأنهما من باب الكشف العياني وعالم القدرة، ولا يرتع حول حماه إلاّ صاحب الولاية دون من سواه.

وهو قسمان:

**أحدهما**: الهداية إلى معرفة الله والتصديق بوجوده وتوحيده والإخلاص له ومعرفة صفاته وأفعاله وأنبيائه وأوليائه وخاصته وأصفيائه.

**والثاني**: الاهتداء إلى أحكامه من الواجبات والمندوبات والمباحات والمكروهات والمحظورات وإلى المكرمات والفضائل ومحاسن الشيم والشمائل والأخلاق الحميدة والأوصاف الجميلة وما يقدح في المروّة والدّين من السير المذمومة والأفعال القبيحة والعادات الرديئة وما يجمّل الفتى ويشرّفه من السير المحمودة والخصال المرغوبة والآداب السّنية والمعالي المرضيّة.

ويلزمها إصابة الفكر وثقابة الرأي وسداد القول وصلاح العمل، وهي شرط صالح من الاستقامة، المشار إليها بقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ [هود: الآية ١١٢].

لأنه عليه الصلاة والسلام مأمور بهذه الأمور مع زياداتٍ:

ألف ـ من باب الأحوال والمشاهدات كما وصفه الله تعالى بالاستقامة فيها بقوله: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [النجم: الآية ١٧].

و ب ـ أخرى من باب التشريع والتّقنين، كما أمره الله تعالى بقوله: ﴿فَٱحْكُم

بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: الآية ٤٢].

فصاحب الفتوّة يطالب بالاستقامة في العمل لله وفي الله، وصاحب الولاية في العمل لله وفي الله وبالله، وصاحب النّبوة يصدر مع ذلك كله من الله وعن الله وإلى الله دونهما، ولو لم يمنّ الله تعالى بالهداية على الفتى لم يتيسّر له خصلة ما من خصال الفتوّة، ولم يقدر على الشجاعة والعفّة، فإن ابتناءهما على الاعتقاد الصحيح والحق الصريح، وكلما تشوّش الاعتقاد تزلزلت القدم، إذ اليقين روح العمل، وأنّى يتحرك الجسد بلا روح؟ وتلك هي هبةٌ من الله تعالى وعناية خصّه الله تعالى بها من يشاء، ووديعةٌ استودعهاً في ذاته عند الميثاق يطالبه بها وقت التّلاق، كما قال النبي ﷺ: «إن الله تعالى خلق خلقه في ظلمةٍ فألقى عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضلّ»(١).

(١) رواه ابن كثير في تفسيره، آخر تفسير سورة النور [٣/ ٢٩٢] وابن أبي عاصم الضحاك الشيباني، باب إن القلوب بين اصبعين، حديث رقم (٢٤١) [١/ ١٠٧].

## الباب السابع

# في النّصيحة

وهي مبدأ نور العدالة ومفتتحها ومبنى الصداقة وعمدتها.

والعدالة: هيئةٌ وجدانية تعرض النفس لمسالمة هذه القوى بعضها بعضاً وصورة اجتماعية للفضائل كلها، فهي أفضلها وأشرفها، ولهذا أجاب حين سئل أمير المؤمنين رضي الله عنه عن الجود والعدل، أيهما أفضل؟ بقوله: «العدل يضع الأشياء مواضعها والجود يخرجها عن جهاتها». والعدل سائسٌ عام، والجود عارضٌ خاصٌ، فالعدل أفضلهما وأشرفهما. ولما بعث رسول الله ﷺ لتتميم مكارم الأخلاق ألقى الله تعالى بالوحي على لسانه: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ [الشورى: الآية ١٥].

والنّصيحة: إرادة الخير بالخلق وتنبيههم على طريق الصلاح والبرّ، وترغيبهم فيما ينفعهم وتنفيرهم عما يضرّهم، كما قال هودٌ لقومه ـ حين دعاهم إلى ربّه ـ: ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: الآية ٦٨].

ويلزمهما الأمانة؛ وهي: تحفّظ الودائع والأسرار وردّ الأولى على الأرباب، وصون الثانية عن الأغيار، والامتناع عن تغيّر أمور الخلق عن وجه الصلاح، وباختلالها ينثلم المروّة، قال النبي عليه الصلاة والسلام: «لا مروءة لمن لا أمانة له»[1].

والشّفقة؛ وهي: صرف الهمّة إلى إزالة المكروه عن الناس. قال النبي عليه السلام: «إنّ أحدكم مرآة أخيه فإذا رأى به أذًى فليمطه عنه»[2]. وقال: «المؤمن مرآة

(١) ورد بلفظ: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له». رواه ابن حبان في صحيحه، حديث رقم (١٩٤) [١/ ٤٢٢] وابن خزيمة في صحيحه حديث رقم (٢٣٣٥) [٤/ ٥١] ورواه غيرهما.

(٢) رواه الترمذي في سننه، باب ما جاء في شفقة المسلم على المسلم، حديث رقم (١٩٢٩) [٤/ ٣٢٥] وابن أبي شيبة في مصنفه، في الرجل يأخذ عن الرجل، حديث رقم (٢٥٥٣٤) [٥/ ٢٢٩] ورواه غيرهما.

المؤمن»(١)، لأنه يتأمّله فيسدّ طاقته، ويجمّل حالته، ويقرّب منه الرأفة والرحمة، وهما إرادة الكمال والخير بالغير والسعي في إيصالهما إليه، قال الله ـ في وصف نبيّه ـ: ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة: الآية ١٢٨]، وقال عليه الصلاة السلام: «الرَّاحمون يرحمهم الرحمٰن، ارحموا مَن في الأرض يرحمكم من في السماء»(٢).

وتستلزم صلة الرّحم؛ وهي: تشريك ذوي القرابة في الخيرات الدّنيوية، قال الله تعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [البقرة: الآية ١٧٧] وقال النبي عليه السلام: «ما من شيءٍ أطيع الله تعالى فيه بأعجل ثواباً من صلة رحم».

وإصلاح ذات البين؛ وهو: التوسّط بين الناس، وفي الخصومات بما يدافعها، قال الله تعالى: ﴿وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ﴾ [الأنفال: الآية ١]؛ وهو ـ خاصةً ـ مما ثبت لأصحاب الفتوّة فيه قدمٌ حتى اغترموا فيه غرامات وتحمّلوا لأجله دياتٍ وحباناتٍ وتقبّلوا لإرضاء الخصوم أموالاً جمّة وضمنوا عروضاً دثرةً وأنفقوا فيها ما وجدوا وافترضوا لها ما فقدوا حتى الوحشة ارتفعت والألفة حصلت، فإن العداوة والبغضاء من الشّيطنة النكراء وهي غاية البعْد من الله تعالى!.

ويلزمه حُسْن الشركة؛ وهو: التعادل في المعاملات، قال الله تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ٣﴾ [المطفّفين: الآيات ١-٣].

والإنصاف والانتصاف من نفسه وغيره.

**والأول:** توفية الحقوق المالية والجاهيّة والقوليّة والفعليّة لمستحقّيها، قال النبي عليه الصلاة والسلام: «رحم الله من أنصف»(٣).

**والثاني:** استيفاء تلك الحقوق لنفسه أو لغيره ممّن لزمته وحقت عليه. قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ٣٩﴾ [الشورى: الآية ٣٩].

ومن لم يتصف بهذه الثلاثة، لم يقدر على الإصلاح بين الناس ولم يؤثّر كلامه في بابه، ولم ينجح سعيه في مراده؛ إذ كل قولٍ لا يصدّقه الفعل فهو هراء، وكل فعلٍ

---

(١) رواه أبو داود في سننه، باب في الظن، حديث رقم (٤٩١٨) [٤/ ٢٨٠]، والبيهقي في سننه الكبرى، باب في الشفاعة، حديث رقم (١٦٤٥٨) [٨/ ١٦٧] ورواه غيرهما.

(٢) رواه أبو داود في سننه، باب في الرحمة، حديث رقم (٤٩٤١) [٤/ ٢٨٥] والترمذي في سننه، باب ما جاء في رحمة المسلمين، حديث رقم (١٩٢٤) [٤/ ٣٢٣] ورواه غيرهما.

(٣) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

لا يصدر عن الحال فهو هباء.

وهو يستلزم المكافأة؛ والمكافأة: مقابلة الإحسان بمثله أو زيادة وإن لم يقدر فيما استطاع، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ﴾ [النساء: الآية ٨٦]، وقال النبي عليه السلام: «من أولى معروفاً فليكافأ به فإن لم يستطع فليذكره، فإن ذكره فقد شكره»[١].

وحسن القضاء؛ وهو: الامتناع عن المنّ والندم في المكافأة. قال الله تعالى: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ۝٦٠﴾ [الرحمٰن: الآية ٦٠].

وهما خصلتان مؤديتان إلى التودّد؛ وهو: طلب مودّة الأقران والأكفاء وأهل الفضيلة ومستعديها من النجباء بما يستدعي محبّتهم من حسن اللقاء والطلاقة والبشاشة بحضورهم والمؤانسة بوجودهم، والمؤاكلة معهم وإهداء التحف والهدايا إليهم، كما قال النبي عليه السلام: «تهادوا تحابُّوا»[٢]؛ وقال: «إنّ من المعروف أن تلقى أخاك بوجهٍ طلقٍ»[٣]. وقال: «التودُّد نصف العقل»[٤].

وهو يفضي إلى الألفة؛ والألفة: اتّفاق الآراء في المعاونة على تدبير المعيشة وانضمام الأبدان لاتحاد الأهواء في طلب المقصد وتوجّه الوجهة، وقال النبي ﷺ: «المؤمن آلفٌ مألوفٌ»[٥].

وهي تورث الصّداقة؛ والصداقة: محبة مبتنية على تناسب الأرواح في الآزال وتسمى الأخوّة ـ أيضاً ـ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ [الحجرات: الآية ١٠].

والإخوانيّة معظم أبواب الفتوّة، وقاعدة بنيانها، وأساس أمرها، إذ هي مبتنية عليها ولا ينعقد لوائها بدون المؤاخاة، ولهذا يسمون المقدّم «أخي». وقال قطبهم

---

(١) رواه ابن راهويه في مسنده، حديث رقم (٧٧٤) [٢/ ٢٦٨] والبيهقي في شعب الإيمان، حديث رقم (٩١١١) [٦/ ٥١٥] ورواه غيرهما.

(٢) رواه البيهقي في سننه الكبرى، باب التحريض على الهبة، حديث رقم (١١٧٢٦) [١١٧٢٦] [٦/ ١٦٩] والطبراني في المعجم الأوسط، حديث رقم (٧٢٤٠) [٧/ ١٩٠] ورواه غيرهما.

(٣) ورد بألفاظ أخرى متقاربة منها ما رواه مسلم في صحيحه، باب استحباب طلاقة الوجه، حديث رقم (٢٦٢٦) [٤/ ٢٠٢٦] والترمذي في صحيحه، باب ما جاء في إكثار ماء المرقة، حديث رقم (١٨٣٣) [٤/ ٢٧٤] ورواه غيرهما.

(٤) أخرجه الذهبي في ميزان الاعتدال (٢٤٠١ـ ٢٨١٦ت) [٢/ ٤٠٤].

(٥) أورده ابن حبان في المجروحين، باب العين، [٢/ ٧٩] والذهبي في ميزان الاعتدال (٦٣٤٣ـ ٤٢٥٠ت) [٥/ ٣٠٠] وأورده غيرهما.

وإمام أئمتهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالبٍ رضي الله عنه: «أعجز الناس من عجز عن اكتساب الإخوان وأعجز منه من ضيّع من ظفر به منهم».

ولعمري إنها أحسن طرائق الناس وأجملها، بها تتعلّق مصالح الدّين والدنيا وتتيسّر السعادة القصوى، وبوجودها يتهنّأ كل لذةٍ ونعيم وبحصولها يتسهّل كل مطلبٍ عظيم يذلّ له كل صعب ويستحقر عندها كل دأبٍ، وكفى بعلوّ شأنها وإنارة برهانها ما رُوي عن الله تعالى: «وجبت محبتي للمتحابين فيّ، ووجبت محبّتي للمتواصلين فيّ»(١).

وغايتها الوفاء؛ إذ به يتم الإخاء، والله بيده المنع والعطاء!.

---

(١) ورواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين في كتاب البر والصلة، حديث رقم (٧٣١٤) [٤/ ١٨٦] ورواه ابن حبان في صحيحه، ذكر إيجاب محبة الله جل وعلا . . . ، حديث رقم (٥٧٥) [٢/ ٣٣٥] ورواه غيرهما.

# الباب الثامن

## في الوفاء

الوفاء، نهاية أقدام الفتوّة، وكمال المنّة فيها والقوّة؛ إذ الفتوّة بصفاء الفطرة وزكاء النفس، والفطرة لا تصفو من ظلمة الجبلّة والنفس لا تزكو عن الرّذيلة إلاّ عند الوفاء بالعهد القديم، فإذا تمّ الوفاء وارتفع الغطاء وحصل كل سجيّةٍ كريمةٍ ولزم كل فضيلةٍ سنيّةٍ، وما بقي شيء من الكمالات التي اقتضتها الفطرة بحسب صفاء استعدادها الأول في هذا الصفاء الثاني بالقوة لم يوف العبد بعهد الله المأخوذ عليه ميثاقه ولم يوف حق الربوبية ـ الذي يجب عليه أداؤه ـ، فلم تكمل فتوّته وصفاؤه، ولهذا وصف الله تعالى أول من تفتّى وسلمت فطرته واتّقى بقوله: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ۝٣٧﴾ [النّجم: الآية ٣٧]. ومدح قطب الأقطاب وسيّد الفتيان بقوله: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ [الإنسان: الآية ٧].

وهو: الخروج عن عهدة العهد السابق بإحكام العقد اللاحق والمحافظة على عهود الإخوان بملازمة طريق المواساة والإحسان ورعاية حقوق الأصدقاء بالقيام بما يجب عليه من شرط الإخاء. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الرّعد: الآية ١٩] ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ۝٢٠﴾ [الرّعد: الآية ٢٠].

واللّب: هو خلاصة جوهر الفطرة السليمة الخالصة من قشر النّشآت.

والعهد: هو إيداع قوّة معرفته وتوحيده والعلم بربوبيته فيها وركز الأدلة في طباعها. ولا تظهر تلك القوة ولا تبرز إلى الفعل إلاّ بإحكام عقد الإيمان والتزام شرائع الإسلام والقيام بوظائف حق العبودية وأداء حقوق الربوبية. قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ﴾ [المائدة: الآية ١]، وذلك هو الوفاء مع الله تعالى.

وأما الوفاء مع الخلق؛ فهو: التمسك بحبل المودّة والتّثبت على حكم الخلّة بحيث لا ينخزل عما شرط ولا يفتر فيما وعد، ويوطّن نفسه على أن لا يريد بنفسه خيراً إلاّ ويريد بالخليل أولاً، ويؤثره على نفسه عند الفاقة، ويقدّمه وقت الحاجة، ساعياً في تحصيل مآربه ومنافعه، دافعاً لمكارهه ومضارّه، مفدياً له بنفسه وماله عند

خطره واختلال حاله، قال الله تعالى في أهل الغدر: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [التوبة: الآية ١٢٠].

وكما أن الموفي فائزٌ بالقدح المعلّى من الفتوّة حائزٌ للخصلة الحسنى من الفضيلة، فالغادر مردود عن بابها، مطرودٌ عن جنابها، منغمسٌ في لؤمه ودناءته، مسترذلٌ لخسّته وحقارته، بريءٌ من الدّين والملّة، حريّ بالمهانة والذلّة. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال: الآية ٥٨]. وقال النبي عليه الصلاة والسلام: «لا دين لمن لا عهد له»(١).

(١) رواه ابن حبان في صحيحه، ذكر خبر يدل على أن المراد بهذه، حديث رقم (١٩٤) [١/ ٤٢٢].

## الباب التّاسع

## في آفات الفتوة وقوادح المروّة

من أعظم آفاتها الدّعوى ورؤية النفس فضيلتها بتبعيّة الهوى؛ فإنّ بناء أمرهم على التجرد عن العلائق وقلّة المبالاة بالعوائق، وذلك لا يتهيّأ إلاّ بفناء الأوصاف البشرية وزوال الدواعي الطبيعية من محبة الجاه والكرامة والغلبة وسائر مقتضيات الهوى، فما بقيت منها بقيّة وأخذ القلب في طريق الفضيلة بنور الفطرة تأثّرت النفس بها وانتحلت نوريّتها فطغت وظهرت بالدعوى وبطرت واستولت على القلب بوصفٍ أرقّ وألطف مما لها بذاتها، فحجبت الفطرة عن كمالها ومنعتها عن بلوغ غايتها ومرادها، وصارت فضيلتها رذيلةً مورثةً للعجب والكبر، خطّتها نفسها بزينتها وبهجتها واغترّت وغرّت صاحبها بالحسبان، والفضيلة لا تثبت بحصولها وقتاً دون وقتٍ وصدور الفعل من صاحبها مرّةً بعد مرّة، بل هي ملكةٌ مستقرة في النفس لإشراق نور القلب عليها دائماً، بحيث لا يحتجب عنها قطّ. ويصدر عنها الفعل الجميل في وقته ومحلّه بلا رويّةٍ وتفكُّرٍ، والآخذ في طريق الفضيلة ليس بفاضلٍ والقاصد إيّاها غير كاملٍ، فهو يكذّب نفسه بإيهامها تصوُّر كمالٍ ليست منه في شيءٍ؛ وذلك هو العجب الذي وصفه النبي عليه الصلاة والسلام بقوله: «لَو لَم تذنُبوا لخشيتُ عليكم أشدُّ من الذّنبِ العجبَ! العجبَ!»[1].

ويكذّب غيره بإظهار فضيلةٍ ليست فيه، وهو الكبر الذي قال فيه: من تكبّر وضعه الله.

ولا مهجِّن للمروّة كالكذب! وإذا انهدمت قاعدة المروّة انهدم بنيان الفتوّة، وصحّ معنى قولهم: كل مدّعٍ كذّابٌ!.

ولو حصلت الفضيلة شاهدت النفس فضل ربها وفرط عناية خالقها بها حيث وهب له من فيضه الأقدس استعداد قبولها وفطرها صافيةً قابلةً ولم يخلقها كزّةً

---

(١) رواه القضاعي في مسند الشهاب، حديث رقم (١٤٤٧) [٢/ ٣٢٠-٣٢١] ورواه غيره ولفظه: «لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أشد من ذلك العجب العجب».

جاسيةً، ثم وفّقها للتزكية والتصفية وإعداد المعدّات بالتقلب في قواليب القربات والتشبث بأهداب الصالحات، ثم أفاض عليها تلك الكمالات بتجلّي أنوار الصفات، فتضاءلت خضوعاً وتواضعاً، وتفانت شكراً وحياءً، لأنها علمت بنور الهداية الحقانية أن النفس مأوى كل شرٍّ ومنبع كل رجسٍ إذ هي من بقعة الإمكان والشرور كلها أمور عدميّة ظلمانية تنشأ من حيّز الإمكان والخيرات أمورٌ وجودية نورانية تفيض من حضرة الرحمٰن، وكل ممكن فليس له من ذاته إلاَّ العدم، فمن أين له الفضل وأنّى له كمال!.

ومن آفاتها التبذير والإسراف؛ لأن سلوك طريق الفضيلة صعبٌ ولزوم الجادة الوسطى مشكل والاحتياط في باب الجود هو الإمالة إلى طرف الإفراط، إذ البخل مذموم منافٍ للفتوّة، معلومٌ تنافيها بالضرورة، فربما هرب صاحبها من الرّذيلة وجدّ في الهرب، فوقع في جانب الإفراط ومدحه على ذلك الجاهل بالفضيلة أو المحتذي بتلك الرذيلة، فرسخ في نفسه ودخلت الآفة من حيث لا يشعر فيبذل موجوده لا على وجه إرادة السماح، وهو من الجود ليس في مغدًى ولا مراحٍ. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الإسراء: الآية ٢٧].

وكذا التّهور بعين ما ذكرناه؛ فإن الجبان لا يشكّ في رذالته. وربما يطلب الحمد طالب الفتوّة لجهالته، فيرتكب الأخطار لا لحماية الدين والملة ولا لحمية الأهل والحوزة ويلقي بيده إلى التّهلكة، يحسب نفسه من الشجاعة بمنزلٍ وهو بالحقيقة عنها بمعزل.

ومنها الخمود والضعة والانظلام، فإنّ الاحتياط في العفّة والتواضع والعدالة هو الإمالة إلى جانبها، والنفس مائلةٌ إلى أضدادها، ولا يخفى منقصة الشّره والتّكبر والظلم على أحدٍ، فربما أدّى الاجتناب منها والاحتياط فيها إلى العجز والخمود والتسخر للظّلمة والذلّة والضّعة.

«وبَعْضُ الحِلْمِ عِنْدَ الجَهْلِ للذِلَّةِ إذْعانٌ»[1]

ومنها المفاخرة والمباهاة؛ وهي قريبةٌ من الدعوى وأخفّ منها وأخفى، ومنشأها أيضاً ظهور النفس بصفة الجهل وإلاَّ لعلمت اختصاص كل أحدٍ بخاصيّةٍ ليست لغيره، فانقمعت وانقهرت وذلّت وتذلّلت.

---

(١) هذا البيت من قصيدة من البحر مجزوء الوافر للشاعر الجاهلي الفند الزماني، سهل بن شيبان بن ربيعة بن بكر بن وائل. كان سيد بكر في زمانه وفارسها وقائدها شهد حرب بكر وتغلب وقد ناهز عمره المئة سمي الفند لعظم خلقته تشبيهاً بفند الجبل وهو القطعة منه، مجهول تاريخ الولاة. وتوفي سنة ٩٥ق .م. (الموسوعة الشعرية، المعجم الثقافي، أبو ظبي).

# الباب العاشر

## في الفرق بين الفتى والمتفتّي والمدّعي

الفتى هو الكامل في الفضائل الخلقيّة المجتنب من الدّنايا والرذائل النفسية على بصيرةٍ من أمره وبيّنةٍ من ربّه، ذا قدمٍ راسخةٍ فيها، ونفس مطمئنة متمكنةٍ منها، قد صارت السّجايا الأربع بأنواعها ملكّاتٍ في نفسه لا تتغير ولا تتبدّل، عارفاً بدقائق الآفات وتفاريق العاهات من دخول جزئيّات النّفاق والرّياء وشرب النّفس من البهجة والبهاء، مطواع النفس لكل فعلٍ جميلٍ بلا تفكّرٍ ورويّةٍ، منقاد الطبع لكل خطبٍ جليلٍ بلا توقفٍ وكلفةٍ.

والمتفتّي الآخذ في طريقها، الساعي لتحصيلها، متطلّعاً إلى غايتها، متكلفاً في خصالها، يتردد في التلوينات ويلوم نفسه عند الوثبات والغلبات، لم يصف بعد من شوب النفس ومزج الهوى، ولم يتقوّ على قمع الطبع وترك المنى، ولم يجمد زلال استعداده ولم تَبْرُدْ حرارة طلبه واجتهاده، ولم تخمد نار شوقه في ترقّيه وازدياده؛ فهما كالخادم المتمرّن في الخدمة لله، البريء من شائبة الرّياء والطمع وتوقّع المدح والثناء والعوض، والمتخادم الذي يرتاض في تمرين الخدمة ويجهد نفسه بالبذلة، مجاهداً في سبيلها، مراعياً لشروطها، تطهّر نفسه تارةً بالهوى ويغلب هو أخرى بالتّقى.

وأما المدّعي المتزي بزيّ الفتيان فهو كالمتشبّه بالخدّام لغرض الجاه أو الطمع في المال، الجاعل خدمته ذريعةً إلى جذبه ووسيلة إلى جمعه، يركب الأخطار لا شجاعةً، ويبذل الأموال لا سخاوةً، بل تطاولاً على الأقران وتقدماً على الإخوان، تتفاوت أحواله في الجبن والتهور وتتباعد أفعاله في البخل والسّرف، كما قيل:

«يُــعْــطِــي وَيَــمْــنَــعُ لا بُــخْــلاً ولا كَــرَمــاً»

لا تتناسب أخلاقه ولا يتقارب سيره وعادته، ولا يتساوى ظاهره وباطنه، ولا يتماثل سرّه وعلنه، يقدم تارةً على خطرٍ عظيمٍ وخطبٍ جسيمٍ على رؤوس ذوي الشّطارة والدّعارة تسخيراً لهم وإيقاعاً للهيبة في صدورهم، ويحمل على جمعٍ كثيرٍ

في حربٍ شديدٍ إظهاراً للجلادة وطلباً للمحمدة، ولحجم أخرى عن أقلّ من ذلك حيث لا يتوقع شيئاً من أغراضه وإن كان فيه حماية دينه وجيرته وأعراضه، يسمح نفسه ببذل الكثير الدّثر من المال عند مُرآة الناس أو معارضة مدّع آخر، وإن لم يكن في محلّ الاستحقاق. ويشحّ بعشر عشيرٍ عند عدم شيء من ذلك وإن كان حقاً بموقعه ووضعاً في موضعه، وفيه رضى الحق وارتضاء الخلق وتذمّماً، ولا يعفّ سرّاً وباطناً استحياءً من الحق وتكرّماً، يظلم تارةً حيث يقدر ولا يخاف من فضيحة الخلق وعقوبة الخالق، وإن كان المظلوم ضعيفاً مسكيناً مرحوماً من غير رحمة عليه وخشية من الله، ويتظلّم أخرى لعجز نفسه أو إظهار تحمّله أو تجرّده وتعفّفه ولا ينزجر عن الظلم إلاّ لعلّةٍ، فمثل هذا بعيدٌ عن الفتوة غير معدودٍ من أصحاب المروّة؛ فليجتنب المتفنّي أمثاله وليحترز عن صحبتهم ومجالستهم! فإن مجالستهم أضرّ من السمّ الناقع وأنكى من السّبع الضاريّ!.

**خاتمةٌ تشتمل على فصول:**

## الفصل الأوّل

## في طريق اكتساب الفتوّة

من خطر على قلبه خاطر التَّفتي وانبعث من باطنه داعية الفتوّة، فليستبشر من نفسه بسلامة الفطرة وصلاحية الولاية، وليشكر الله تعالى على ذلك، فإن صحة الدّاعية وقوّة الإرادة علامة القابليّة، وليجتهد في الطلب، فإن صدق الطلب أمارة الوجدان، وليجتنب أولاً من مفسدات المروّة ومهجّناتها من الكذب والغيبة والطّمع والحرص والشّره والغدر والخيانة والجفاء والدناءة والخسّة والصّلف والقحة واتّباع الهوى ومحبّة الدنيا ومجالسة السّفلة وأهل الفسوق والريبة ومخالطة الأشرار ومصاحبة الشطّار وذوي الفجّار والمناقشة في محقّرات الأموال والتّشدد فيها والمضايقة في المعاملات والمماكسة فيها؛ فإنّ كل ذلك يثلم أساس المروّة ويهدم بنيانها.

وبالجملة، كل ما يشين الدّين ويزري بالعفاف، ويورث الذلّة والهوان، فهو مباين للمروّة، ومن لم يحكم القاعدة والأسباب فبناؤه حريٌّ بالخراب وسعيه في معرض الضياع!.

أوصى حكيمٌ ابنه فقال: يا بنيّ! عليك بالمروّة، فوالله لو أني أعلم أن الماء البارد يثلم مروّتي ما شربته إلاّ حارّاً!.

وليتعوّد في عنفوان شبابه وحداثة سنّه بمراسمها ومقوّماتها من أضداد ما ذكرناه، وأنواع البرّ والسماحة وحسن الخلق والظّرافة ومعاونة المعارف وصلة الأقارب والأجانب وأمثال ذلك، وإلاّ تعسّر عليه عند الطعن في السن، كما أنشد بعض فتيان العرب:

إذا المَرْءُ أعيَتْهُ المُرُوءَةُ ناشِياً      فَمَطْلَبُها كَهْلاً عَلَيْهِ شَدِيدُ(1)

---

(1) هذا البيت هو للشاعر العباسي عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي من أئمة اللغة والأدب، ولد سنة ٣٥٠هـ، وتوفي سنة ٤٢٥هـ، له تصانيف عدة منها: يتيمة الدهر، وفقه اللغة، وسر البلاغة.

ثم ليريد لنفسه مقدّماً في الفتوّة، كاملاً فيها، موصوفاً بالفضائل المذكورة، متدرّباً بها. وليتّصل به معطياً إياه مملّكاً إيّاه زمامه، فإن المنقطع عن القطب والمنفرد عن الجماعة فريسة الشيطان خارجٌ عن زمرة الفتيان، وليقتد بأفعاله وأخلاقه وآدابه وليصدر عن رأيه متمسكاً بأقواله متقلّباً في أحواله، ممتثلاً لأوامره ونواهيه، ساعياً في مقاصده ومساعيه، نازلاً لحكم اختياره، منسلخاً عن مراده، وليخرج بحسن اختياره عمّا يطالبه به نفسه وتأمره، فلا مانع له عن وصول الكمال إلاّ دواعي النفس ولا عائق له عن بلوغ الغاية إلاّ أمانيها، فليحترز عن ذلك، وليصطحب إخواناً ورفقاء همّهم الفضيلة ودأبهم الطّريقة، وليتخذ لنفسه أحباباً وأصدقاء شأنهم الفتوّة وخلقهم المروّة حتى يتدّرب نفسه بصحبتهم وينشأ على شاكلتهم.

«فكُلُّ قَرِينٍ بالمُقارِنِ يَقْتَدِي»[1]

وليعلم أنّ العمدة في اكتساب الفتوّة اجتناب الرذائل، فإن التّروك أسهل وأخفّ على النفس. وإذا زالت وتزكّت النفس تصفّت الفطرة فحصلت الفضائل بلا لبسٍ ولا مؤونة تعمّلٍ وكسبٍ. قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ [الليل: الآيات ٥-٧]، والله هو الميسّر لكل عسيرٍ!.

---

(١) هذا البيت من البحر الطويل وهو للشاعر الجاهلي طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد، أبو عمرو البكري الوائلي. كان هجاءاً غير فاحش القول تفيض الحكمة على لسانه. ولد في بادية البحرين وتنقل في بقاع نجد. ولد سنة ٨٦ق .هـ وتوفي سنة ٦٠ق .هـ.

## الفصل الثّاني

# في بيان مأخذها وابتداء طريقها

رُوِي أنه رفع إلى رسول الله ﷺ ذات يومٍ وهو في بعض أصحابه: أنّ رجلاً وامرأةً قد اجتمعا في بيتٍ على فسادٍ، فاستحضرهما، فقام بعض الصحابة وقال: أنا آتيك بهما يا رسول الله! فقال: «ليس هذا شأنك!». وكذا استأذنه جماعة منهم واحدٌ بعد واحدٍ، فلم يأذن لأحدهم، فدخل عليهم علي رضي الله عنه، فقال النبي ﷺ: «يا عليّ! اذهب فإن وجدتهما فأت بهما». فانطلق إلى باب البيت وغمّض عينيه وأخذ يطوف بالبيت متجسّساً، فانفلتا، ثم خرج مفتوح العين راجعاً إلى رسول الله، فلما لقيه، قال: ما رأيت في البيت أحداً! فاستهلّ وجه النبي وتفرّس بنور النبوّة ما كان منه، وقال: «يا علي، أنت فتى هذه الأمة». ثم دعا بماءٍ في قدح وملح، فأتى بهما سلمان الفارسي رحمه الله، فأخذ من الملح كفّاً، وقال: «هذه الشريعة» فطرحها في القدح، ثم أخذ كفّاً أخرى وقال: «هذه الطريقة» فألقها فيه. ثم أخذ كفّاً أخرى وقال: هذه الحقيقة. فجعلها فيه، فسقاه علياً وقال: «أنت رفيقي وأنا رفيق جبرائيل وجبرائيل رفيق الله تعالى»[1].

ثم أمر سلمان برفاقة عليٍّ، فسقاه عليٌّ القدح وأمر حذيفة اليماني برفاقة سلمان، فشرب القدح من يده، ثم ألبس علياً رضي الله عنه إزاره وشدّ وسطه وقال: «أكمَلك يا علي!».

فهذا الخبر هو مأخذ الفتوّة والأصل المعتمد عليه في هذه الطريقة الذي واظب عليه الفتيان وأسسوا على ذلك طريقهم وبنوا عليه ما تداولوه وتعارفوا عليه من شرب القدح ولبس الإزار وشدّ الوسط، وصححوا بذلك نسبتهم وشجرتهم، وفي كل ذلك سرٌّ وإشارة إلى معنًى شريفٍ هو صورة ذلك المعنى.

أما شرب الماء والملح، فالماء إشارة إلى العلم الحاصل بصفاء الاستعداد

(١) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

الأزليّ والحكمة الموهوبة بسابقة العناية التي هي ضالّة كل مؤمن، إذ به حياة القلوب كالماء الذي به حياة الأجساد.

والملح إشارةٌ إلى معنى العدالة، فإن الطعام لا يصلح ولا يعتدل طعمه إلاّ به، وهو أصلٌ في الأطعمة التي يتقوّى وينمو بها الأبدان، كما أن الكمال الخلقي لا يصلح ولا يستقيم إلاّ بالعدالة، وهي أصلٌ في المقامات الثلاثة المذكورة التي يتقوّى ويكمل بها القلوب.

وأما لبس الإزار، فإشارة إلى فضيلة العفاف، فإن ذلك صورة ستر العورة ومنع الفرج عن الشهوة، وهو الأصل في العفاف والعمود الذي قام به جميع أنواعه.

وأما شدّ الوسط، فهو إشارة إلى فضيلة الشجاعة وتمرين النفس بالقيام بالخدمة، فإنه صورتها، وفيها أقصى غاية التواضع الذي هو أساس الشجاعة وصورة الجهاد الذي هو كمالها. وسمّاه تكميلاً لأن كمال العلم بالعمل، والمعتبر في الفتوّة هو العمل الذي يسمّونه قدماً، لا العلم المسمّى بالنظر، فإن صاحب النظر عندهم نازل عن درجة صاحب القدم. فثبت أن هذه الأوضاع أمور يشار بها إلى جميع الفضائل التي يتم بها الفتوّة ويحصل بها صلاحية الولاية. ولأمرٍ ما جعلوا خرقة الفتوّة الإزار وخرقة التصوف الطاقيّة، فإن أول قدم فيها التعفف، وهو يتعلق بالأسافل، ومبدأ أمر التصوّف هو الترقي المتعلق بالأعالي.

وسنّوا في التّصوف حلق الرأس دون التّفتي، إشارة إلى إزالة موانع الترقي وبداوة الذي هو مقصدهم.

وأما التّفتي، فهو اقتناء الفضائل وإحراز المكارم، فلا حاجة فيها إلى ذلك، لأنه يقتضي الوجود.

وسمو الكامل في الولاية «الشيخ»، والكامل في الفضيلة «الفتى»، لأن الأول في مقام الروح الذي هو محض النور وغاية الكمال المعنوي المنتهي إلى الفناء الحقيقي، كما أن الشيخوخة هيئة البياض وغاية الكمال الصوري المنتهي إلى الفناء البدنيّ، والثاني في مقام القلب الذي هو غاية القوّة النفسانية وكمال الفطرة الإنسانية دون الرتبة الروحانية، كما أن الفتوّة غاية القوّة الجسمانية وكمال الصورة البشرية لا القوّة العقلية، ويلزم من ذلك أن الذي في مقام النفس هو الصبي بحسب المعنى، وظهر أنّ نهاية الفتوّة بداية الولاية، كما ذكروا أن الفتوّة جزءٌ من التصوف، كما أن الولاية جزء من النبوة، والله أعلم!.

# الفصل الثالث

## في خصائص أرباب الفتوة وسيرهم وطريقتهم

قال الله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب: الآية ٢٣]. مدحهم الله تعالى بكمال الرجولية وصدق الوعد والوفاء بالعهد، فإن الوفاء تمام البرّ وختام الأمر فيها كما أشير إليه، وبه وصف الله تعالى إسماعيل عليه السلام حيث قال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ [مريم: الآية ٥٤]. وقال في وصف المتقين: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟﴾ [البقرة: الآية ١٧٧].

ولقد أحسن المأمون في بعض منشآته بقوله:

إحفَظْ خليلَكَ لا تَقْطَعْ مَوَدَّتَهُ ... لا بارَكَ اللّهُ فيمَنْ خانَ أو قَطَعا

وأنشد بعض فتيان العرب:

فاكْرِمْ أخاكَ الدَّهْرَ ما دُمْتُما معاً ... كَفى بِالمَمَاتِ فُرْقَةً وتَنائيا

ومن خصائصهم المبالغة في حفظ الأسرار وصونها عن الأغيار، حتى لو هدّد أحدهم بالسيف وأوعد بأنواع الضيم وعذّب بالنيران لما وجد منه غير الكتمان. وقد ورد التعبير على الإذاعة في التنزيل حيث قال: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ﴾ [النساء: الآية ٨٣]؛ وأنشد بعضهم:

وفِتْيانِ صِدْقٍ لَسْتُ مُطْلِعَ بَعْضِهِمْ ... على سِرِّ بَعْضٍ غَيْرَ أنّي جِماعُها

لِكُلِّ امْرِءٍ شِعْبٌ مِنَ القَلْبِ فارِغٌ ... ومَوْضِعُ نَجْوى لا يُرامُ اطِّلاعُها

يَظَلُّونَ شَتّى في البِلادِ وسِرُّهُمْ ... إلى صَخْرَةٍ أعيَا الرِّجالَ انْصِداعُها

ومنها التكرُّم؛ وهو: حماية الحرمة ورعاية الحشمة في مواقع التهمة ومواضع الذلّة والريبة والإعراض عن مجاراة اللئام والسفهاء صيانةً للعرض وإبقاء للمرّواء، كما أنشد بعضهم:

ولقد أمُرُّ علَى اللّئيمِ يَسُبُّني ... فمَضَيْتُ ثُمَّةَ قُلْتُ لا يَعْنيني

وقال آخر:

أَلَمْ تَعْلَمي أنّي إذا النَّفْسُ أشْرَفَتْ ... على طَمَعٍ لَمْ أنْسَ أن أتَكَرَّما

وقال آخر:

ولَلْكَفُّ عَنْ شَتْمِ اللَّئيمِ تَكَرُّماً ... أضَرُّ له مِنْ شَتْمِهِ حينَ يُشْتَمُ(١)

ومنها سعة الصدر لتجرّد نفوسهم عن العلائق الدنيوية وعلوّ هممهم عن المناهج الفانية، فلا تغرّهم الأماني ولا تستخفّهم الحظوظ والمقادير، لا يحزنون بفواتٍ ولا يفرحون بما هو آتٍ، كما قال بعضهم:

كُلاً عَرَفْتُ فَلا النَّعْماءُ تُبْطِرُني ... ولا تَخَشَّعْتُ مِنْ لأْوائها جَزَعا(٢)

لا يَمْلأُ الهَوْلُ صَدْري قَبْلَ مَوْقِعِه ... ولا أضيقُ بِهِ ذَرْعاً إذا وَقَعا

لا يغشاهم حسدٌ ولا يلحقهم حقدٌ، كما قال قائلهم:

وإنّي لَتَرّاكُ الضَّغينَةِ قَدْ بَدا ... ثَراها مِنَ المَوْلى فما أسْتَثيرُها(٣)

لا يحتفلون بخيانةٍ ولا يبالون بملامة، قال الله تعالى: ﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: الآية ٥٤]. وأنشد بعضهم:

وإذا الفَتى عَرَفَ الرَّشادَ لِنَفْسِهِ ... هانَتْ عليهِ مَلامَةُ العُذّالِ(٤)

---

(١) هذا البيت من البحر الطويل وهو للشاعر العباسي المؤمل بن أميل بن أسيد المحاربي من أهل الكوفة. أدرك العصر الأموي واشتهر في العصر العباسي، عمي في أواخر عمره، وهو مجهول تاريخ الولادة. توفي سنة ١٩٠هـ.

(٢) هذا البيت من البحر البسيط وتفعيلته:

مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن

وهو للشاعر عبد العزيز بن زرارة الكلابي، قائد من الشجعان المقدمين في زمن معاوية رضي الله عنه، كان في من غزا القسطنطينية، وأبلى في قتال الروم البلاء العجيب، له شعر أورد ابن الأثير وأبو تمام أبياتاً منه (الموسوعة الشعرية، المجمع الثقافي - أبو ظبي).

(٣) هذا البيت من البحر الطويل وهو للشاعر المخضرم ميمون بن قيس بن جندل من بني قيس بن ثعلبة الوائلي، أبو بصير المعروف بأعشى قيس والأعشى الكبير، من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية وأحد أصحاب المعلقات مجهول تاريخ الولادة، توفي سنة ٧هـ. (الموسوعة الشعرية).

(٤) هذا البيت من البحر الكامل وتفعيلته: متفاعلن متفاعلن متفاعلن. وهو للشاعر الفاطمي الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد أبو إسماعيل مؤيد الدين الأصبهاني الطغرائي. شاعر من الوزراء الكتاب كان ينعت بالأستاذ، ولد بأصبهان سنة ٤٥٥هـ اتصل بالسلطان مسعود بن محمد السلجوقي صاحب الموصل فولاه وزارته. له ديوان شعر مطبوع وأشهر شعره (لامية العجم) توفي سنة ٥١٣هـ.

ومنها الرّفق والمداراة ولين الجانب مع مساكين المؤمنين وضعفائهم، والغلظة والعزّة والتشدد مع مردة الكفّار والعصاة وأقويائهم.

وكان من حسن مداراة رسول الله ﷺ أن لا يذمّ طعاماً ولا ينهر خادماً، وعن أنس أنه قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لي أفّ قطّ، ولا لشيء صنعته: لم صنعته؟ ولا لشيءٍ تركته: لم تركته[(١)]؟!.

وفي الخبر: «أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم؟ قيل: ماذا كان يصنع أبو ضمضم؟ قال: كان إذا أصبح قال: اللهمَّ إني اليوم تصدّقت بعرضي على من ظلمني، فمن ضربني لا أضربه ومن شتمني لا أشتمه ومن ظلمني لا أظلمه[(٢)]».

وقال أمير المؤمنين رضي الله عنه السلام: أنه سئل رسول الله ﷺ عن حسن الخلق، فقال: «تعطي من حرمك، وتصل من قطعك، وتعفو عمّن ظلمك»[(٣)].

وفي التّنزيل: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فُصّلت: الآية ٣٤].

ولعمري إن هذه الخصلة لا يبلغ كنهها ولا يقدر قدرها، تثبت لصاحبها الفضيلة وتزيل عن خصمه وصمة الرّذيلة، لا تظهر نفسه وتتقمع نفس خصيمه بقوّة قلبه. وقال النبي ﷺ: «مَنْ يُحْرَم الرّفقَ يحرَم الخير»[(٤)].

وعن عبد الله بن أبي بكرٍ عن رجلٍ من العرب قال: زحمت رسول الله ﷺ يوم حنينٍ وفي رجلي نعلٌ كثيفة فوطئت بها على رِجْلِ رسول الله، فنفحني نفحةً بسوطٍ في يده، وقال: بسم الله، أوجعتني! قال: فبتّ لنفسي لائماً أقول: أوجعت رسول الله! قال: فبتّ بليلةٍ كما يعلم الله، فلما أصبحنا إذا رجل يقول: أين فلان؟ قلت: هذا والله الذي كان مني بالأمس، فانطلقت وأنا متخوّفٌ، فقال لي: إنك وطئت بنعلك

---

(١) رواه الترمذي في سننه، باب ما جاء في خلق النبي ﷺ، حديث رقم (٢٠١٥) [٤/ ٣٦٨] والطبراني في المعجم الكبير، عن مهاجر مولى أم سلمة زوج النبي ﷺ، حديث رقم (٧٨٣) [٢٠/ ٣٣٠] ورواه غيرهما.

(٢) روي بألفاظ أخرى متقاربة منها ما رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة برقم (٦٥) [١/ ٦٠] وابن عبد البر بالاستيعاب حديث رقم (٣٠٥٠) [٤/ ١٦٩٤].

(٣) رواه الحاكم في المستدرك، تفسير ﴿إذا السماء انفشت وأذنت لربها وحقت﴾، حديث رقم (٣٩١٢) [](٢/ ٥٦٣] والبيهقي في سننه الكبرى حديث رقم (٢٠٨٨١) [١٠/ ٢٣٥] ورواه غيرهما.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، باب فضل الرفق، حديث رقم (٢٥٩٢) [٤/ ٢٠٠٣] وابن حبان في صحيحه، ذكر الاستدلال على حرمان الخير، حديث رقم (٥٤٨) [٢/ ٣٠٨] ورواه غيرهما.

على رجلي بالأمس، فأوجعتني! فنفحتك نفحةً بالسوط، فهذه ثمانون نعجة فخذها بها[(١)]!. وأنشد بعضهم:

هَينُونَ لينُونَ أيْسَارٌ ذَوُو كَرَمٍ  شُوّاسُ مَكْرُمَةٍ أبْناءُ أيْسارِ
لا يَنْطِقُونَ عَنِ الفَحْشاءِ إنْ نَطَقُوا  ولا يُمارُونَ إنْ مارَوْا بإكْثارِ[(٢)]

والغلظة هي: استعمال قوّة القهر لفرط الحميّة، قال الله تعالى: ﴿وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة: الآية ١٢٣].

وكذا الشدّة؛ قال الله تعالى في وصف المؤمنين: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: الآية ٢٩].

والعزّة نوعان:

**أحدهما**: ترفّع النفس عن أن تذلّ لعدوّ أو لئيم أو عظيم في الدنيا، فيلزم الضعة. قال الله تعالى في وصف المحبوبين: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: الآية ٥٤].

قيل للحسن: ما أعظمك في نفسك؟ قال: لست بعظيم، ولكني عزيز!. وأما قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: الآية ٨].

**والنوع الثاني**: هو معرفة الإنسان قدر نفسه وشرفها وإكرامه إياها عن أن يضعها لأقسام عاجلة دنيوية ويذلّها لمطمع في مطعم أو مشربٍ أو غير ذلك من الأمور الخسيسة، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: الآية ٨]، وقال الشاعر:

وأُعْرِضُ عَنْ مطاعِم قد أراها  فَأتْرُكها وفي بَطْني انْطِواءُ[(٣)]

وقال آخر:

وإنّي لعَفٌّ عَنْ مطاعِمَ جَمَّةٍ  إذا زَيَّنَ الفَحْشاءِ للنّاسِ جُوعها[(٤)]

ومنها الغيرة؛ وهي: الاستنكاف عما يوجب العار ويقدّم الأغيار، ومنشؤها

(١) رواه الدارمي في سننه، باب في سخاء النبي ﷺ، حديث رقم (٧٢) [١/ ٤٨].
(٢) لم أعثر على قائل هذين البيتين.
(٣) لم أعثر على قائل هذين البيتين.
(٤) لم أعثر على قائل هذين البيتين.

شعور النفس بشرفها وصفاء جوهرها وكرامتها لتجرّدها عن دنس الطبائع وقذر المواد وقربها من الحضرة الإلٰهية ومناسبتها للوحدة الحقيقية، قال النبي عليه السلام: «سعدٌ غيورٌ وأنا أغير من سعدٍ والله أغير مني».

ومنها التَّجمل؛ وهو: إظهار الغنى والرخاء وإسرار الشدة والبلاء، وذلك نتيجة عزّة النفس وثمرة مقام الشكر وعلامة الوثوق والاستغناء بالله، فإن إظهار الفاقة شكايةٌ وذلّة وعجزٌ وضعف. قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝﴾ [الضحى: الآية ١١]. وقال أمير المؤمنين رضي الله عنه: «رضي بالذّل من كشف ضرّه».

ومن سننهم الضيافة والقرى؛ وذلك أن الفتوة ظاهرة الولاية ومبدؤها، والولاية باطن الفتوّة ومنتهاها، وصاحب الولاية يرى الكل بنظر الوحدة أعضاءه وجوارحه ويفيض الخير والكمال عليهم بمقتضى الجود والرحمة التامة، فيجب أن يكون صاحب الفتوّة يراهم ـ بنظر المحبة ـ إخوانه وأقاربه ويؤثرهم بالنفع والراحة بمقتضى الأخوّة والشفقة العامة، ليطابق الظاهر الباطن ويوافق المبدأ المنتهى، وتتناسب الصورة المعنى، فيتحمل المشقة في إراحة الأصحاب، ويهين نفسه في إكرام الأضياف ويؤثرهم بقوته عند فاقته، ولا يطلعهم على فقده وحاجته.

روي أنه جاء رجل إلى رسول الله ﷺ في يوم ذي مسغبةٍ، فقال: يا رسول الله إني جائع، فأطعمني!

فبعث النبي ﷺ إلى أزواجه: «هل عندكنّ شيء؟».

فكلهن قلن: والذي بعثك بالحق نبياً ما عندنا إلاَّ الماء.

فقال عليه السلام: «مَن يضيف هذا هذه الليلة رحمه الله؟!».

فقام رجل من الأنصار، فقال: أنا يا رسول الله! فقالت: ما عندنا إلاَّ قوت الصبية! فقال: قومي وعلّليهم عن قوتهم حتى يناموا ولا يطعموا شيئاً ثم أسرجي فإذا أخذ الضيف ليأكل قومي كأنك تصلحين السراج فأطفئيه وتعالي نمضغ ألسنتنا لضيف رسول الله ﷺ حتى يشبع!.

فقامت إلى الصبية فعلّلتهم حتى ناموا عن قوتهم، ثم قامت وثرّدت وأسرجت، فلما أخذ الضيف ليأكل قامت كأنها تصلح السراج فأطفأته فجعلا يمضغان ألسنتهما وظنّ الضيف أنهما يأكلان معه حتى شبع وباتا طاويين!.

فلما أصبحوا غدوا إلى رسول الله ﷺ، فلما نظر إليهما تبسّم وقال: «لقد عجب الله من فلان وفلانة هذه الليلة!». فأنزل الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ

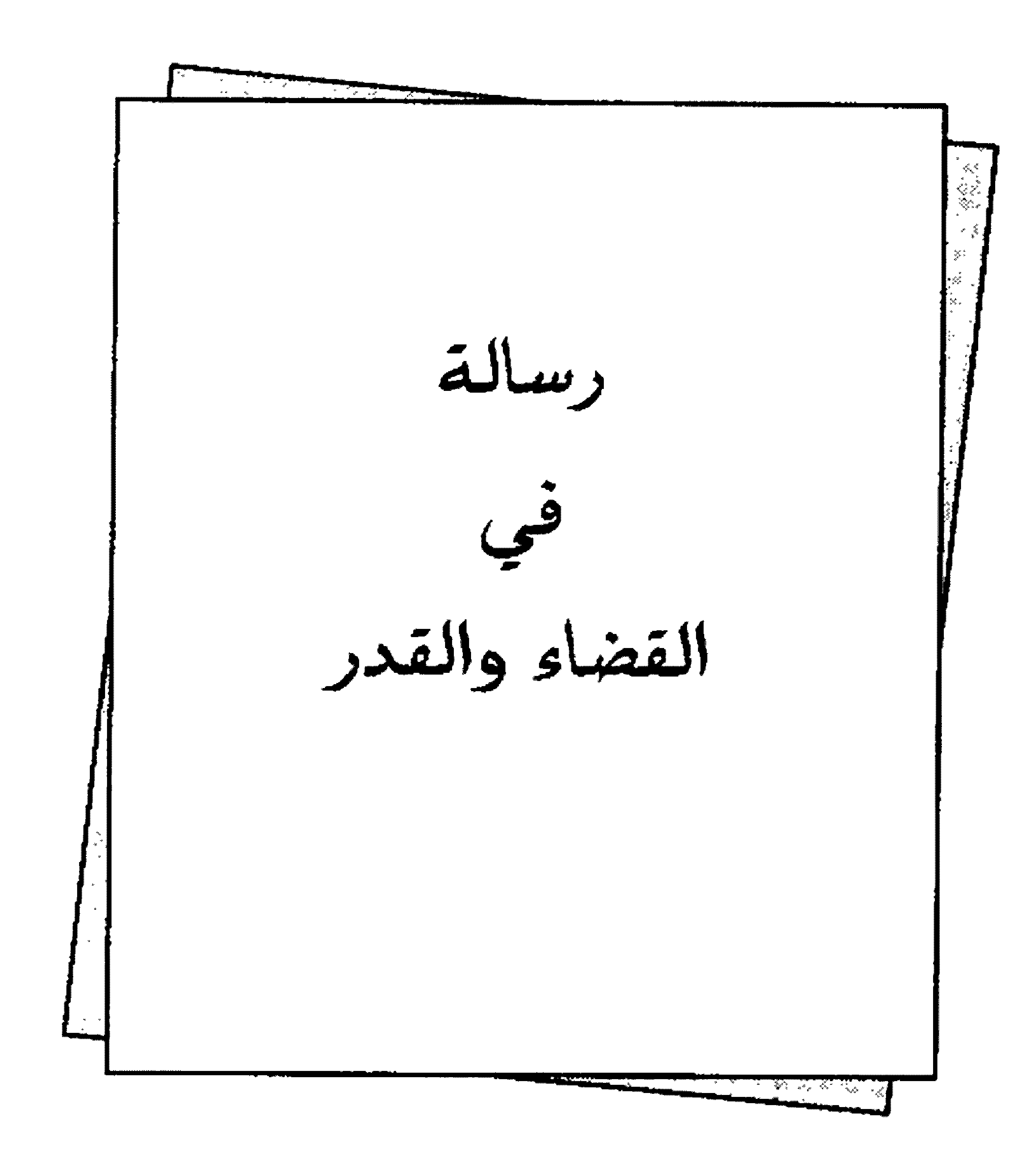
خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: الآية ٩][(١)].

وروي أنه اجتمع عند أبي الحسن الأنطاكي نيّفٌ وثلاثون رجلاً وله أرغفةٌ معدودة لا يشبع خمسة منهم، فكسروا الرغفان وأطفأوا السراج وجلسوا للطعام فإذا رفعوا الطعام إذا هو بحاله لم يأكل أحد إيثاراً منه على نفسه.

وحكاياتهم في هذا الباب تأبى الحصر وتنافي وضع هذا المختصر؛ من أرادها فليتتبع الآثار والأخبار وليطالع الكتب والأسفار، فإن فيها عجائب والروايات عنهم تسفر عن غرائب، ومن لم يغنه الكليّ، لم يغنه الجزئيّ ومن لم ينتفع بالتعريض لم ينفعه التصريح، وفي الجمل ما يغني عن التفصيل. والله الهادي إلى سواء السبيل وصلى الله على محمد إلى يوم الفصيل!.

---

(١) روي بألفاظ متقاربة منها ما رواه البخاري في صحيحه، باب قول الله تعالى: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾، حديث رقم (٣٥٨٦) [٣/ ١٣٨٢] والحاكم في المستدرك، كتاب الأطعمة، حديث رقم (٧١٧٦) [٤/ ١٤٥] ورواه غيرهما.


رسالة
في
القضاء والقدر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أحاط علمه بالأشياء جملةً وتفصيلاً، عيّنها في قضائه السابق تعييناً ثم نزّلها بقدره المعلوم تنزيلاً، رتّبها بمقتضى مشيئته أحسن ترتيبٍ وخصصها على وفق عنايته بالتّبعيد والتقريب، أبدع المبدَعات بقدرته فأبدى آزالها، وأنشأ الكائنات بحكمته فسمى آجالها، نظمها في سلك الزمان تقديماً وتأخيراً ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: الآية ٢].

والصلاة على من دبّر بدرايته نظام العالم وكمل بهدايته أخاثر بني آدم، وعلى آله أكامل ذوي المعارف والحِكَم وأكارم ذوي المكارم والكرم.

أما بعد، فقد سألني مَن عزّت عليّ مسألته ولزمتني من طريق الأخوة إجابته أن أملي ما حضرني في القضاء والقدر، فأسعفته بتأليف هذا المختصر، مرتباً لمباحثه في فصول ومنقّحاً لأصوله عن فضولٍ متمسكاً بعصمة الله عند الزلل معتصماً بتأييده في مواقع الخلل.

## الفصل الأول

# في معنى القضاء والقدر والفرق بينهما وبين العناية الأولى

القضاء ها هنا عبارة عن ثبوت صور جميع الأشياء في العالَم العقليّ على الوجه الكلي.

والقدر عبارة عن حصول صور جميع الموجودات في العالَم النفسي على الوجه الجزئي. مطابقةً لما في المواد الخارجية مستندة إلى أسبابها، واجبة بها، لازمة لأوقاتها. ويشملها العناية الإلٰهية ـ المسماة بالعناية الأولى ـ شمول القضاء للقدر والقدر لما في الواقع، فهي عبارة عن إحاطة علم الله تعالى بالكل على ما هو عليه إحاطة كليّة تامة. ولا محل لها، إذ ليس علم الله تعالى المستأثر لذاته إلاّ حضور ذاته لذاته بوحدته الذاتية ولِما بحضرته من التعيّنات اللازمة لذاته بوحدته. وتلك الحقيقة اقتضت ـ أول ما اقتضت من تعيّناتها ـ جوهراً روحانياً يسمى بالروح الأول والعقل الأول والقلم الأعلى ـ على ما وردت به الأحاديث النبوية ونطقت به الحكمة الإلٰهية ـ وبتوسّطه جواهر أخر روحانية وأخرى نفسانية مع أجرامها السماوية وعناصر جسمانية مع قواها الطبيعية ـ على ما أشير إليه في الكتب الحكميّة ـ وذلك الجوهر هو روح العالَم، ينتقش فيه صور جميع الأشياء على ما عليه نظامها وهيئاتها وكمالاتها على وجه كلّي، والباري يعلمه ويعيّنه مع تلك الصور الثابتة فيه بأعيانها، لا بصورٍ زائدة عليها بل بمجرد حضوره لها، وذلك الحضور هو العناية، فتبيَّن أنه لا محل لها.

وأما القضاء والقدر فلكلٍّ منهما محلٌّ. والله أعلم!.

## الفصل الثاني

## في بيان محلّ القضاء

لما ثبت وجود صور روحانية هي جواهر مجردة عن المواد، منزّهة عن الفساد، مدركة لذواتها ولما عداها بذاتها، غير متعلّقة بالأجسام ـ على ما بُيِّن في الحكمة بالبرهان، ونُصَّ عليه في السّنة والقرآن، كما قال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: الآية ٨٥]، وقال النبي ﷺ: «إنَّ الله كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق أنّ رحمتي سبقت غضبي فهو مكتوب عنده فوق العرش»[(١)]، وقال: «خُلِقَت الملائكة من نور»[(٢)]، فنقول: إنها أنوار قاهرة مؤثّرة فيما تحتها من النفوس والأجرام بتأثير الله فيها، فقاهريتها ـ التي هي تأثيرها في غيرها ـ صورة صفة قاهرية الله تعالى وأثر من آثار قدرته، كما أن نوريّتها سبحة من سبحات وجهه، وبهذا الاعتبار يسمى: الملائكة المقرّبين، وعالَمُها: عالَمُ القدرة، وكما يفيض منها صور الأشياء وحقائقها بإفاضة الحق سبحانه فكذلك يفيض منها صفاتها وكمالاتها التي بها يجبر نقصانها، وبهذا الاعتبار يُسمى عالَم الجبروت.

أو باعتبار أنها يجبرها على طلب كمالاتها والتوجّه إليها عند فقدانها وحفظها عند حصولها ما أمكن ـ وهي صورة صفة جبّارية الله تعالى، ومعلوم أن تلك الحقائق والكمالات الفائضة منها لو لم تكن ثابتة فيها لم يكن فيضانها عنها ـ فإذن تلك الحقائق بأعيانها وكمالاتها منتقشةٌ فيها، وبهذا الاعتبار يسمى عقولاً. وذلك الانتقاش هو صورة القضاء الإلهي، فمحله: عالَم الجبروت، وهو المُسمّى بأم الكتاب، الذي أشار إليه قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ [الرعد: الآية ٣٩].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، باب قول الله تعالى: ﴿بل هو قرآن مجيد﴾ حديث رقم (٧١١٤) [٦/ ٢٧٤٥] وأحمد في المسند عن أبي هريرة، حديث رقم (٨٩٤٤) [٢/ ٣٨١] ورواه غيرهما.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، باب في أحاديث متفرقة، حديث رقم (٢٩٩٦) [٤/ ٢٢٩٤]، والبيهقي في سننه الكبرى، باب مبتدأ الخلق، حديث رقم (١٧٤٨٧) [٩/ ٣] ورواه غيرهما.

وكل ما يفيض علينا من العلوم الحقّة ـ الموسومة بالعلوم اللدنيّة ـ يفيض عنه؛ كما قال في القرآن: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾ [الزخرف: الآية ٤]. وقال: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤﴾ [العلق: الآيتان ٣، ٤] وتلك الجواهر هي خزائن غيبه، كما قال: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ [الحجر: الآية ٢١].

ولا شك إنها متعالية عن تعلّق الزمان، مقدّسة عن تغيّر الحدثان، فالقضاء كذلك. والله أعلم!.

## الفصل الثالث

# في بيان محلّ القدر

كما أن العالَم الروحاني بجوهره المجرّد محل القضاء، فالعالَم النفساني بجِرمه السماوي محل القدر، إذ الصور الكلية في عالَم القضاء من غاية الصفاء لا تتراءى ولا يتمثّل في معلوميتها لغيرها لشدة نوريتها، كمرآةٍ مضيئة ترد البصر عن إدراك ما فيها من الصور بشعاعها فيها، فتنسخ تلك الصور منه في لوح النفس الناطقة الكلية التي هي قلب العالَم، كما تنسخ بالقلم في اللوح صوراً معلومة مضبوطة منوطة بعللها وأسبابها على وجهٍ كلّي، وكما يظهر في قلوبنا عند استحضارنا للمعلومات الكلية - كالصور النوعية مثلاً - وكُبريَاتِ القياس عند طلب الرأي الجزئي المنبَعث عنه العزم على الفعل، وهو اللوح المحفوظ لانضباط تلك الصور فيها وانحفاظها عن التغيّر، ثم تنتقش منه في النفوس السماوية الجزئيّة التي هي قوى نفوسها الناطقة منبعثة منها، منطبعة في أجرامها نقوشاً جزئيّة مشخّصة بأشكال وهيئات معيّنة، مقارنة لأوقات معيّنة مقدَّرة بمقادير وأوضاع معيّنة من لواحق المادة على ما تظهر في الخارج، كما ينتقش في قوّتنا الخيالية من المعلومات الجزئية، كالصور الشخصية وصغريات القياس مثلاً ليحصل بانضمامها إلى تلك الكبريات رأي جزئي ينبعث عنه القصد الجازم إلى الفعل المعيّن، فيجب عنا الفعل.

وذلك العالَم هو لوح القدر وخيال العالَم والسماء الدنيا، التي تنزل إليها الكائنات أولاً من غيب الغيب ثم يظهر في عالم الشهادة - كما ورد في السُنّة - وتلك النفوس من قوى نفوسها الناطقة بمثابة قوانا الخيالية من نفوسنا، وكلٌ منها في كتاب مبين، كما أُشير إليه بقوله تعالى: ﴿وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: الآية ٥٩]، وقوله: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٦﴾ [هود: الآية ٦]، وقوله: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٢٢﴾ [الحديد: الآية ٢٢].

وحصول تلك الصورة المعيّنة المقيّدة بوقتها المعيّن هو قدر الشيء المعيّن

الخارجي كما قال: ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: الآية ٢١]. ولا شك أن وقوعها في الخارج عند حضور ذلك الزمان ضروري. وهذا العالَم هو عالَم الملكوت العمّالة بإذن الله المسخَّرة بأمره، المدبّرة لأمور العالَم بإعداد المواد وتهيئة الأسباب، فمحل القدر هو عالَم الملكوت كما أنّ محل القضاء هو عالم الجبروت.

وهذه جملة تحتاج إلى التفصيل.

## الفصل الرابع

# في تفصيل ما ذُكر إجمالاً

وهو أن الأجرام السماوية ذوات نفوسٍ ناطقةٍ لها إدراكات وإرادات كلّية بذواتها وإدراكات وإرادات جزئيّة بآلاتها كحال نفوسنا بعينها، تشتاق كلٌّ منها إلى كمال جوهر روحيٍّ هو مُفيضها ومكمّلها القريب تشبّهاً به لإدراكها بعض كمالاته، فيطلب وضعاً كليّاً ويستعد به لذلك الشّبه وينضم إلى إدراكاتها الكلية إدراكاتاً جُزئية، فينبعث منها أشواق وإرادات جزئية توجب حركاتٍ جزئية كما هو حالنا في حركاتنا عند إرادة تحصيل مطلوبٍ ما، وبكلِ حركةٍ يحصل للمتحرك بها وضعٍ جديد يفيض بذلك الوضع على نفسه من معشوقه صورةً عقلية هي كمالٌ لها وإشراقٌ نوريٌ توجب لها لذّة جديدة وشوقاً جديداً إلى كمال آخر، وإرادة لما يوصل إليه مِن الوضع فينطبع من تلك الصورة في قوّتها الخيالية صورةً جزئية مع لذّة جزئية ينبعث منها شوق جزئي ومطلب لوضع جزئي تتخصص به الإرادة الأولى الكلية فتصير إرادة جزئية جازمة لحركة جزئية موجبة لذلك الوضع، فيصدر عنه حركة أخرى جزئيّة وينزل بكل وضع من تلك النفوس على مواد العالَم بحسب استعداداتها صورة تتكمّل بها تلك المواد وتتهيّأ لقبول الصورة التالية لهذه الصورة الحاصلة ـ التي سيحدث بالوضع اللاحق لهذا الوضع الحاصل ـ وعلى هذا تتعاقب الحركات وتتلاحق الأوضاع فتتوالى الصور على النفوس السماوية وبتواتر فيضانها على المواد متتالية. فتتعاقب استعداداتها لقبول الصور وتترادف صورها، وقد مرّ أن ثبوت الصور في معشوقاتها ـ التي هي الأرواح ـ ثبوتاً سرمدياً باقياً على حاله أزلاً وأبداً هو القضاء، فحدوثها في النفوس الخياليّة السماوية ـ منطبعة في أجرامها متشخّصة ـ هو القَدَر.

وبعضهم يطلقون القدر على حصول تلك الصور في موادها المتعيّنة في الخارج، يرون أن المحو والإثبات لا يكونان إلاّ في المواد والصور الجزئية المنطبعة في الفلكيات ثابتة أبداً بحالها، ونحن نرى أن المحو والإثبات فيهما، فيتبعهما الكون والفساد في المواد، ولا شك أن الثاني لازم للأول لزوماً ضرورياً؛ وعلى أي حالٍ فمن الأوضاع أوضاع كلية يتبعها كون الأعيان وفسادها، ومنها جزئيات يتبعها

أحوالها المترادفة وكمالاتها المتعاقبة، وهذه الجزئيات متخلّلة بين تلك الكليات متداخلة فيها، فتكون كل طائفةٍ من الأوضاع المترتّبة الموجبة لتلك الأوضاع لكمالٍ كائنٍ ما أو حدوث حالٍ من أحواله وتغيّرها منحصرة بين وضعين منها.

**أحدهما**: تقتضي حدوث ذلك الكائن.

**والثاني**: تقتضي زواله والامتداد الواقع بين هذين الوضعين المستمر مع تلك الأوضاع المتخلّلة بينهما الذي هو مجموع مقادير الحركات الموجبة لتلك الأوضاع مدة بقاء ذلك الحادث، والنقش الحادث عند الوضع الأخير هو الكتاب المشار إليه بقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: الآية ٣٨] إن فسّرنا الأجل بمعنى انتهاء المدة؛ وإن فسّرناه بمعنى جميع المدّة فالنقش الحادث عند الوضع الأول مع سائر النقوش الواقعة بينهما عند كل وضعٍ إلى ذلك النقش، ولا شك أن تلك المدة متعيّنة بتقدّر أحوال ذلك الحادث بحسب أجزائها بحيث لا يقع كل حالٍ حالٍ منها إلاّ في جزءٍ جزءٍ معيّن من أجزاء ذلك الزمان، ولهذا لا يمكن الفرار مِن القدر، كما قال الله تعالى: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ﴾ [الأحزاب: الآية ١٦]، وقال: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: الآية ٣٤].

وأما نقوش عالم القضاء فلأنها منزّهة عن الحَدْثان غير متقدّرةٍ بحسب أجزاء الزمان. قال عليه السلام في جواب مَن سأله عند انحرافه عن جدارٍ يريد أن ينقضّ: أتَفِرُّ من قضاء الله؟.

أجاب ﷺ: «أفِرُّ مِن قضائه إلى قدره!»[1]. فتحقّق أنّ قدره تفصيل قضائه!. والله بكل شيء محيط.

---

(١) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

● الفصل الخامس ●

## في إيراد مثالٍ مناسبٍ لهذا المعنى

اعلم، أن صورة العالَم بعينها كصورة الإنسان، فكما أن لأفعال الإنسان عند صدورها منه وبروزها من مكامن غيبها إلى مظاهر شهادتها أربعة مراتب، لكونها:

١ ـ أوّلاً في مكمن روحه ـ الذي هو غيب غيوبه ـ في غاية الخفاء كأنها غير مشعورٍ بها لغاية.

٢ ـ الصّفاء ثم تنزل إلى حيّز قلبه عند استحضارها وإخطارها بالبال كليّة.

٣ ـ ثم تنزل إلى مخزن خياله مشخّصةً جزئيةً.

٤ ـ ثم تتحرك أعضاؤه عند إرادة إظهارها فيظهر في الخارج، فكذلك لِما يحدث في العالَم من الحوادث، إذ الأولى بمثابة القضاء، والثانية بمثابة نقش اللوح المحفوظ، والثالثة بمثابة الصورة في السماء الدنيا ونقش لوح القدر على ما نراه، والرابعة بمثابة الصورة الحادثة في المواد العنصرية.

ولا شك أن النزول الأول لا يكون إلاّ بإرادةٍ كليّة، والنزول الثاني بإرادةٍ جزئيّة خفيّة ينضم إلى الإرادة الأولى الكليّة، فتخصص بها، فتصير جزئيّة فينبعث بحسب ملاءمتها ومنافرتها رأيٌ جزئيٌ يستلزم إرادة جازمة داعية إلى إظهاره، فتتحرّك الأعضاء والجوارح ويظهر الفعل، فحركة الأعضاء بمثابة حركة السماء وظهور الفعل هو القدر على المذهب الثاني، وكما أنّ سلطان الروح ـ الذي هو التعقّل والإدراك في البدن ـ لا يظهر إلاّ في الدماغ، فكذلك سلطان الروح الكلي الذي هو روح العالَم ليس إلاّ في العرش، فهو مِن العالَم بمنزلة الدماغ منّا؛ وكما أن مظهره الأول فينا هو القلب ـ الذي هو منبع الحياة ـ فكذلك مظهره الأول فيه هو الفلك الرابع ـ الذي هو فلك الشمس ومنبع حياة العالَم ـ فهو مِن العالَم بمنزلة الصدر والشمس بمنزلة القلب الصنوبري منّا، وأما القلب الحقيقي فهو النفس الناطقة الكلية ـ كما ذكرنا ـ، وروح هذا الفلك بمثابة الروح الحيواني الذي في القلب، إذ به تحيى جميع الأعضاء، وهو البيت المعمور المشهور في الشريعة في أن السماء الرابعة المُقسَم به في التنزيل،

حيث قال: ﴿وَٱلطُّورِ ① وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ② فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ③ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ④ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ⑤ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ⑥﴾ [الطُور: الآيات ١-٦] ولهذا جُعل مقام عيسى روح الله ﷺ، وكانت معجزته إحياء الموتى.

والطُّور هو العرش، والكِتابُ المَسْطُور هو نقش القضاء الأول الثابت في الروح الأول، وتلك الروح هو الرّقّ المنشور، والسّقْف المرفوع هو السماء الدنيا المذكورة، وقُرنت بالبيت المعمور لنزول الصور منها ونفخ الروح منه فيتمّ خلق الحيوان بهما، والبحر المسجور هو بحر الهيولى السيّالة المملوء بالصور. والله أعلم.

## الفصل السادس

# في بيان الأفعال الاختيارية

قد تبيَّن مما سلف أنّ كل ما يقع في هذا العالَم مقدّرٌ بهيئته وزمانه في عالمٍ آخر قبل وجوده، فإن اشتبه عليك حال الأفعال المنسوبة إلى الاختيار وتخيّل إليك أنها على هذا التقدير يكون بالاضطرار، فما بالنا نتصرّف فيها بالتدبير والتغيير ونصرّفها بالتقديم والتأخير، ونجد الفرق بين المجبر عليها والمخيّر والمختار والمضطرّ؟ ولماذا نواخذ بها ونعاقب عليها أو نؤجر ونثاب بقصدها؟ وما الفرق بين سهوها وعمدها؟ وكيف يتجه المدح والذم لنا؟ وأنّى يتوجه الأمر والنهي إلينا؟ وأي فائدة للتكليف بالطاعات والعبادات ودعوة الأنبياء بالآيات والمعجزات؟ وأي تأثيرٍ للسعي والجد والجهد؟ وأي توجيه للوعيد والوعد؟ وما معنى الابتلاء في مثل قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: الآية ٧]، وما لا يُحصى كثرةً في الآيات الدالة على أنّ مدار التكليف هو الاختيار وبناء الأمر في الاختيار على الاختيار، بل نحال قاعدة التكليف والتدبير على هذا التقدير عبثاً وهباء، وأكثر كلام الله هدراً وهُمزاً! فاستغفر الله العظيم وتب إليه!.

ثم تأمّل جريان الأمر الإلٰهي في مجاري القضاء والقدر، وتفكّر في ترتّب سلسلة الأسباب والعلل، وتدبّر مباني الأمور حق التدبّر ومعاني الآيات بقوة التفكّر؛ عسى الله أن يؤيدك بالتّوفيق بعد الاستغفار فتبادر عند التحقيق إلى الاعتذار، إذ القضاء والقدر إنما يوجبان ما يوجبان بتوسط أسباب وعلل مترتّبة منتظمة، بعضها مدبّراتٌ ومعداتٌ كالنفوس السماوية والحركات والأوضاع الفلكيّة والصور واللواحق المادية والأمور الجارية مجرى الأشياء الاتفاقية وغيرها من الإدراكات والإرادات الإنسانية والحركات والسكنات الحيوانية، وبعضها فاعلاتٌ ومُفيضات كالمبادي العالية من الجواهر العقلية، وبعضها قوابل واستعدادات ذاتيّة وعارضية إياها يختص بها بحالٍ دون حال وصورة دون صورة ترتباً وانتظاماً متقناً معلوماً في القضاء السابق، فاجتماع تلك الأمور ـ التي هي الأسباب والشرايط ـ مع ارتفاع الموانع علّة تامة يجب عندها وجود ذلك الأمر المدبّر المُقضي المقدّر، وعند تخلّف واحدٍ منها أو

حصول مانع بقي وجوده في حيّز الإمكان كأن لم يكن واحد منها سواء، فإذا كان من جملة الأسباب ـ وخصوصاً القريبة منها ـ وجود هذا الشخص الإنساني أو الحيواني وإدراكه وعلمه وقدرته وإرادته وتفكّره أو تخيّله ـ اللذان يختار بهما أحد طرفي الفعل أو الترك ـ كان ذلك الفعل اختيارياً واجباً وقوعه بجميع تلك الأمور المُسماة علّة تامة ممكناً بالنسبة إلى كل واحد منها، فوجوبه لا ينافي كونه بالاختيار، كيف وإنه ما وجب إلاّ به.

وإن اشتهيت أن نفصّل لك هذه الجملة تفصيلاً واضحاً ونبيّنها بياناً شافياً، فلنورد تلخيصها في فصل مفردٍ، فاستمع إليه متيقظاً وفرّغ لي قلبك متفطّناً ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق: الآية ٣٧].

## في تفصيل ما اجمل وتلخيص ما اورد

اعلم، أن الإدراك والعلم والقدرة والإرادة ـ كلها ـ من الكيفيّات النفسانية ومعانيها بديهيّة، وأما تعريفها بحسب الاسم والاستعمال في هذا القسم.

فالعلم: حصول صورة الشيء في النفس.

والإدراك: هو الشعور بأحد المشاعر الظاهرة ـ كالحواسّ ـ أو الباطنة ـ كالعقل والوهم، الذي هو مبدأ العلم ـ.

والقدرة: هي الهيئة النفسانية التي يتمكن بها مِن الفعل أو الترك على السواء.

والإرادة: هي العزيمة الجازمة الباعثة على الفعل أو الترك.

فإذا أدركنا شيئاً علمناه، وإذا علمناه فإن وجدنا ملائمته أو منافرته لنا دفعةً بالوهم أو ببديهة العقل انبعث منّا شوق إلى جذبه أو دفعه دفعةً وذلك الشوق بعينه هو العزم الجازم المسمى إرادة، وإذا انضمت إلى القدرة ـ التي هي هيئة القوّة الفاعلة ـ انبعث تلك القوة لتحريك الأعضاء فتحصل الحركة واجبة بالاختيار وهو انضمام الإرادة إلى القدرة، وإن لم نجد الملائمة أو المنافرة بالضرورة استعمل العقل قوّة التفكر والوهم قوّة التخيّل لطلب الترجيح بإرادةٍ عقلية أو وهميّة، فيتحركان حركةً اختيارية في الطلب، فربما كان ملائماً ببعض الوجوه غير ملائم ببعضها ـ ككونه ملائماً لبعض الحواس غير ملائم لبعضها، أو ملائماً لبعض الأعضاء غير ملائم لبعضها، أو ملائماً للحسّ غير ملائم للعقل أو بالعكس، أو ملائماً في العاجل غير ملائم في الآجل، أو بالعكس، أو ملائماً بحسب بعض المصالح غير ملائم بحسب بعضها ـ ويحدث بحسب كل ملائمةٍ داعٍ وبحسب كل منافرةٍ صارفٌ، فإن ترجّحت الدواعي حدث عزم جازم على الفعل، فيجب الفعل بانضمام ذلك العزم إلى القدرة ـ الذي هو الاختيار ـ، وإن ترجّحت الصوارف حدث عزم جازم على الترك فيجب الترك بالاختيار، وهناك يتوجّه الثناء والملائمة والمدح والمذمّة بحسب حسن الاختيار ـ بقوّة التفكّر والتخيّل ـ وسوء الاختيار، ويترتّب الثواب والعقاب ويظهر

الفرق بين المُكره والمختار، وربما لا يظهر وجه الرجحان فتبقى النفس في التردّد والتحيُّر، أو يظهر على بعض الأوضاع والتقادير دون البعض فيحدث التصرّف والتدبير بالتغيير من وجه إلى وجه وحالٍ إلى حالٍ، والتقديم والتأخير من وقت إلى وقت على مقتضى الرأي الصحيح أو الفاسد.

ولا شك أن وجود الإدراك والعلم والقدرة والإرادة والتفكّر والتخيّل وسائر القوى والآلات مع ترتّبها ـ كلها ـ بفعل الله تعالى لا بفعلنا واختيارنا؛ وإلاّ لتسلسلت القدر والإرادات إلى غير نهاية، أو دارت، فمن نظر إليها قاصراً نظره على تلك الأسباب القريبة للفعل ورآها مؤثّرة بالاستقلال قال بالقدر والتفويض ـ أي: بكونها واقعة بقدرتنا مقدّرة بتقديرنا مفوّضة إلينا ـ، ولهذا قال عليه السلام: «القدريّة مجوس هذه الأمة»[1]؛ لأنها تثبت مبدأين قادرين مستقلّين، كالمجوس القائلين بـ«يزدان»، و«أهرمن» الذين أحدهما مبدأ الخير عندهم والثاني مبدأ الشر بالاستقلال؛ وقد أصرُّوا على أن الشرور منا يقع لا بإرادة الله تعالى ومشيئته، ومَن نظر إلى السبب الأول وكون تلك الأسباب والوسائط مستندة بأسرها على الترتيب المعلوم في سلسلة العلل والمعلولات إلى الله تعالى استناداً واجباً وترتيباً معلوماً على وفق القضاء والقدر وقطع النظر عن الأسباب القريبة مطلقاً قال بالجبر وخلق الأفعال، ولم يفرّق بينها وبين أفعال الجمادات، وكلاهما أعور لا يُبصِرُ إلاّ بإحدى عينيه! أما القدرية فبالعين اليُمنى ـ أي: النظر الأقوى الذي به يدرك الحقائق ـ، وأما الجبرية فباليسرى ـ أي: النظر الأضعف الذي به يدرك الظواهر ـ، وأما مَن نظر حق النظر فأصاب، فقلبه ذو عينين يُبصر الحق باليُمنى ـ فيضيف هذه الأفعال إليه، خيرها وشرّها ـ ويُبصر الخلق باليُسرى فيُثبِتُ تأثيرهم في الأفعال به سبحانه، لا بالاستقلال، ويتحقق بمعنى قول الصادق رضي الله عنه وكرم وجهه: «لا جبر ولا تفويض بل أمرٌ بين أمرين»[2]؛ فيتمذهب به، وذلك هو الفضل الكبير!.

وأما مَن أضاف الأفعال إلى الله تعالى بنظر التوحيد وإسقاط الإضافات ومحو الأسباب والمسبّبات ـ لا بمعنى خلق الأفعال فينا أو خلق قدرةٍ أو إرادةٍ جديدتين عند صدور الفعل عنّا كما عليه المجبرة ـ فهو الذي طوى بساط الكون وخلص عن مضيق

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب الإيمان حديث رقم (٢٨٦) [١/ ١٥٩] وأبو داود في سننه، باب في القدر، حديث رقم (٤٦٩١) [٤/ ٢٢٢] ورواه غيرهما.

(٢) رواه أبو القاسم علي بن الحسن الشافعي في تاريخ مدينة دمشق، حديث رقم (٦٠٢٥) [٥١/ ١٨٢].

البون وخرج من البين والأين وفنى في العين، لكنه بقي في المحو ولم يفي إلى الصحو مستغرقاً في عين الجمع، محجوباً بالحق عن الخلق، ما زاغ بصره عن مشاهدة جماله ولا طغى في نفسه بانتحال كماله، بل عاد بنور جماله عن ظل جلاله وبسبحات وجهه وذاته عن ظلمة صفاته، فاضمحلّت الكثرة في شهوده واحتجب التفصيل عن وجوده ـ وذلك هو الفوز العظيم ـ.

فإذا رجع إلى الصّحو بعد المحو، ونظر إلى التفصيل في عين الجمع ـ غير محتجبٍ برؤية الحق عن الخلق ولا بالخلق عن الحق، ولا مشتغلٍ بوجود الصفات عن الذات، ولا بالذات عن الصفات، ولا محروم بشهود الجمال عن الجلال، ولا بالجلال عن الجمال ـ فهو الوليّ المحقّ الصدّيق صاحب التمكين والتحقيق، ينسب الأفعال إلى الله بالإيجاد ولا يسلبها بالكلية عن العباد، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: الآية ١٧]. وذلك هو الفوز الأكبر!.

## الفصل الثامن

# في بيان فائدة التكليف بالطاعات والدّعوة بالآيات وتأثير السّعي والجهد، وتوجيه الوعيد والوعد وبيان الإبتلاء من الله تعالى

قد ظهر في الفصل السابق بيان كيفية صدور الأفعال الاختيارية منا وارتفع الاشتباه عن حالها، وترتّب المدح والذم والثواب والعقاب عليها، وبقي علينا الآن بيان فائدة التكليف والتأديب وتأثير السعي والجدّ والتهديد والتّرغيب.

فنقول: كما تفطّنت أن الأشياء الداخلة في وجود الإنسان ـ كالعلم والقدرة والإرادة ـ من جملة أسباب الفعل، فأحدث أن هذه الأمور الخارجية ـ أيضاً ـ من جملتها، فالدعوة والتكليف والإرشاد والتهذيب، والوعد والترغيب، والإيعاد والتهديد، أمور جعلها الله تعالى مهيّجات الأشواق ودواعي إلى خيراتٍ وطاعات، واكتساب فضائل وكمالاتٍ، ومحرّضاتٍ على أعمال حسنةٍ وعادات محمودة وأخلاق جميلة وملكات فاضلة مرضية، مقدّرة لنا نافعة في معاشنا ومعادنا، يحسن بها حالنا في دنيانا ويحصل بها سعادة عقبانا، أو محذراتٍ عن أضدادها مِن الشرور والقبائح والذنوب والرذائل مما يضرّنا في العاجل ونشقى بها في الآجل، وكذلك السعي والجد والتدبير والحذر إذا قدّرت مهيّئة لمطالبنا موصلة إيانا إلى مقاصدنا مخرّجة لكمالاتنا إلى الفعل، وجعلت أسباباً لِما يصل إلينا من أرزاقنا وما قدّر لنا من معايشنا أو هيّأ لنا في آخرتنا، ولما يصرفه الله تعالى عنّا مِن المكاره ويدفعه عنّا من المضارّ والمفاسد لم يحصل لنا إلاّ بها، وكانت تلك الوسائط أيضاً مقدّرة لنا واجبة باختيارنا، كما قال عليه السلام لمن سأله: هل يغني الدّواء والرّقية مِن قدر الله؟ قال: «الدواء والرّقية أيضاً من قدر الله!»[1]. ولما قال عليه السلام: «جفت القلم بما هو كائن»، قيل: ففيم العمل؟ فقال: «اعملوا، فكلٌّ ميسّرٌ لِما خُلِقَ له»[2]. ولما

---

(١) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، باب ﴿فسنيسره للعسرى﴾، حديث رقم (٤٦٦٦) [٤/ ١٨٩١] ومسلم في صحيحه، باب كيفية الخلق الآدمي، حديث رقم (٢٦٤٧) [٤/ ٢٠٤٠] ورواه غيرهما.

سُئِلَ: أنحن في أمرٍ فرغ منه أو أمرٍ مستأنفٍ؟ قال: «في أمرٍ فرغ منه وفي أمرٍ مستأنف»(١).

ومن هذا عُلِمَ أنّ كل ما يصدر عنّا من الحركات والسّكنات والحسنات والسيئات محفوظة مكتوبة علينا واجب صدورها عنّا مع كونها باختيارنا، كما قال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ۝ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ۝﴾ [القمر: الآيتان ٥٢،٥٣]، وقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ۝﴾ [يس: الآية ١٢]، وكذا ﴿هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝﴾ [الجاثية: الآية ٢٩] فهي معرّفات لسعادتنا وشقاوتنا في العقبى ليست بموجبات، وكذا ما يصل إلينا من الرّغائب والمكاره كما قال النبي عليه السلام: «واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلاّ بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضرّوك بشيءٍ لم يضرّوك إلاّ بشيءٍ كتبه عليك، رُفِعَت الأقلام وجفّت الصحف»(٢).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «اعلموا علماً يقيناً أن الله لم يجعل لعبد وإن عظمت حيلته وقويت مكيدته واشتدّت طلبته أكثر مما سُمّي له في الذّكر الحكيم ولم يخلُ بين العبد عند ضعفه وعدم حيلته وقلّة مكيدته وبين ما سمّي له في الذّكر الحكيم».

والشواهد في هذا الباب أكثر من أن تحصى.

وأما الابتلاء، فهو إظهار ما كُتب علينا في القدر وإبراز ما أودع فينا وغرز في طِباعنا بالقوّة بما يظهره مِن الشاهد ويخرجه إلى الفعل من الوقائع والحوادث والتكاليف الشاقّة بحيث يترتّب عليه الثواب والعقاب، فإنهما ثمرات ولوازم وتبعاتٌ وعوارض لأمور موجودة فينا، فإذا لم يصدر عنّا ولم يخرج إلى الفعل لم توجد بعد ـ وإن كانت معلومة لله تعالى موجودة فينا بالقوّة ـ فكيف يحصل ثمراتها وتبعاتها ـ التي هي عوارضها ولوازمها؟ ـ، ولهذا قال: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ۝﴾ [محمد: الآية ٣١] ـ وأمثالها ـ أي: نعلمهم موصوفين بهذه الصفة بحيث يترتّب عليها الجزاء، وأما قبل ذلك الابتلاء فإنه عَلِمَهُم مستعدّين للمجاهدة والصبر، صابرين إليهما بعد حينٍ.

---

(١) روى نحوه الدارقطني في العلل الواردة في الأحاديث، رقم (١٠٧) [٥٦/٢].

(٢) رواه الترمذي في سننه، حديث رقم (٢٥١٦) [٦٦٧/٤] وأحمد في المسند عن عبد الله بن عباس، حديث رقم (٢٦٦٩) [٢٩٣/١] ورواه غيرهما.

# الفصل التاسع

## في بيان الاستعدادات وتنوعها

ولعلك تضطرب وتصول وتتحرّد فتقول: إذا كانت الفضائل والرذائل والمحاسن والقبائح، والطاعات والمعاصي، وبالجملة الخيرات والشرور كلها ـ مقدّرة مكتوبة علينا قبل صدورها منّا، معجونة فينا، مربوطة بأوقاتها التي تصدر فيها عنّا، فما بالُنا لا نتساوى فيها ولا نتعادل ولا نتشاكل فيها ولا نتماثل؟ وكيف يُحترز عما يجب الاحتراز عنها؟ فننجو من وبالها وتبعتها؟ وبأي شيءٍ يتفضّل السعيد على الشقيّ وقد تساويا فيما قدّر لهما؟ وأين عدل الله فينا وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق: الآية ٢٩]، ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [الزخرف: الآية ٧٦]؟ فنجيبك بمثل ما قال الشاعر:

هَوِّن على بَصَرٍ ما شَقَّ مَنْظَرهُ        فإنّما يَقَظاتُ العَيْنِ كالحُلُمِ

فاصبر ريثما آب إليك القرار وفات السكينة والوقار، فلستَ أوّل من زلّ في هذا المقام وارتاب واستفتن مِن هذا الكلام ثم رجع وتاب؛ جعل الله عين بصيرتك مكحلة بنور الهدى وكشف عنها غشاوة العمى! أو لا تعتبر بحال موسى مع الخضر واعتراضه ووقوعه فيه بقتل الغلام وامتعاضه؟! أو ما تتذكر قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾ [الكهف: الآية ٧٤] وجوابه ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ [الكهف: الآية ٧٥]؟ ثم اسمع ما يشفيك من غيظك ويكفيك في إزالة ريبك!.

واعلم، أن الاستعدادات متفنّنة والحقائق متنوعة، فالأرواح الإنسية بحسب الفطرة الأولى مختلفة في الصفا والكدورة والضعف والقوّة مترتبة في درجات القرب والبعد من الله تعالى؛ والمواد السفليّة بإزائها بحسب الخلقة متباعدةٌ في اللطافة والكثافة ومزاجاتها متباينة في القرب والبعد مِن الاعتدال الحقيقي، فقابليتها لِما يتعلّق بها من الأرواح متفاوتة وقد قدّر بإزاء كل روحٍ ما يناسبه من المواد، فحصل من مجموعها استعدادٌ مناسب لبعض العلوم والإدراكات دون بعضٍ، موافق لبعض الأعمال والصناعات دون بعض، على ما قدّر لها في العناية الأولى والقضاء السابق،

كما قال عليه الصلاة والسلام: «الناس معادنٌ كمعادن الذهب والفضة»[١].

وتتفاوت العقول والإدراكات والأشواق والإرادات بحسب اختلاف الطبائع والغرائز، فينزع بعضهم بطبعه إلى ما ينفر عنه الآخر، ويستحسن أحدهم لهواه ما يستقبحه الثاني، والعناية الإلٰهية تقتضي نظام الوجود على أحسن ما يُمكن، فلو أمكن أحسن مما هو عليه لوجد؛ ولو تساوت الاستعدادات لفات الحُسن في ترتيب النظام وارتفع الصلاح عن العالم ولبقوا ـ كلهم ـ طبقة واحدة على حالةٍ واحدة في مرتبة واحدة لا تمشي أمورهم ولا يتهيأ مصالحهم، ولبقيت المراتب الباقية في كتم العدم، مع إمكان وجودها، فكان حيفاً عليها وجوراً لا عدلاً وقسطاً، وبقي الاحتياج إليها في العالَم مع عدمها، كما أن لو كان البصل زعفراناً والدِّفلى[٢] أقحواناً ولم يوجد البصل والدِّفلى أصلاً لحرمت الناس من منافعها وتضرّروا في مناحجهم بفقدهما مع إمكان وجودهما، وكما لا يختلج في صدرك أن البصل لو لم يكن زعفراناً والقيصوم ضيمراناً والكلب أسداً، والعَنز جملاً، والجماد حيواناً، والحيوان إنساناً، والتبدي عنباً، والوهم عقلاً، فلا ينقدحن في بالك أن الناقل لماذا لم يكن سحباناً والفقير سلطاناً، والشقي سعيداً، والجاهل الشرير عالماً خيراً نحريراً، إذ لو كان كذلك لاضطرّ السلطان إلى صنعة الكنس، والحكيم المتأله إلى مباشرة الرّجس، فما بقي التناسب على تقدير التماثل، ولم يبق السلطان سلطاناً، ولا القهرمان قهرماناً! ولاختلّ النظام وظهر الهرج والمرج فلم يكن ذلك عدلاً بل كان جوراً وظلماً! فالعدل هو تسوية المواد والأشباح بحسب الصور والأرواح، وتعديل الأمزجة بحسب الأنواع وتوزيعها على الأصناف والأشخاص وتوجيه الأفراد من الأجناس إلى ما يُناسبها من الأمور والأشغال، فمن أساء في عمله وأخطأ في اعتقاده فإنما ظلم نفسه بظلمة جوهره وقصور استعداده، وكان أهلاً للشقاوة في معاده ينادى على لسان المالك: مهلاً فيداك أوكتا فوك فنخ.

وإنما قصر استعداده وأظلم جوهره لعدم إمكان كونه أحسن مما وجد، كما لا يمكن أن يلد القرد إنساناً ـ مثلاً ـ في أحسن صورةٍ وأكمل سيرةٍ ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هُــود: الآيــة ١١٨] ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، باب الأرواح جنود مجندة، حديث رقم (٢٦٣٨) [٤/ ٢٠٣١] وأحمد في المسند عن أبي هريرة رضي الله عنه، حديث رقم (١٠٩٦٩) [٢/ ٥٣٩] ورواه غيرهما.

(٢) الدِّفلى: شجر مُرٌّ أخضر حسن المنظر يكون في الأودية.

أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ [هُود: الآية ١١٩].

وكما لا تعترض على أقبح الناس بأنه لِمَ لا يكون مثل يوسف في الحسن؟ وتُعْذِرهم مع اختلاف أشكالهم وهيئاتهم بحيث لا يتشابه اثنان منهم، فكذلك لا تعترض على شرّ الناس بأنه لِم لا يكون كمحمد عليه السلام في سيرته وطريقته، وأعذرهم في ذلك؛ فإن اختلاف الغرائز والشمائل كاختلاف الأشكال والطبائع، كما قال ﷺ: «فرغ الله تعالى من أربعة: الخَلق والخُلق والرّزق والأجل!»[١].

وأما أنه كيف السبيل إلى الاحتراز مما يجب الاحتراز عنه، فإن شريف النفس نجيب الجوهر، طيب الأصل، طيّع القريحة، قلّما يهمّ بشيء مما ليس في فطرته ولم يقدر له مِن الفواحش والرذائل ـ لعدم المناسبة ـ، وإذا همَّ ـ نادراً لغلبة صفةٍ من صفات نفسه وقواه واستيلاء داعيةٍ من دواعي الوهم وهواه، وهيجانٍ من شهوته وغضبه ـ زجره زاجرٌ من عقله وهداه، كما قال تعالى في يوسف عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يُوسُف: الآية ٢٤].

وإذا كان دون ذلك في صفاء الاستعداد فلا ينزجر إلاّ بزجر زاجر من الشرع والسياسة، والناصح والأديب ـ وغير ذلك ـ، ويستحيي منه، وإذا همَّ بشيء مما في فطرته من المحاسن وجد باعثاً من عقله ودرايته وناصراً من توفيقه وهدايته، فيقدّم عليه بشوقه وشغفه لمناسبته إياه؛ ولا ينتهي عنه بدفع دافع ولا يمنعه منع مانع، وإن كان دون ذلك احتاج إلى محرّضٍ باعثٍ ومشوّقٍ من خارج، والخسيس النفس الخبيث الجوهر الرديء الأصل الآبي القرونة[٢] بالعكس، كما قال تعالى في أبي جهل وأضرابه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ [البَقَرَة: الآية ٦]، وفيه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القَصَص: الآية ٥٦] وكلٌّ يشتاق إلى ما يفعله بطبعه ويحبه ويستحسن، وإن كان الثاني يعلم أن ضدّه أجود وأحسن كمحبة الزنجي ولده مع قبحه دون الغلام التركيّ مع علمه بحسنه!.

وأما حديث السعادة والشقاوة فسيأتي في بابٍ، إن شاء الله تعالى.

---

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى، باب جواز الصدقة، حديث رقم (١١٦٨٢) [٦/ ١٦١] ورواه الدارقطني في سننه، كتاب الرضاع، حديث رقم (٣٦) [٤/ ١٨٢] ورواه غيرهما.

(٢) القرونة: جاء في لسان العرب: والقرون والقرونة والقرينة والقرين: النّفس. ويقال: أسْمَحَت قَرُونُه وقرينُه وقَرُونَته وقَرِينَتُه: أي ذَلَّتْ نفسه وتابَعَتْه على الأمر.

## الفصل العاشر

# في السعادة والشقاوة

قد علمت مما تقرّر تنوُّع الاستعدادات وترتّب الأرواح في الدرجات، فاعلم أن لكلٍّ منها سعادة تقتضيها بحسب هويته وقدر منيته وقوّته، هي نهاية كماله الذي أمكن له بمقتضى فطرته، وتقابلها غاية نقصانه الذي يمكن له بحسب حاله هي شقاوته المنسوبة إليه عند وباله والسعادات المترتّبة بحسب الاستعدادات، فأعظم السعادات مطلقاً لأجود الاستعدادات، وأشرف الكمالات لأشرف الأرواح الذي هو روح القطب الحقيقي المطلق، وهو محمد ﷺ لا القطب الإضافي بحسب كل وقت وزمان كسائر الأنبياء، كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: الآية ٢٥٣] إلى قوله: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: الآية ٢٥٣] فله المرتبة العليا في الاستعداد والسعادة الكبرى في المعاد، وكلما قصر الاستعداد نقصت السعادة وقصر العرض بينها وبين الشقاوة القصوى والشقاوة المفروضة بإزائها، فإذا توسّط الاستعداد بين جهتي الربوبية والسفالة ـ المعبّر عنهما بالنور والظلمة تارةً وباللاّهوت والناسوت أخرى ـ استوى ميله إلى درجتي الكمال والنقصان ـ المعبّر عنهما في التنزيل بأعلى علّيّين وأسفل السافلين ـ وهناك يقوى أثر الدعوة والتكليف والتأديب والتهذيب وما يقابلهما من أسباب المعصية والطغيان ـ المعبّر عنهما بالتوفيق والخذلان ـ، وكلما أمعن في أحد الجانبين اشتدّ ميله إليه، فإن مال عن الوسط إلى الجهة العلوية يكفيه أضعف أسباب التوفيق في ترقي الدرجات ولا يصرفه أقوى أسباب الخذلان إلى الانحطاط في الدركات، وإن مال إلى الجهة السفلية فبالعكس؛ ولكل صفو كدرٌ ولكل صافٍ عكرٌ.

ويقابل كل نورٍ ظلمة، وبإزاء كل حسنٍ قبح، وبضدّها تتبين الأشياء ـ كأبي جهلٍ لمحمدٍ، وفرعون لموسى، وإبليس لآدم، وأمثالهم ـ لا سبيل إلى معرفة لميّة سعادة الأول وشقاوة الثاني إلاّ مجرّد الاستعداد الذي هو من الفيض الأقدس الأولي والعلم الأعلى الأزلي ـ على ما مرّ من بحث الإمكان في باب حسن النظام ـ.

والسعادة قسمان:

١ ـ دنيوية.

و ٢ ـ أخروية.

والدنيوية قسمان:

ألف ـ بدنيّة ـ كالصحة والسلامة ووفور القوة والشهامة.

ب ـ وخارجيّة ـ كترتب أسباب المعاش وحصول ما يحتاج إليه من المنال.

والأخروية ـ أيضاً قسمان:

أ ـ علميّة ـ كالمعارف والحقائق.

ب ـ عمليّة ـ كالطاعات والخيرات ـ. وكما أن الحسن والجمال مِن عوارض القسم الأول مِن الدنيوية، فالأخلاق الجميلة والفضائل من عوارض القسم الأول من الأخروية، ويتعدّد أقسام الشقاوة بإزائها.

قيل لأمير المؤمنين عليه السلام: صفِ العالِم!

فوصفه، فقيل: صف الجاهل!

قال: قد فعلت!.

فالسعادة والشقاوة بحسب العلم والجهل ذاتيّتان أزلاً وأبداً مخلّدتان دائماً سرمداً، أو بحسب الأعمال الحسنة والسيئة، يترتّب عليه المكافأة والمجازاة وتتقدّر بحسبها المثوبات والعقوبات، كقوله تعالى: ﴿جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة: الآية ٨٢]، ولا تكون هذه الشقاوة مخلّدةً إلاّ ما شاء الله.

ويتركّب بعضها مع بعض ولا ينفرد إلاّ أنّ أكثر السيّئات وأكبرها يتبع الجهل وأغلب الحسنات وأعظمها يتبع العلم. اللهمّ اجعلنا من السعداء المقبولين ولا تجعلنا من الأشقياء المردودين!.

والعقل الذي هو مدار التكليف في الكل واحد مع تباعد درجاتهم في الذكاء والبلادة، وهو القدر المشترك في العقلاء ـ أي؛ ما يسمى به الإنسان عاقلاً ـ ولهذا كُلّفوا بتكليف واحد ولم يكلّف كل واحد منّا بدراية الفتوى واستنباط العلوم شرعاً، كما قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: الآية ٢٨٦]، فإن الترقّي بالعلوم أمر وراء التكليف.

وأما بحسب الأعمال فلكل درجات مما عمِلوا. فمن حجب عن بلوغ الكمال الذي تقتضيه بحسب استعداده بتقصيرٍ فيه وارتكاب عمل ينافيه فقد عُذّب تعذيباً يناسبه بحسب حرمانه عنه لمساويه، وكذا مَن نوقش في الحساب بحسب الأعمال، وأما

الواصل إلى ما أمكن له وقدّر من السعادة فهو الناجي وإن كانت سعادته دون وأدون بما لا يدرك كنهه من سعادةٍ أخرى، إذ لا إدراك لما لا يمكنه فلا ذوق، وإذ لا ذوق فلا شوق، وإذ لا شوق فلا تعذيب بفواته؛ وكل ذلك بقَدَرٍ وجب وقوعه باعتبارٍ وأمكن باعتبار، فلا ينافي كونه باختيار.

وفيما ذكرناه كفاية لمن تيسّر له، ولا ينفع أكثر من ذلك لمن تعسّر عليه. وبالله العياذ من التقصير فإن بيده تيسير كل عسيرٍ وهو المستعان وعليه التكلان إنه حسبنا ونعم الوكيل!.

# بيان
# مقدار السّنة السّرمديّة
# وتعيين الأيّام الإلٰهيّة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيّد المرسلين محمدٍ وآله الطيبين الطاهرين.

وبعد، فإن حقيقة الذات الإلٰهية من حيث هي هي امتدادها ـ أعني: مدّة بقائها ـ غير مضبوطةٍ، لأنها من حيث هي كذلك لا وصف لها ولا اسم ولا رسم، فهي في عماءٍ ـ كما جاء في الحديث ـ، إذ لا يمكن معرفتها بوجهٍ من الوجوه ما لم تتعيّن بصفةٍ.

وأول التعينات، علمها بذاتها، وهذه الصفة تنزل لها من الحضرة الأحديّة الذاتية ـ التي لا نعت لها ـ إلى الحضرة الواحدية ـ التي هي حضرة الأسماء والصفات ـ، وتسمى «الحضرة الإلٰهية»؛ وهذه الحضرة أثبتت للحضرة الأولى أزليّة الآزال بهذه النسبة الاعتبارية بين الذات الأحدية وصفاتها، إذ لا تُعْقَل النسبة إلاّ بعد اعتبار الإثنينية، وسُمِّيت تلك النسبة «السّرمد»، وقد تحققت بهذه النسبة أزلية الآزال ـ أعني: تقدّم الأحدية على الواحدية ـ، فالواحدية هي الحضرة التي لأزليّتها أول ـ وهو أزل الآزال ـ وذلك ابتداء السنة السرمدية، وقد اقتضت الحضرة الإلٰهية بهذه النسبة حقائق الأعيان بحكم العالمية، فيحدث لها بحدوث الأعيان نسبٌ أُخر بين الحقيقة الأولى وتلك الأعيان ـ كقادريّته على إيجادها ومشيئته لها، والتكلم إياها بخطاب «كن»، والسميعيّة لدعائها بطلب الإيجاد على الوجه الذي عيّنته المشيئة المُسماة بالعناية الأولى، والبصيرية بشهودها على تلك الصفات المتباينة، والعالمية تحكم على الذات بالحياة ـ فجُعِلت هذه السبع مع الذات أئمة الأسماء، لأنها أسماء أوليّة متقدمة على سائرها، وفي الحقيقة صفة العالمية تقتضي أن اسم «العالِم» إمام الأئمة السبعة لتحقق تقدم العلم على الإرادة.

وإن كانت الحياة متقدمة على العلم ـ لكونها شرطاً له ـ لكنه لا يستحق الإمامة، لأنها لا تقتضي النسبة بخلاف العلم، والإمامة مِن الصفات النسبية، ولأن الإمام أشرف مِن المأموم وليست الحياة أشرف من العلم وسائر الصفات سوى الحياة

المصححة للعلم، لكن الحيّ ـ وإن تقدم بالوجود ـ لا يستحق الإمامة لتقدم العالِم بالشرف، فإن الحياة لا تظهر إلاّ بالعلم والإدراك، وهي كالشرط والاستعداد له.

ولما كانت هذه الصفات السبع أموراً اعتبارية مقتضية لربوبية الربّ المطلق لجميع الأشياء بواسطتها كانت أزليات هذه الأسماء متقدمة على أزلية الربوبية مطلقاً، فحضرة الربوبية متأخرة عن الحضرة الإلٰهية تأخرها عن حضرة الذات، فأزلية الآزال هي الأولية المطلقة ـ التي لا تعدّد فيها ـ؛ وأزلية الإلٰهية متعددة بتعدد الأسماء، والأسماء لا تُحصى كثرة، لكنها مع لا تناهيها تنحصر في السبعة، لأنها جزئياتها وفروعها المنشعبة منها فلا يخرج عن إحاطتها، فلكلٍّ من السبعة حضرةٌ من حضرات الأسماء، فيها طائفة من هذه الأسماء الغير المتناهية، فتحت كل اسم منها أسماء غير متناهية متوسطة بين الذات ومربوباتها في الربوبية بالأفعال، فحضرات الأسماء تنحصر في هذه السبعة وكلها سابقة على حضرة الربوبية، والحضرة الربوبية هي التي فيها ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ [الرحمٰن: الآية ٢٩].

فالامتداد الأول ـ أي: امتداد بقاء الأحدية ـ مِن أزل الآزال إلى أبد الآباد، وليس فيه نسبة ولا قسمة، وهو عند اعتبار التعيّنات الوصفية ينفصل إلى الامتدادات الأسمائية والأسمائية إلى الامتدادات الربوبية؛ ويُسمى «الدهر». ونظيرها في الزمان امتداد الدور الفلكي، فإنه إذا اعتبرت الحركة الأولى وامتداد مقدارها ـ الذي هو الزمان المُطلق ـ مع قطع النظر عما تحتها لم يكن لها ابتداء ولا انتهاء ولا قسمة؛ فإذا اعتبرت محاذاة الشمس لنقطةٍ منها ـ أي نقطة كانت ـ ابتدأت السنة ـ التي كل دورةٍ منها وصول الشمس إلى تلك النقطة بحركتها التي تقطع بها أجزاء فلك البروج ـ وتنفصل الامتداد بها إلى السنين وتنفصل السنة ـ باعتبار قطعها للبروج ـ إلى الشهور والشهور ـ باعتبار وصولها إلى النقطة الأولى بالحركة اليومية ـ إلى الأيام والأيام إلى الساعات والساعات إلى الدقائق والدقائق إلى الثواني والثواني إلى الثوالث حتى «الآن»، وهو في الزمان بمنزلة النقطة الهندسية من الخط؛ وقد يُفسّر بالزمان الحاضر، وهو أقصر جزءٍ من الزمان وهو الذي لا ينقسم من غاية الصغر إلاّ في الوهم.

وقد تطلق الأيام على كل واحدٍ من الأجزاء مجازاً باعتبار أنه جزء محدود من الزمان، فأقصر الأيام هو «الآن» وأطولها بحسب الزمان هو «السّنة»؛ ولا شك أن الأقل عاد للأكثر عدّ الواحد الأعداد، والأكثر متقدّر بالأقل تقدر المائة بالعشرة، وكما أن الساعات تقدّر الأيام والأيام الشهور والشهور السنين والسنون مطلّقَ الزمان فكذلك

الزمان ـ الذي هو أقصر الامتدادات الأزليّة ـ تقدّر الباقين ـ أي: الدهر والسرمد.

ولنرجع إلى المقصود، فنقول: إن الله تعالى يقتضي الربوبية بأسمائه، والأسماء لدوام تأثيرها ـ تقتضي وسائط في ربوبيتها لِما في هذا العالم وهو الأثيريّات، فاقتضى الأئمة السبعة الكواكب السبعة السيّارة مع أفلاكها، وجعلتها الرؤساء والسادة في تدبير أمور الدنيا وسخّرتها بأمر الله تعالى، كما قال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [النحل: الآية ١٢] ـ أي: الأمر الواحد الإلٰهي في قوله: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ﴾ [القمر: الآية ٥٠] على التدابير الجارية في هذا العالَم، التي هي الشؤون الإلٰهية في أيام الدنيا، كما أشار إليه في قوله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمٰن: الآية ٢٩].

ولما كانت أيام الدنيا أيام الربوبية الممتدة من انتهاء أزليّة الحضرة الإلٰهية إلى أزليّة الربوبية وتمتد الربوبية إلى انتهاء التغيّرات الزمانية كانت أيام الدهر أطول من الزمانيات التي هي امتدادات منحصرة في امتداد مقدار الحركة الأولى ـ أعني: الزمان ـ فتقدّر بالمقاييس الزمانية تقدّراً بالعدد التام منها ـ وهو الألف ـ فكل يوم منها ألف سنة وهي أيام الربوبية وأيام التدبير، كما أشار إليه في قوله: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: الآية ٤٧]، وهو يوم الرب المدبّر الذي وُقّت به العذاب وإنجاز الوعد ـ في قوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحج: الآية ٤٧] ـ والتدبير في قوله: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾﴾ [السجدة: الآية ٥].

ولمّا كان ابتداء هذا الأمر من السماء والسماوات سبع ـ على مقتضى الأئمة السبعة ـ كان مقدار الدنيا من تلك الأيام أسبوعاً واحداً لكل رئيس دور تام من الأدوار الزمانية، ومن هذا ينكشف سر انشقاق القمر وختم النبوّة، فإن ظهوره عليه الصلاة والسلام في اليوم الأخير ـ الذي هو جمعة الأسبوع المذكور ـ كظهور آدم عليه السلام في اليوم الأول وسرّ قيام الساعة بانقضاء اليوم السابع ـ الذي نحن فيه ـ وسرّ تعظيم الجمعة في الشرع المحمدي، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «إن استقامت أمّتي فلها يومٌ، وإن لم تستقم فلها نصف يومٍ»[1] ـ وفي الحديث بشارة لنا بالاستقامة حين جاوزنا النصف! ـ.

---

(١) أورده المناوي في فيض القدير [٣/ ٥٤٧] والعجلوني في كشف الخفاء ضمن حديث رقم (٢٧٩٩) [٢/ ٤١٧].

ولما كانت أيام الآخرة أيام الألوهية الممتدة من ابتداء أزليّة الآزال إلى انتهاء الربوبيات الأسمائية كانت أطول من أيام الربوبية فيقدّر بالمقاييس التي هي أيام الربوبية. والربوبية تحصل بأي اسم كان، وأما الألوهية فلا تتمّ إلاّ بالأئمة السبعة، فالربوبية في الحقيقة سُبْع الألوهية، فأيام الدنيا سُبْع أيام الآخرة وهي الحاصلة من ضرب أيام الدنيا في عدد الأئمة السبعة فتكون تسعة وأربعين ألف سنة؛ وينتهي الأمر فيها إلى الله العَليّ ذي المعارج الأسمائية العُلى، وبانقضائها في اليوم التالي لهذه المدة من أيام الربوبية تنتهي المعارج كلها إلى الفناء في الذات، فيتمّ الخمسون ويتحقق معنى قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤﴾ [المعارج: الآية ٤] فإن انقضاء التسعة والأربعين وآخره إنما يكون بالخمسين وهو يوم القيامة الكبرى، فاصبر صبراً جميلاً إن كنت من أهل هذه القيامة!.

وإذا كان طول هذا اليوم خمسين ألف سنة كانت القيامة الصغرى أول موطن من مواطنها، كما قال ﷺ: «مَن مات فقد قامت قيامته»[1]؛ وقال: «القبر أول منزل من منازل الآخرة»[2]؛ والوسطى هو أوسط مواطنها وفيه مواطن مختلفة وأحوال لأهلها متباينةٌ؛ كموطن الجمع وموطن الفصل وموطن فيه ﴿لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمٰن: الآية ٣٩] وموطن يقال فيه: ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ۝٢٤﴾ [الصّافات: الآية ٢٤]، وموطن فيه ﴿تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَـٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ [النحل: الآية ١١١] وآخر فيه: ﴿لَا يَنطِقُونَ﴾ [المرسلات: الآية ٣٥] ـ كما أخبر عنه ـ.

وإذا تحققت الحضرات الثلاث وامتداداتها تحقق معنى قول من قال: أنا أقلُّ من ربي بسنتين! وإن امتداد بقاء الذات في الحضرة الأحدية من أزل الآزال إلى أبد الآباد، وليس فيه نسبة ولا قسمة. وإذا ابتدأ أول التعينات ابتدأت السنة التي كل يوم منها خمسون ألف سنة. وإذا ابتدأت الربوبية بالأسماء ابتدأت السنة التي كل يوم منها ألف سنة؛ وكما أن كل أسبوع من هذه السنة سبعة آلاف سنة وكل شهر ثلاثون ألف سنة وكل سنة ثلاثمائة وستون ألف سنة فكل أسبوع من السنة الأولى ثلاثمائة ألف وخمسون ألف سنة وكل شهرٍ ألف ألف وخمسمائة ألف سنة وكل سنة ثمانية عشر ألف ألف عام؛ وهي الأحقاب المذكورة في قوله تعالى: ﴿لَّـٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ۝٢٣﴾

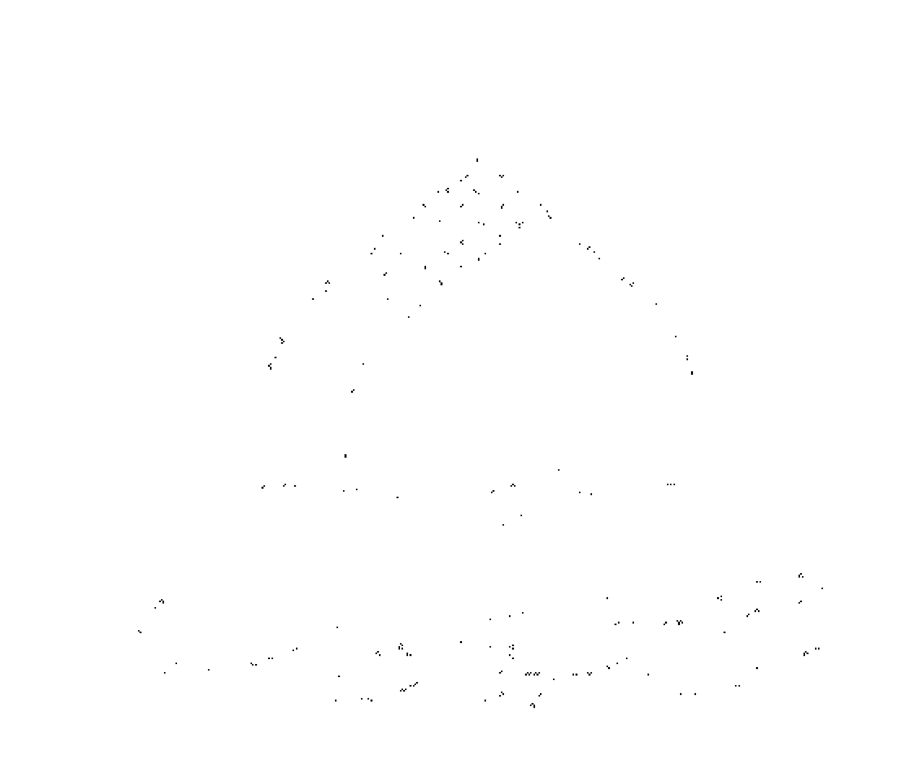
---

(١) وقفه أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء على أنس بن مالك، ترجمة زياد بن عبد الله النميري، [٦/ ٢٦٧] وأورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (٢٦١٨) [٢/ ٣٦٨] وأورده غيرهما.

(٢) رواه القضاعي في مسند الشهاب، حديث رقم (٢٤٧) [١/ ١٧١] والبيهقي في شعب الإيمان، حديث رقم (١٠٥٥٣) [٧/ ٣٥٢] ورواه غيرهما.

[النّبَإِ: الآية ٢٣]. ومن ترقّى إلى الحضرة الواحدية خرج من أيام الربوبية إلى الأيام الإلهية في السنة السرمدية، ومَن بلغ إلى الحضرة الأحدية جعل تحت قدميه الأوقات العدديّة وكان وقته واحداً فكان عن كل مرتبةٍ صاعداً.

والله، الباقي بعد فناء الخلق وذلك اليوم الحقّ.




الرسالة المعادية

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه أستعين وأتوكل إليه

اعلم، أن النفوس الإنسانية عند مفارقة الأبدان قسمان، لأن الناس:

١ ـ إما علماءٌ.

٢ ـ وإما جهّال.

والعلماء:

ألف ـ إما راسخون مجتمعون عاملون كاملون بحسب العلم والعمل، وهم السابقون المقرّبون الذين هم أهل محبة الذات، وهم أرواحٌ مجرّدة في الحضرة الواحدية، لهم العين الكافوري في الحضرة الأحدية بالعشق الحقيقي والوصول الذاتي، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦﴾ [الإنسان: الآيتان ٥، ٦]، وهو التسنيم الذي أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ۝٢٧ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝٢٨﴾ [المطففين: الآيتان ٢٧، ٢٨] يخالطون الملأ الأعلى بالحقيقة الروحانية والملكوت السماوية بالصورة الجسدانية المثالية اللازمة لتلك الأعيان؛ ولولا ذلك لم يمكنهم الظهور لبعض الصالحين والسالكين في المنامات الصادقة، وقد يتفق لبعضهم في الأحانين التعلّق بالصورة الجرمانية الأرضية بتكميل الخلائق وتعليم الحقائق، وتعيين القواعد الشرعية، وتنظيم الأمور السياسية، أو لتحصيل الكمال التام المحمدي والتوحيد الذاتي الأحديّ، كما جاء في الحديث من نزول عيسى وفي القرآن من قصة عزير.

ب ـ وإما غير راسخون؛ وهم:

أ ـ إما عامِلون بالأعمال الصالحة متشرّعون بالشرائع متخلّقون بالفضائل متدرّبون بها، وهم السعداء الأبرار المخالطون بملكوت السماوات بالصور المثالية، فلهم جنّات القلوب والنفوس دون جنّة الأرواح المخصوصة بالأولين.

وهم قسمان:

١ - محبّون مشتاقون ساكنون أهل الإرادة والطلب.

و ٢ - قاصرون واقفون غير مشتاقين.

١ - والأولون هم الأبرار الذين في كأسهم مزج من الكافور الذي هو لذّة أثر الوصول وبرد اليقين - كما مر - ومزج من الزنجبيل الذي هو لذّة الشوق وحرارة الطلب، كما قال تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ⑰﴾ [الإنسان: الآية ١٧]. ويمكنهم الترقّي بعد المفارقة البدنيّة بالاتصال القدسيّة من الكمال وقبول فيضهم بحسب المحبّة والإرادة، وذلك معنى شفاعة الأنبياء.

٢ - والباقون هم أهل المحبة المقيمون فيها لا يمكنهم الترقي والاستكمال لقصور نظرهم وعدم طلبتهم، فهم قانعون بما وجدوا شاكرون بما أتوا من الثواب، راضون بما أعطوا غير متشوّقين إلى ما ورائه ولا مشتاقين إلى ما فوقه.

ب - وإما تاركون للأعمال الشرعية المذنبون؛ وهم قسمان، لأن تلك الذنوب والهيئات:

١ - إما أن تكون راسخة عسيرة الزوال.

٢ - وإما غير راسخةٍ؛ والأولون لم يكن لهم دخول في الملكوت وجنّات القلوب. لأنهم لم يولدوا مرتين، أي لم يتخلّصوا من مشايم صفات النفوس ولم يبرزوا إلى عرصات القلوب، بل بقوا في البرازخ محبوسين تحت أطوار الملكوت موقوفين محاسبين في أرض الساهرة والعرصات، وهم الصادرون ﴿أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ [الزلزلة: الآية ٦] ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ⑦ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ⑧﴾ [الزلزلة: الآيتان ٧، ٨] حتى تزكّت نفوسهم ببركة علومهم أو بشفاعة مَن يعتقدونه من أهل التصفية عن دنس طبائعهم فاتصلوا بالملكوت. والباقون أهل العفو والغفران لقلّة أثر الهيئات مع حصول العلوم وخصوصاً إذا كانوا محبّين لأهل الكمال مستحقين للشفاعة.

والجاهلون قسمان، لأن نفوسهم:

أ - إما ساذجةٌ.

ب - وإما غير ساذجةٍ.

والساذجة:

أ - إما باقية على الفطرة.

ب ـ وإما متكدِّرة بالهيئات الغاسقة.

والباقية على الفطرة إذا فارقت أبدانهم وقامت لها القيامة الصغرى فإذا هي بـ«السّاهرة» وهي أرض بيضاء نقية ـ كما جاء في الأحاديث ـ وسماها قدماء الفرس مدينة «جابلسا»، وهي آخر المدن الروحانية ابتداءً من طرف الحق وأولها من طرف الخلق من مراتب جنات النفس المتصلة بغرب عالَم الأجساد في الصور المثالية؛ ولها فيها لذّاتٌ ومدركات ـ كما وردت في وصف أهل الجنة، ويبعثون في القيامة في الصورة الإنسانية ويردّون إلى الأبدان الجرميّة.

ومَن كانت فطرته ثابتة على الصفاء الأصلي من جملتهم ولم يتأثر بالهيئات البدنية ولم يحدث لها عشق إلى العالَم السفلي ـ كالأطفال والبُلْه ـ صعدت من «السّاهرة» إلى مدينة «جابلقا» وهي أيضاً من نواحيها التي هي شرق عالم الأرواح، ودرجاتها أرفع من درجات الفرقة الأولى حتى يبلغ درجات بعضها إلى السماوات العُلى بقرب درجات أرواح الشهداء، وهم الفريق الثاني من العالَمين الأبرار السعداء الذين قال فيهم النبي عليه السلام: «أرواح الشهداء في قناديل معلّقة تحت العرش»[1]، إشارة إلى الكواكب الثابتة وبعثها في الصور الإنسانية على وجوهٍ أحسن وأصفى واستعدادات أكمل وأقوى من الفرقة الأولى منهم.

وأما المتكدّرة فإنهم مذنبون معذّبون بتلك الهيئات على حسب رسوخها وعدم رسوخها، وشدّة رداءتها وعدمها، محاسبون على أعمالها؛ وفي الجملة خلاصهم مرجوٌّ إذا لم يغلب الهيئات الظلمانية على الفطرة الإنسانية ولم تصل إلى حدّ الرّين بل كانت من قبيل الغين، وهم مبعثون في الصور الإنسانية أشقياء بحسب الأعمال البدنيّة، لغلبة شرّهم خيرهم.

وأما إذا غلبت ووصلت إلى حد الرّين فهم مبعوثون في صورٍ تناسب أعمالهم وملكاتهم وسيئاتهم، معذّبون بنيران الحرمان وآلام المؤذيات المخلوقة من صفاتهم وأعمالهم؛ وكيف كانت فهي أرجى خلاصاً وأقرب إلى النجاة من غير الساذجة.

والغير الساذجة إن كانت عقائدهم منافية للحق ـ كالمشبّهة والمشركين والزنادقة والثنويّين ﴿فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا

(١) رواه عبد الرزاق في مصنفه، باب أجر الشهادة، حديث رقم (٩٥٥٣) [٥/ ٢٦٣] ولفظه عن قتادة قال: بلغنا أن أرواح الشهداء في صور طيور بيض تأكل من ثمار الجنة، وقال الكلبي عن النبي ﷺ في صورة طيور بيض تأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش» ورواه غيره.

خَـٰلِدُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢١٧]، كما أن السابقين والسعداء يدخلون الجنة بغير حساب، يبعثون في صور تناسب عقائدهم وصفاتهم وأعمالهم ـ كما ورد في الحديث: «يحشر بعض الناس على صورٍ يحسن عندها القردة والخنازير»(١).

وإن كانت غير متنافية، بل من قبيل المجون والخلاف والجدل والعناد، فحالهم كحال المتكدّرة الساذجة، بل أردأ منها، لكونها هيئاتها أشد لزوماً للنفس وأقرب إلى الروحانية بخلاف تلك.

وإن رسخت وبلغت حدّ الرّين بقوا محجوبين في المواقف، أحوالهم كما قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطفّفين: الآيتان ١٤، ١٥].

وإن لم يرسخ فما لهم بعد التعذّب على الأخلاق والأعمال إلاّ المغفرة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النّساء: الآية ١١٦].

واعلم، أنّ القيامات المذكورة في القرآن ثلاث:

١ ـ صغرى.

٢ ـ وسطى.

٣ ـ كبرى.

فالصغرى عامة للكل حاصلة لقوله عليه السلام: «من مات فقد قامت قيامته».

والوسطى: مخصوصة بأصحاب القلوب من الأبرار الذين ماتوا بالإرادة من النفوس فحيّوا بالطبيعة ـ أي: بالطبع في مقام القلب ـ يطلعون على أهل القيامة الصغرى، يعرفون أحوالهم وهم عاملون، وقد يطلع بعضهم على الكبرى فيتصل بأهل الوحدة ويخرج من الجنة إلى الحضرة، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ [هُود: الآية ١٠٨]، وهو وقت عروجهم إلى فردوس جنة الذات، إذ الدخول في النار بعد الجنة والمغفرة محالٌ، ويتنزّل بعض أهل الكبرى إلى درجاتهم يلتذّون بلقائهم ويستأنسون بصحبتهم وجوارهم.

وأما الكبرى: فهي شاملة للجميع لا يطلع عليها ولا يعرف أحوالها إلاّ السابقون، أهل الوحدة الذاتية من المقرّبين، ولهذا قال بعض العرفاء من الصحابة، قال: «يا قسيم النار اجعلني من أصحاب النار».

---

(١) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

قال: جعلتك.

ثم التفت إلى الحاضرين وقال: يريد أن يكون من أصحاب القيامة!. وهم الذين إذا مروا على النار أطفىء نورهم طعنها ـ كما ورد في الحديث: «على لسان النار جز يا مؤمن، فإن نورك أطفأ لهبي!» ـ. ولما قرىء بحضور: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: الآية ٧١] قيل لهم: أأنتم واردوها؟!

قال: جزنا وهي خامدة؛ وذلك لأن لهم الروح في جنة الرَّوْح بل جنة الذات، والريحان في جنة القلب جنة الصفات، والنعيم في جنة النفس جنة الصفات والآثار، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الواقعة: الآيتان ٨٨، ٨٩].

وفي هذه القيامة تكون النفختان وحشر الخلائق ـ كلها ـ والنشور وردَ الأرواح إلى الأجساد والحساب والصراط والميزان والثواب والعقاب وجميع أهوال القيامة وأحوالها في الأحقاب التي هي أجزاء اليوم الطويل الذي كان مقداره خمسين ألف سنة وساعاته، ففي بعضها الوقوف والسؤال، كما قال تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الصافات: الآية ٢٤]، وفي بعضها بخلاف ذلك، كما قال: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾﴾ [الرحمٰن: الآية ٣٩]، بل يغيّر سيماهم فتُعرفون بها وخاصة المجرمون؛ وفي ذلك أسرار عجيبة وأحوال غريبة لا يعرفها إلاَّ من عرفها الله تعالى.

وفّقنا الله للاطلاع على ذلك والمعرفة بما بيّنا لك، وجعلنا من أهل الأعراف فائزين بالفوز الأكبر ناجين من هول الحشر بمحض عنايته وجوده!. والسلام على من اتّبع الهدى!.

# السّوانح الغيبيّة
# والمواهب العينيّة

بسم الله الرحمن الرحيم

باسمِك اللهمَّ لا إلٰه غيرك، عزَّ ثناؤك وتبارك كبرياؤك! أنت كما أثنيت على نفسك. لا إلٰه سواك ولا وجود لما عداك، بل لا سواك ولا عداك!.

فهذه سوانح غيبية ومواهب عينية سنحت من موهبةِ الكمالِ على مذاقِ الوقتِ والحال، تذكرةً لأهل العيان وتبصرةً لأهلِ البيان! والبيانُ عيالُ العيانِ، والعيانُ كفافُ البيانِ، فالبيانُ يُقرُّ بالبَيْن، والعيان يشهَدُ بالغَيْنِ، والبَيْنُ فصلٌ والعين وصْلٌ والوصلُ أصل والفصلُ فصلٌ، وشتان ما بين الأصلِ والفصل! فإنَّ الأصل حقٌّ والفصل باطل وإذا جاء الحقُّ زهَقَ الباطل!.

والواصِلُ من انفصل عن غيرِ الواصل، والفاصل ما انعدم عند الحاصل، بل الواصل لا واصل ولا فاصل، كما أن الفاصل لا فاصل ولا واصل، إذ في الوصل لا وصل ولا فصل، كما في الفصل لا فصل ولا وصل، بل حقيقة الوصل فصلٌ كما أن حقيقة الفصلِ وصلٌ، بل الوصل وصل والفصل فصل، لا! بل الفصلُ وصلٌ؛ فكيف الوصلُ؟!.

## فصلٌ

الطالِبُ من جَهِل الطالب، كما أنَّ الواجد من وجد الواجد، فإن الطالب مطلوب كما أن الواجد موجود، فافصل البَيْنَ تجد العَيْن، بل لا بيْنَ في العينِ كما لا عين في البَيْنِ، إذ البينُ مفصول مفقود كما أنَّ العين موصول موجود، والخلق بيْنٌ كما أنَّ الحق عينٌ. والحِسُّ من الخلْقِ كما أن العقل من العين، والعقل غيْبٌ والحِسُّ شهادة، والغيبُ لأهل العين شهادة كما أنَّ الشهادة لأهل العقلِ غيبٌ، والحِسُّ ظِلٌّ زائل بل طلَلٌ باطِلٌ وتِمثالٌ عاطِلٌ، والمحسوس حولٌ حائِلٌ والمعقول مثلٌ شاكِلٌ، بل الكل مشهود شاهِد لأنه لكل شيءٍ محيط كما هو واسع شهيد، والشاهد لا يحتاج إلى الشاهد، كما أن العيان مستغْنٍ عن البيانِ!.

## فصلٌ

الكلُّ تركيبٌ والبعضُ تجزِيَةٌ، والنعتُ تشبيه، والتعطيلِ إلحادٌ، والتوحيد تكثيرٌ، والوحدة إشارة والكثرة عبارة، والغيرُ تشريك، وهو عيان إذ كل ما تصورته فقد صنعته وكل ما وحَّدته فقد نحتَّه، إذ التوحيد إزاحة الكثرة بنظر الوحدة فحيث لا كثرة لا توحيد، فالتوحيد إثبات للكثرة بنظر الوحدة، لكن العين واحدة تتكثَّرُ في المُدركات الكثيرة عند البحثِ والعقل، والمُدركات الكثيرة متوحد في عين واحدة عند الذوق والكشف، فإذن التوحيد أن ينطمس آثارُ الخَلْقِ في أنوارِ الخالِقِ بأن يُقْذف بالحق على الباطل فيدمغه حتى جاء الحق وزهق الباطل، والباطل حولٌ فالتوحيد إزالة الحَوْلِ عن عينِ الأحولِ حيث لا حولَ. لا هذا ولا ذاك، بل سِواك ولا عداك، فأنت أنت؛ لا أنت إلاَّ أنت!.

## فصلٌ

من لا اسمَ له كيف يُعبَّر عنه؟ ومَن لا رسم له كيف يُرْسم؟ ومَن لا علامة له كيف يُعْلَم؟ ومن نعته «لا هو» و«لا غيره» كيف يُنعت؟ ومن لا يعرَفُ كيف يُعرَّفُ؟ ومن لا يفترقُ كيف يُقْترن؟ ومن لا يغيبُ كيف لا يستَحْضرُ؟ ومَن وُجِد كيف يُوجَدُ؟ والأحَدُ كيف يُوحَّدُ! إذ الحاصل لا يُحَصَّلُ!.

## فصلٌ

المعرفةُ: ١ ـ فعليَّة. ٢ ـ وصفيّة. ٣ ـ ذاتيّة.

والفِعليَّة عاميَّة فطريَّة؛ والوصفية خاصيَّة عقلية؛ والذاتية خاصية وهي كشفيَّة، فالفعلية مبدأ المحبة، والوصفية مُجامعها، والذاتية عشقيّة، فالأولى نكِرَة والثانية بيان والثالثة عَيانٌ، والنّكرة للمريد والبيان للمُرتاض والعيانُ للمُراد، وهي أن ينمحي إدراك العارف في وجدان المعروف، فنهاية العارِف أن يكون كما كان قبل ما كان، والعرفان أن يكون الشيء كما كان، فإن نفس المعرفة نفسٌ وعين المحبة عين؛ ولهذا الإيمان بمعرفة الله شِرْكٌ والكفر بمعرفة الله إيمان، والعارِفُ مَن شغله معروفه عن معرفته، وكما أن الواجدَ من غاب عن الوجدان فالعارف مَن نسِي العِرفان، فإن الغائب للعارف حاضر والحاضِرُ له شاهد، بل المعرفة شاهد على الشاهد وبَدْو الشاهد بفناء الشواهد، فإنَّ العارِف ثواب الجنَّة وعقاب النار، والجنة ثواب العابِدِ وعقابُ العارِفِ، والنارُ بردٌ وسلام على العارف، والجنَّة سَتْرٌ وحجابٌ للعابد، ولا

غائِبٌ للعارِفِ كما لا عارف للغائب، والمعرفة الأولى غيبيَّة كما أن الثانية عقلية والثالثة عينيَّة.

## فصلٌ

إنما يتوصَّل من الغيبية إلى العينية بالجذبِ أو السلوك، والجذبُ ظهور المجذوب دفعةً والسلوك طلَبُ ذلك الظهورِ، وفي السلوك ارتياضٌ كما أن في الجذبِ احتِشاماً، فالسلوك سيرٌ روحاني منه إليه وأنه للمريد كما أن الجذب للمراد. والمريدُ من يتوجَّه بكلِّيته نحو القدس، وقد يكون بوصيلةٍ والوصيلة قطيعة، والإرادة رغبة صادقة من نفسٍ صادقة تحقيقاً أو تقليداً في نيلِ الوجودِ الحقِّ، فالواجِدُ غيرُ سالِكٍ والسالِكُ غير واجِدٍ.

## فصلٌ

والسلوك إنما يتمُّ بتزكيةٍ وتحلِيةٍ، والتزكية الاتصاف بصفة الفناء، والتحلية الاتصاف بصفة البقاء، وإنما تتأتى التزكية بتركك الدنيا وإماتة الهوى، والأول زهدٌ، والثاني عبادة. والزُّهد إعراضٌ عن متاع الدنيا وطيِّباتها، فإن كان لعوَضٍ فهو ربْوَاً - ويكون مثلُ هذا الزاهد أحرص الناس على التعلُّقات الدنيوية - وإن كان لكونه لا يستحق الالتفات إليه فهو تنزُّه وتقدُّس، إذ هو التبرِّي عن غير المولى، فلهذا زهدُ الزاهد كراهة وزهد العارف نزاهة، وزهد المُتَّقِي رَهْبَةً، وزهد العابد رغبة، والعبادة تسخير النفس الأمَّارة للنفس المطمئنة لئلاً يعُوقَها عن طمأنينتها في عالَمِ التَّمكين.

## فصلٌ

الدُّنيا ما يُشغِلُ سِرَّك عن المولى، ومما سنح ها هنا أنك إن تأصّلت بعين الإنصاف تيَقنت أنك لا تخْلفُ شيئاً من الدنيا إلاَّ ويأخذه من لست ترضى بأن يأخذه، إذ لو كنت راضياً به لكنت قد أعطيته طَوْعاً مع أنَّ فيه فضيلة السخاءِ وأمارة التجرُّد والزكاء بعكس الإخلاف، ولذا كان كذلك، فما أفظع حسرتك على مفقودك، ومعشوقك في طلعة ممقوتِكَ!.

وأيضاً: بقَدْرِ كرامة الدنيا عندك حقارتك عند غيرك، وبقدر حقارة الدنيا عندك كرامتك عند غيرك.

وأيضاً: الجريمة - كل الجريمة - أن تَجْتَرِم بغيرِكَ وهو إما عدوٌ يسعى في بليَّتِك أو وارِثٌ يتمنَّى مُنيَّتَكَ.

وأيضاً: رَغْدُ العيش مع الحرصِ لا يجتمعان.

وأيضاً: لا تَجْعل حظَّكَ من المالِ أقلّ من حظّ حادثٍ أو وارثٍ.

وأيضاً: المالُ لكَ وعليكَ، والعلمُ لك وعلى عدُوِّكَ.

وأيضاً: تحُظَّ من طيِّباتك قبل أن يتحَظّى أقاربٌ كالعقاربِ، أو أباعِدٌ كالأكالِبِ.

وأيضاً: تمتَّع مِن مراتِعِك قبل أن تمتَّع مُنازِعُكَ.

وأيضاً: لَمْ تنفتح باب غرَضِكَ ما لم تفتح باب عرضِكَ.

وأيضاً: من صان قلبه عن الركون إلى الدنيا صانته العِصمة عن السكون إلى العُقْبى وتُوصِلُهُ العناية إلى المولى.

وأيضاً: مُحِبُّ الدنيا بغِيضٌ لنفسه ولغيره.

وأيضاً: خيرُ ما اكتسبْتَ ما أعطَيْتَ وما أكلْتَ.

وأيضاً: الدُّنيا دارُ قُلْعَةٍ وفناءٍ ومنزلُ كُلفَةٍ وعِناءٍ، وموضِعُ عُبُورٍ وعِثارٍ، ومجمَعُ غُرورٍ وبوارٍ، دسَمُها سَمٌّ ونَغَمُها غَمٌّ، فَرَحُها نزَحٌ، وشرَفُها سَرَفٌ، ذلُّها ذُلٌّ وعزُّها غُرٌّ، عذبُها عذابٌ وطلاقَتُها طلاقٌ، تشريحُها تسْرِيحٌ وتَفْريحها تقريحٌ، سلامَتُها ملامَةٌ وكرامَتُها غرامَةٌ، راحَتُها داحَةٌ وسعادَتُها عاهَةٌ، وسُرُورُها شُرُورٌ ومتاعُها غرورٌ، والآخرة هي دار القَرار، ولهذا قال: ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرّعد: الآية ٢٤].

مَن ترَكَ الدنيا وصل إلى المَوْلى.

بقَدْرِ بُعْدكَ عن الدنيا قُرْبك إلى المولى، وبقدر قُرْبك منها بُعْدُك عنه.

## فصلٌ

لا بُدَّ في التَّزكية والتَّحْلية من الصبر، وهو حبسُ النَّفس عن مُقْتضيات الهوى.

وممّا سَنَحَ: الصَّبرُ جنّة الدواهي والرِّضا جنَّةُ المباغي، المحنةُ ضِيقُ الذَّرْعِ والمُلِمَّة فقدانُ الصَّبْرِ.

الرجولية هي الصبر على الشدائد والثَّبات عند المخاوف والبَسْطُ مع المكارِه.

التَّدْبيرُ لا يدفَعُ النقَدَيْنِ.

القُوَى والقُدَر لا تُقاوِمُ القضاءَ والقدر.

لا يبقى ألمُ العفاف ويبقى العفافُ، وتزُولُ الشَّهوة ولا تزولُ النَّدامة.

الطَّيْشُ يُنَقِّصُ العيشَ.

الحِدَّةُ أوجَعُ داءٍ، والحِلْمُ أنفع دواءٍ.

أغْلَبُ الخَصْمَين أقواها حلْماً وأكتَمُها حِقداً.

الفزَعُ يتضاعف بالجَزَعِ، الجزَعُ أشدُّ أغياً من الصبر.

إن فاتَ بحلول البلِيَّة حظُّك العاجِلِ، لا تُفَوِّت بكثرة الجزع حظَّك الآجِلِ.

لا تكثر محنَتَكَ بِكَثْرَةِ نوحَتِكَ.

مَنْ أراد أن يُصْرِفَ عنه الحَدَثَانُ أرادَ أن يكون مِنَ الموتان.

كَثْرَةُ الأنينِ لِقِلَّةِ اليَقِينِ.

شِدَّةُ الكَدِّ لقُوَّةِ الشَّكِ.

إذا قَوِيَتِ النفسُ لم تَنَلْ فيها النَّكَباتُ.

## فصل

لا عمَلَ إلاَّ بالنيَّة، وهي هيئةٌ مُنْتَقشةٌ في النفس من جهة رغبتها في نيلِ مقصودٍ، فإذا زالَت تلك الرَّغبة بطُلَتْ تلك الهيئة، فلهذا «نِيَّةُ المُؤمن خَيْرٌ من عمَلِهِ»[(١)].

## ومن السوانح

إذا تَعَدَّيتَ النيَّة بطُلَتِ الهِمَّةُ.

جرِّدْ نِيَّتَكَ ووحِّدْ هِمَّتَكَ تَنَلْ بُغْيَتَك.

إذا صدَقَتِ النِيَّةُ وخلُصَتِ الهِمَّةُ حصَلت المُنْيَةُ وبطُلَتِ الغُمَّةُ.

حُسْنُ العملِ يُعْرَفُ من حُسْنِ الباعِثِ وقُبْحُهُ من قُبحِهِ.

قَبيحُ العمَلِ مع حُسْنِ الباعِثِ حسَنٌ وحُسْنُ العمَل مع قُبْحِ الباعِثِ قَبيحٌ.

الهِمَّةُ اجتماعُ الرَّغْبَةِ الصادِقَةِ مع النِيَّةِ الكاملة ما يُنالُ بالنيَّةِ الصادِقَةِ والهِمَّةِ العالِيَةِ.

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير، عن سهل بن سعد الساعدي، حديث رقم (٥٩٤٢) [٦/ ١٨٥] والقضاعي في مسند الشهاب، نية المؤمن أبلغ من عمله، حديث رقم (١٤٨) [١/ ١١٩] ورواه غيرهما.

## فصل

ولا بُدَّ مِنْ رِعايةِ أمرِ الصُّحْبة والموافَقَةِ مع الخَلقِ في تَحْصيلِ المطلُوبِ.

### ومن السَّوانح

خيرُ الصُّحبة ما لا يكون معها حجابٌ، لكن يكون معها سَتْرٌ.

خَيرُ الأصحابِ مَن لا تحتاجُ إلى أن تكتُمَ عنه ما يعلَمُ الله منك.

شَرُّ الأصحاب من إذا رأى منك خيراً كتمَهُ، وإن رأى مِنكَ شَرّاً أعلَمَهُ.

المُوافقة دون المشاهدة مجاهدَةٌ.

بالإخوانِ تُدْفع الأحزان.

لا تتَّخذ عدُوّاً لمحبة حبيب ولا لمبغضة بغيضٍ، فإنَّ الحبيب قد يصيرُ بغيضاً والبغيض قد يصيرُ حبيباً.

المُتقاعِدُ عن ترْفِيَةِ الأحباءِ وتَنكيدِ الأعداءِ حقيرٌ في أعينِ الناس.

إذا أسأت إلى أحد لا تأمن غوائِلَهُ.

ثِقْ بمن أحسنت إليه ولا تأمَنْ غوائِلَ مَنْ أسأت إليه.

لا تأمَنْ صاحِباً لا ينظُرُ إليك بسِرِّ القدَرِ.

إنْ ألقيْتَ التُّهَمَة على نفسك استَرَحْتَ.

مَنْ ضيَّعَ حقَّ أخيه اتكالاً على مؤاخَتِهِ سَتَؤُولُ مُواخاتُهُ مُناداةً.

من أراد أن يعرف مرتبته فلينظر إلى من يُحِبُّهُ من غيرِ عِلَّةٍ.

الصُّحْبة تُؤثِّر كتأثيرِ الروح في البدنِ.

حُسْنَى الحسناتِ الإحسانُ، وسوأى السيئات الإساءَةُ.

محاسِنُ الفُتُوَّةِ ثلاثٌ: البذل مع الاحتياج، والعفو مع الاقتدارِ، وتحمُّلُ أعباءِ الضُّعفاءِ.

غايَةُ السعادَةِ في الصِّدْقِ مع الحقِّ والخُلقِ مع الخَلْقِ.

عامِلِ الخَلْقَ بالخُلقِ والحقَّ بالصِّدقِ تكُنْ خَليفَةَ الحقِّ في الخَلْقِ.

مَن زَرَعَ البَرَّ يحصدُ البَرَّ البُرُّ.

لا تكتَسِب الحسنَةَ بالسيِّئة.

لا تنتظر سؤال المُستحق إفاضتَكَ الخير، وإلاَّ لم تكن أنتَ الخيْر بل المُسْتحقُّ هو الخيْرُ.

مَنْ عظُمَتْ نِعْمَةَ الله إليه كَثُرَتْ مؤُونَةُ الناس عليه.

ثُباتُ الدولة في الرّأي الصائِب والجهْدِ الواسِعِ والعَدْلِ الشَّايعِ.

لا تُؤخّر قضاءَ الحوائِجِ، إذ لا اعتماد على الحوادِثِ.

كن حكيماً في الأعمال لا في الأقوال.

ليس من الحِكمَة في شيءٍ مَنْ لم يُوافق فِعْلُهُ قوله وقوله قصدَهُ وقصْدُه عَقْلَهُ.

اسْتَحي من كلامِكَ واستَوْصِ من بيانِكَ، واستَخْفِ من نسائِكَ.

العملُ العاري عن الصدق لا ينفع، كما أنَّ الجِسْمَ العاطِل عن الرُّوحِ لا يَنْجَعْ.

العِلْمُ بدون العملِ وبالٌ والعملُ بدون العلمِ ضلالٌ.

لا تخْتَر الفَضيلَةَ وسَتْرُكَ الفريضة.

إذا لكَ حاجةٌ إلى أحدٍ ـ ولو كان أباكَ ـ فاعْرِضْها عليه، فإنَّ الطفل ما لم يَبْكِ لم تَرْضِعْهُ أُمُّهُ.

العَقْلُ أحسَن قَرِينٍ والجهْلُ أقْبَحُ رَفيقٍ.

من تجاوَزَ عنِ الخيرِ لم يتجاوَزْ عن الشَّرِّ.

يُمْنُ الظَّفَرِ بحُسْنِ السِّيَرِ.

الكريمُ شكُورٌ ومَشْكورٌ، واللَّئيمُ كَفُورٌ ومكفُور.

المُحْسِن إذا لم تكن لذَّتُهُ أكثر من لذَّةِ المُحسِنِ إليه فإحسانُهُ حرامٌ.

المُحْسِنُ محبوبٌ ولو للأجانِبِ، والمُسيءُ مَبْغُوض حتى للأقارِبِ.

عداوَةُ الحاسد لا تزولُ إلاَّ بزوالِ النِّعْمة أو بجعلِ الحاسِدِ شريكاً فيها.

مَنْ عادَى أحداً أو أضمرَ حسداً فقد كدَّ وقته وانكَدَّ عيشه، لأنه قد استغرَقَ في إدراكِ سعادةِ المُنافِي بفكْرِهِ وذِكْرِهِ ووجْدِهِ كلَّما شاهد نفسه مُتَّكِياً على سرير وجوده وسِرِّهِ.

اجْعَلْ حاسِدَكَ شريكاً لك في اسْتِزادَتِها.

مَن أحسن إليك كنت سَبباً لِثوابِهِ، فلا تُعلِّق قَلْبَكَ إلى مُكافأتِهِ، لكن تركُ المقدور ظُلْمٌ، ومَن أساء إليك كنت سبباً لعقابِهِ فلا تنهَضْ إلى مُجازاتِهِ، لكن تركُ التأديبِ شُؤمٌ، وإذا أجنْتَ إلى أحَدٍ فله مدخَلٌ في حصُولِ أجْرِكَ، فلا تمْنُنْ عليه،

وإذا أسأتَ إلى أحدٍ فقدِ ادَّخرتَ وِزْركَ فلا تَسْتكثِرْ منه.

افتِخارُ الكامِلِ بالفضل، وافتخارُ الناقِصِ بالأصْلِ.

إذا أقْبَلَتِ الدولة بَخَتِ النَّفْسُ من أحقادِها على أكْفائِها.

تعظَّم على الأعادي بالمعالي.

إنَّ أفضلَ ما تنتقِمُ به عدُوَّكَ أن تزيد في عُلُوِّكَ.

افتَخِرْ بفضيلَةِ نفسِكَ لا بنقيصَةِ غيرِكَ.

كثرَةُ التَّمتُّعِ في قلَّةِ التمتُّعِ.

رُبَّ لذَّةٍ تجلِبُ آلاماً عِدَّة.

التَّعَبُ القليلُ قد يورِثُ السرور الكثيرَ.

اجعَلْ حِلْمَكَ جُنَّةً لِقَذْفِ السَّفيهِ.

إظهارُ التحبُّبِ للَّئيم تجنُّباً أضَرُّ بالعِرْضِ مِنْ تسامُعٍ.

ليسَ في استِجْلاب المودَّة شيء كالوفاءِ، لأنَّ الناس يَثِقُونَ بمُضافاتِهِ مؤاخاته.

خالِطِ الخَلْقَ بظاهِرِكَ لا يُعادُوكَ، وسايِرْ إلى الحقِّ بباطِنِكَ يُحبُّوكَ.

الحِكْمَةُ مع الإهانَةِ بالدُّنيا وإزاحة الهوى والانقطاعِ عن الوَرى.

تجاوَزْ عن الجزئيات الخسيسَةِ تنل الكُلّيات الشريفة.

المُعْجِبُ ممنوعٌ من الترقّي.

الغِنى في القناعة والعِزُّ في الطاعَةِ والشرفُ في الزَّهادَةِ والحكمة في العبادة واللذَّةُ في المعْرِفَةِ والنَكَدُ في طلَبِ الرِّئاسة، والفَقْرُ في الحِرْصِ، والمَذلَّة في البُخْلِ.

لا تُقى مع حرصٍ، لا رَفْعَة لبخيلٍ، لا أمْنَ لحقُودٍ، لا حِقارَةَ لِبَذُول، لا كرامَة لِنمَّام، لا امتداد لِظَلاَّمٍ، لا عِز لغُرٍّ، لا دَليل لِذَليل، لا سُرور في دارِ الشُرور، لا عاذِلَ لعادِلٍ، لا راحِمَ لِظالمٍ، لا عيشَ مع طَيْشٍ، لا جارَ لِمَنْ جارَ، لا دارَ لمن دارَ.

بِقَدْرِ ما تشتغِلُ بالمشاغِلِ تشتعِلُ في قلبِكَ المشاعِلُ.

اعْرِض عن عرْضِكَ صيانةً لعِرْضِكَ يحصلُ غَرَضُكَ.

السَّهْلُ مع الحُزْنِ حزْنٌ.

الكَسلُ من خُمُودِ الهِمَّةِ.

لِذَّةُ العيشِ في سِعَةِ الصَّدْرِ.

غَمِّضْ عيُونَكَ من عُيوبِ غيرِكَ تسترح، وافتحْ جُفونك في عُيُوبِ نفسِكَ تسْتَقِمْ.

استَكْثِرِ القليلَ مِن عملِ غيرِكَ واسْتَقْلِلِ الكثيرَ مِنْ عملِكَ تكُن في بهجةٍ وسرورٍ والناسُ منك في راحةٍ وحُبُورٍ.

إعزازُ النفسِ إهانة بالروح، وتَرْبِيَةُ الهوى إجْحافٌ بالعَقْلِ.

انْتِقَاصُ البشريَّةِ أَوْلى من ازديادِ المَلَكِيَّةِ.

نَفسَكَ باسمِ صِفَتِكَ أو اجْعَلْ صِفَتَكَ مُطابِقَةً لاسْمِكَ قبلَ أن تصِيرَ سِيرَتُكَ صورتَكَ وصورَتُكَ سيرتَكَ.

فراغُ القَلبِ أطيَبُ مطلوبٍ.

السِّيادةُ منافي الدّعة والراحةِ.

مَنْ أنصفَ من نفسِهِ أَمِنَ مِنَ الغرامَةِ، ومَن أَتَى بما عليه لم تَلْحَقْهُ النَّدامَةُ.

التّامُ العقل يجِبُ أن تكون ثقتُهُ برأيِهِ، كما أن تامَّ الصحة يجب أن يأكُلَ باشتِهائِهِ.

الوَالِي الذي نُدماؤهُ أشرارٌ يجب أن يعمَلَ بأوّلِ فِكْرَتِهِ.

مَن غَرَسَ غَرْساً ولَمْ يَدْفَعْ عنه العاهاتِ ضاعَتْ مساعِيَهُ.

من اتَّبَعَ شُغْلَ غَيْرِهِ شَغَلَ عن شُغْلِ نَفْسِهِ.

مَنْ طَلَبَ عَمَلَ غَيْرِهِ تَرَكَ عَمَلَ نَفْسِهِ.

اسْتَكْمِلْ فضائِلَ خُلْقِكَ لا محاسِنَ خَلقِكَ.

أفْضَلُ والٍ مَن كان في حقِّ الله على ما أراد ممَّن هو دونه، وفي حقِّ الخَلْقِ على ما أراد مِن الحقِّ.

أعْظَمُ مُصِيبَة أن تقْدُرَ على معروفٍ، فلم تصْنَعْهُ حتَّى يَفُوتَ.

مِن أسرار الحقِّ احتِياجُ الفقراء إلى الأغنياء لينتفعوا بحضورِهِم.

خيرُ الناسِ مَنْ كان صمتُهُ فِكْراً ونُطْقُهُ ذِكْراً ونَظَرُهُ عِبْرَةً.

أفْظَعُ مِنَ المَوْتِ ما يُتَمَنّى فِيهِ المَوْتُ.

كُلُّ أحَدٍ ضَيْفُ ظَنِّهِ.

مَنِ اشتغَلَ بما لا يَعْنِيهِ ضيَّعَ ما يَعْنِيهِ.

حالَةُ الرَّخاءِ مُكثِّرَةُ الآخاءِ.

مَنِ اتَّبعَ الهوى هَوى.

الأحْمَقُ أرْذَلُ مِنَ الحِمارِ وأجْهَلُ، بقدْرِ ما يكونُ الحِمارُ أرْذَلُ مِنَ الإنسان وأجْهَلُ.

الكاذِبُ أخَسُّ مِن الجَمادِ بقَدْرِ ما يكُونُ الجمادُ أخَسُّ مِنَ الصَّادِق.

مَنْ هانَت عليه الدُّنيا هانَت عليه العُقْبى وفازَ بالسعادة العُظْمى.

المَنْصُورُ مَن يَبْهَرُ العَدُوَّ فضائِلُهُ، لا من تقْهَرُهُ رذائِلُهُ.

المَخْذُول من هُدِيَ إلى رشادِهِ ولَمْ يُوَفَّقْ لتحصِيلِ أسْبابِهِ.

الأحْمَقُ مَنْ طلَبَ البقاءَ مِنَ الفَناءِ.

من طَلَبَ ما لا يَدُومُ فليضَعْ على نفسه أنَّه يَفُوتُ.

الشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ في أُخْراهُ.

رُبَّ شَقِيٍّ في أُخراه، سعيد في أولاه.

المَقبُولُ مَنْ قَبِلَ حُكْمَ الله وخالَفَ هواهُ، والمَطْرُودُ مَنْ يأبى قضاء الله ويَطْلُبُ رِضاه.

النِّسْيانُ شاهِدٌ على كِذْبِ الكَذُوبِ.

العِلْمُ أنْفَعُ كُنُوزٍ.

جُرْحُ العالِمِ خَيْرٌ من جبارِ الجاهِلِ.

العُمرُ رأس المالِ، والمعرفة رِبْحُهُ، والغباوَةُ خُسْرُهُ، والوقْتُ نَقْدُهُ، فالفائِزُ مَن لا يصرِفُ النَّقْدَ إلى النسيَّةِ، ولا يُبْدِّلُ الرِّبْحَ بالخُسْرِ.

معرفَةُ الخيرِ مِنَ الشرِّ سَهْلَةٌ، وإنما الصُّعوبة في الاجتِنابِ عنِ الشرِّ والإتباعِ للخَيرِ.

نَقْصُنا من جهة العمل أكثر منه من جهة العِلْمِ، فإنّا لو أتينا بالخيرِ الذي نعرِفُهُ واجْتَنَبْنا عن الشَّرِ الذي نَعْرِفُهُ لحصل لنا مطالِبُ جَميلةٌ وفوائِدُ جليلة، وأقلُّها أن لا تَمَسَّنا النَّدامَةُ، ولا يجبُ علينا من عَقْلِنا التَّعْييرُ والغَرَامَةُ.

ظُلْمَةُ العِلْمِ أشَدُّ مِن ظُلْمَةِ الجَهْلِ.

العِلْمُ حِجابٌ نُورانِيٌّ.

العَقْلُ شَرْعٌ مِنْ داخِلٍ، والشرعُ عَقْلٌ مِن خارِجٍ.

العالِمُ مَن حَضَرَهُ الغائِبُ، والجاهِلُ مَن غابَهُ الحاضِرُ.

العِلْمُ صَبْغٌ للنَّفْسِ والخُلُقُ نظافَتُها ولا يَشْرُقُ صَبْغٌ ما لم يُنْظَفْ.

## فصلٌ

الرِّضَى التَّلذُّذ بكلِّ واردٍ.

التَّوَكُّلُ أن يَكِلَ نفسه إلى مُرَبِّيهِ ومُدَبِّرِهِ، بعد أن عَرِفَ أنه ليس له مِنَ الأمْرِ شيءٌ.

التَّسليمُ أن يُسَلِّمَ نفسه إلى مَنْ سلَّمَها إليه عارِيَةً، فالرِّضَى بمَحْوِ إرادَةِ الشخصِ في إرادة الحقِّ، والتَّوكُّلُ بِمَحْوِ قُدْرَتِهِ في قُدْرَتِهِ، والتَّسليم بِمَحْوِ عِلْمِهِ في عِلْمِهِ، والفناءُ بِمَحْوِ الكُلِّ في حقيقة الكُلِّ، ويَلْزَمُ منه مَحْوُ الوجُودُ المجازِيِّ في الوجودِ الحقيقيِّ، فإذا اعتُبِرَ الوجودُ المجازي تَكُونُ فناء، وإذا اعْتُبِرِ الوجود الحقيقيّ تكونُ بقاءً، وبالاعتبارين يتحقَّق ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمٰن: الآيتان ٢٦، ٢٧]، ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: الآية ٢٦].

## فصلٌ

مَنِ اطَّلَعَ على سِرِّ القدَرِ صانَته العِصْمَةُ عَنِ الإصابَةِ بالضَّرَرِ.

نِسْبَةُ الكاتِبِ إلى المَبْدَءِ كنِسْبَةِ القَلَمِ إلى الكاتِبِ، فكما أنَّكَ رفَعْتَ النَّظَرَ عَنِ القَلَمِ كذا ارْفَعِ القلمَ عن الكاتِبِ تجِدْهُ في صَنْعَتِهِ مَعْذُوراً، وفي زلَّتِهِ مَغْفُوراً.

ليسَ الرِّضَى امتِناعُ النَّفْسِ عنِ الكَسْبِ والطَّلبِ، وإنما هو امتناعُها عن الضَّجرِ عندَ فقدِ الغرَضِ مع الابتهاجِ في النَّظَرِ.

الرِّضَى غايَةُ السعادةِ والغضَبُ نهايَةُ الشَّقاوَةِ.

الرِّضى عَيْشٌ هَنِيٌّ.

الرِّضوان ثَمَرَةُ دَوْحَةِ الرِّضَى.

الرِّضَى فرَحٌ يمْتَدُّ والقناعَةُ غِنًى لا يَنْفَدُ.

التَّوَكُّلُ هُوَ الوثُوقُ بمن له الأمرُ بعد أن أقامَهُ مقامَ نفْسِهِ.

لا تُوقِعَنَّ عندَكَ في رِضاكَ، إنَّك أنت وبإزائِكَ مَنْ هُوَ هُوَ يَفْعَل فِعْلاً مَرْضِياً عندك مَحْمُوداً لديك، تكُن أشدُّ مُشْرِكٍ إشْرَاكاً، وأقبَحُ مُدْرِكٍ إدْرَاكاً، ولكن بأن كُنْتَ مُبْتَهِجاً بِوِجْدانِ الوجودِ المُطْلَقِ الذي هو مَحْضُ البَهاءِ والجمالِ وفوقَ التَّمامِ

والكمالِ؛ وقِسْ عليه التَّوَكُّلَ والتَّسْليم!.

مَنْ خاضَ لُجَّةَ الوصولِ تَنَزَّه عن الرَّدِ والقَبُولِ، وتقدَّسَ عن الدُّعاءِ والفُضُولِ.

لَذَّةُ الرِّضى أبْهَجُ من مِحْنَةِ البَلاءِ.

لا مَصْنُوعَ إلاَّ يُنْبِيءُ عن رائِقِ صفاتِ صانِعِهِ، والمُسْتَبْصِرُ إنَّما ينظُرُ إلى شمائِلِ الصانِعِ في صُنْعِهِ، فكيف لا تُعْجِبُهُ بدائِعُهُ ولا يَرُوقُهُ طَرائِفُهُ؟!.

## فصل

واعلم، أنَّ في السلوك مقاماتٍ وأحوالاً، والمقام كلُّ منزِلةٍ كسبيَّة يقوم فيها السالك حتى يطمئنَّ، ثم يرتحِلُ إلى ما فوقها إلى أن يصل إلى التَّمكين.

والحالُ هَيْئَةٌ موهِبيَّة وارِدَةٌ من الحضْرَةِ الرَّبانِيَّة يُزَيِّنُ وقْتَ السالِكِ إلى أن يصلَ.

والتَّمَكُّنُ قرارُ السِّرِّ في مكانِ العِزِّ، والمكانُ لأهْلِ التَّمكينِ كالمقامِ لأهل التَّلوينِ.

والتَّلْوينُ انقِلابُ القلبِ إلى طبْعِ الوارِدِ كما أنَّ التَّمكين انْقِلابُ الوارِدِ إلى طبع المُتَمَكِّنِ، فيكونُ المتمكِّن غالباً على الأحوال كما أنَّ الأحوال غالِبَةٌ على المُتَلَوِّن، فأهْلُ التَّمكينِ يُنزِّلُ كلَّ شيءٍ مَنْزِلَهُ، وأهل التَّلوين يُنَزِّلُهُ كلُّ شيءٍ منزله، والوقت هو الزمان الحاضِرُ بينَ الفائِتِ والآتي باعتبارِ اتِّصافِهِ بِوَارِدٍ زمانيٍّ، والفائِتُ لا يُدْرَكُ والآتِي يُتْرَك، فالوقت لا ينصَرِفُ إلى غيرِ النَّقْدِ، فالحالُ زِينَةُ الوقتِ والسَّكِينَةُ ثُباتُ الحالِ.

## وصلٌ

أولُ المقاماتِ الانتباهُ، وهو: التيقُّظ عن سِنَةِ الغفلةِ.

ثمَّ التوبة، وهو: الرُّجوعُ إلى الله من بعدِ الذهابِ، ولا تتحقق التوبةُ إلاَّ من الحسناتِ الماضية والسيئاتِ الآتِيةِ، بل إلاَّ من التَّوْبَةِ.

ثُمَّ الأوْبَةُ، وهو: الرجوع مِنَ الوَهْمِ إلى الذِّكْرِ، والذِّكْرُ طَرْدُ الغَفْلَةِ وإنه للغائِبِ، الذكرُ تركُ الذِّكْرِ، وحظُّ الذَّاكِرِ مِنَ الذِّكْرِ بقَدْرِ معرِفَةِ المَذْكُور، إذ الذِّكْرُ سُلَّمٌ مِنَ الذَّاكِرِ إلى المذكورِ، فلهذا الذَّاكِرُ مَنْ أنسى مذْكُورُهُ ذِكْرَهُ، فإنَّ الذِّكْرَ لمن وضعَ فَهْمُكَ، كما أنَّ الاسم لمن صنعَ وَهْمُكَ؛ فإنَّ مَنْ لا اسْمَ له كيف يُذْكَرُ باسم؟ ومَن لا رَسْمَ له كيفَ يُرْسَمُ بِرَسْم؟ نَعَمْ! الذِّكْرُ جَلْبُ الفُتُوحِ كما أنَّ الفِكْر مِعْراجُ الروح، لكن التَّفكُّر في الدنيا عقوبةٌ لأهل العُقْبى، والتفكُّر في العُقْبى عقوبة لأهل

المولى، وأنفع التفكُّر ما يُورِث إيثارَ الفاني واستيثارَ الباقي.

ثم الورعُ والتَّقوى، وهو: تَرْكُ ما اشْتَبَه، لكن ورع أهل الشريعة مِن المحرَّمات وورعُ أهل الطريقةِ من المُشْتبَهاتِ وورَعُ أهل الحقيقةِ من الصِّفاتِ.

ثمَّ المُحاسبة، وهي: تِعْداد ما صدر عن النفس في معاملات الشخص بينه وبين نفسِهِ وبين بني نوعه وبين حقِّهِ لاكتسابِ الرِّبْحِ والاجتناب مِنَ الخُسْرِ، حاسِبْ قبلَ أن تُحَاسب.

ثم الإرادةُ، وهي: الرَّغْبَةُ في النَّيْلِ مع الكَدِّ، فالمُريد من شرَعَ في السلوك كما أنَّ المُبْتَدي من عزم عليه.

ثمَّ الزُّهْدُ، وهو: تركُ الدنيا، والزهد الحقيقي التَّبرِّي عن غير المولى كما أنَّ العبادة الحقَّة التَّوَلِّي إلى المَوْلى، والمعرفة العارِفَة شهود المولى.

ثمَّ الفَقْرُ، وهو: تَخْلِيةُ القلبِ ممَّا خلَتْ عنه اليَدُ.

الفقير مَنْ عَرفَ أنَّه لا يقْدِرُ على شيءٍ، وبوجْهٍ آخر، الفقْرُ: هو الغِنى بالله، فلهذا إذا تمَّ الفَقْرُ فهو الله!.

ثمَّ الصِّدْقُ، وهو: اسْتِواءُ السِّرِّ والإعلانِ.

ثم التَّصَبُّرُ، وهو: حَمْلُ النَّفْسِ على المكارِهِ.

ثم الصَّبْرُ، وهو: تَرْكُ الشَّكوى.

ثم الرِّضى، وهو: التلذُّذُ بالبَلْوى.

ثم الإخلاص، وهو: إخراجُ الخَلْقِ عن مُعاملة الحقِّ والخلاصُ بالإخلاص، والإلتفاتُ إلى الإخلاصِ عُجْبٌ، إذ الإخلاص تخليصُ النِّيَّة ورفْعُ الهِمَّةِ، فمنِ التَفَتَ إلى إخلاصِهِ أشْرَكَ! إذ المُخْلِصُ من خَلُص عن إخلاصِهِ.

ثم التَّوكُّل، وهو: الاعتمادُ على الله مع العِلْمِ بأنَّ الخيرَ فيما اختارَهُ.

ومنهم من يَعدُّ الرِضَى من الأحوال لا من المقامات، فلا ينتقِل من مقام إلاَّ بعد تصحيح آدابه إلى أن تصيرَ المُعاملة إلى القُلُوبِ، قيل: إذا صارَتِ المعامَلات إلى القلوبِ استراحَتِ الجوارِحُ.

والأحوالُ معاملات القلوب.

فمنها: المُراقبة، وهي تُعرِّض الروح للنفحات الربانية وحفظها عن مُلاحظة الغير.

ثُمَّ القُرْبُ، وهو: جمعُ الهِمَّةِ بين يدي الله بالغَيْبَةِ عمّا سواه.

ثم المحَبَّةُ، وهي: اسْتِغراقُ الروح في مُطالعَةِ كمالِ المحبوب، كما أن العِشْقَ شُرُوقُ الرُّوح بنُورِ جمالِ المعشوق؛ والشوق ابتغاء المَشُوقِ ببذْلِ المجهودِ، فإنَّ الحُبَّ سَيَلانُ الروح إلى اتِّحاد وصفِهِ بصِفَةِ المحبوب.

والعِشْقُ شِدَّة الميلان إلى وحْدَةِ الذَّاتِ، والشوقُ سيْرٌ من اتِّحادِ الوصف إلى اتِّحادِ الذَّاتِ، فالحبيب من شغلَ عن حُبِّه بحبيبه، والعاشق من صرَفَ عِشْقَهُ في مَعْشُوقِهِ، إذ من ابْتَغَى التَّحَظِّي مِنْ معشُوقِهِ فهو عاشِقٌ لنفسه، ومن جعل الحُبَّ مصلحَةً لنفسه فهو حبيبٌ لنفسه، فالعِشقُ لأهْلِ الحضور كما أنَّ الشوْقَ لأهْلِ الغَيْبَةِ.

ثُمَّ بعدَ المحبَّةِ الرَّجاءُ، وهو: انتظارُ الوَعْدِ بعد تصدِيقِهِ.

ثمَّ الخوفُ، وهو: مُطالعَةُ سطَواتِ الحقِّ.

ثم الحيَاءُ، وهو: انْحِصارُ القَلْبِ عن الانْبِساطِ.

ثمَّ الشَّوْقُ، وهو: هيجانُ القلْبِ إلى نَيْلِ المطْلُوبِ.

ثم الأُنسُ، وهو: تمامُ الأُلفَةِ مع المحبوب.

ثم الطُّمأنينة، وهو: السكونُ على ما وردَ.

ثمَّ اليقينُ، وهو: التصدِيقُ الجازِمُ المُطابِقُ الذي لا يَزُولُ.

ثم المشاهَدَةُ، وهي: عينُ اليقينِ.

ثمَّ المُكاشفةُ، وهي: حقُّ اليقين، فالمُشاهدَةُ بِطُلُوعِ نُورِ المَشْهُودِ، والمُكاشَفَةُ بطلوعِ ذاتِ المكشوف؛ والكشفُ ظهورُهُ على بصِيرَةِ السِّرِّ، والتجَلِّي شُرُوقُ النور على بصيرَةِ المُقْبِلِ.

## فصلٌ

البادي ما يَرِدُ على القلب في وقت المُراقبة ولا يلْبَثُ؛ والوَارِدُ ما يَرِدُ ويَلْبَثُ؛ والخاطِرُ وارِدٌ يُحرِّكُ الروح إلى رغبةٍ في شيءٍ أو عن شيءٍ.

الواقِعُ: ما يَرِدُ ويَدُلُّ على أمْرٍ سيُوجَدُ.

القادِحُ: وارِدٌ يُزِيلُ غَيْمَ الغَفْلَةِ عن القُلُوبِ.

العارِضُ: ما يَرِدُ من مُقْتَضياتِ الهوى والنفس والشيطان، وهذه الأمور عِلَلٌ وحُجُب، والحِجابُ حائلٌ بين الروحِ والحقِّ.

القَبْضُ: حالةٌ للروح مُؤدِّيَة إلى انقهار القُوى تحت سلطَنَةِ الجلالِ.

البَسْطُ: حالةٌ مؤديةٌ إلى استِعْلاءِ اللَّذاتِ الروحانية ببقاء الروح في عالَمِ المشاهدَةِ.

الغَيْبَةُ: استِغْراقُ الروح في اللذات المعنوية مُنْصرِفة عن ضبطِ المصالِحِ الصُّوريَّةِ.

الغَشْيَةُ: أشَدُّ مِنَ الغَيْبَة، لأنَّ في الغَشْيَةِ لا يبقى للشخص تفكُّرٌ واختيارٌ، وفي الغَيْبَة يَبْقى.

الحُضُورُ: ثُباتُ الروح في مُطالعة أنوار الوصفِ.

السُّكْرُ: حالةٌ وارِدةٌ من شُرْبِ شرابِ الوصل مُؤدِّية إلى خَبْطِ الأحوال مع الاتِّصاف بوصْفِ الفناءِ حتى يكون نُطْقُهُ مِن الذي أنْطَقَ كلَّ شيءٍ.

الصَّحْوُ: حالة ضابِطَةٌ للأحوال مع الاتِّصاف بوصْفِ البقاءِ، وقد يكونُ لصاحِبِ التَّمكين ـ كما أنَّ السُّكرَ لصاحب التَّلْوينِ ـ على أنه قد يكون سُكْراً أفضل من صَحْوٍ.

الهُجومُ: وُرُودُ حالةٍ مُزْعجة للروح بَغْتَةً.

الغَلَبَةُ: ورود حالةٍ غالبةٍ على الروح مُهَيِّجَةٍ للطيران نحوها.

السَّلْبُ: خَطفُ السِّرِّ في وقْتِ الصَّحْوِ.

الأخْذُ: أمْرُ الرُّوحِ في ظُهُورِ القُدْرَةِ، فالمجذُوبُ مَن جُذِبَ بتدريجٍ والمأخُوذُ مَنْ جُذِبَ دَفْعَةً.

الدَّهْشَةُ: تَحَيُّرُ الروحِ في سَطْوَةِ الجلالِ.

الوَلَهُ: تحيُّرُ السِّرِّ في سُطوعِ الجمالِ.

الهيمانُ: تحيُّرٌ في تحيُّرٍ.

الحَيْرَةُ: اضطِرابُ الروح لورُودِ فِكْرٍ غير مُوصِلٍ إلى مَقْصَدٍ.

الحقائِقُ: وارِداتٌ حقَّةٌ من المعارف الحقيقية.

الحقوق: أحكامُ الله المتوجهة الواجِبة.

التحقُّقُ: ما يتحصَّلُ في القلبِ من تحقيق.

المعارِفُ الحقيقيَّة: ما يصيرُ به الشيءُ مُحَقَّقاً مُحَصَّلاً.

التَّرَوُّحُ: حصول الراحةِ من استنشاق النسيمِ الإلٰهي.

التنفُّسُ: تروُّحُ القلب عندما كاد أن يحترِق بِتِذْكار وَجْدٍ.

اللَّحْظُ: مُلاحظةُ البصيرةِ لجلايا الحقيقةِ.

الرَّسْمُ: هو الأثَرُ الظاهر من المعنى الباطِن.

الوَسْمُ: هو الضوء الظاهرُ من نُورِ الباطنِ.

العلامَةُ: أثرٌ باق بعد ذهاب حقيقة الشيءِ.

الصَّوْلَةُ: الصدمة على الغير مع إظهار الغَلَبَةِ.

الاضمحلال: انكسارُ الوجود تحت سطوَةِ التوحيد.

السَّطْوَةُ: تجلّي القِدَمِ.

الرَّمْسُ: إخفاءُ السِّرِّ عند طلوعِ الشمسِ الأزليَّةِ.

القَصمُ: كَسْرُ العقلِ في مشاهدة الأقدارِ.

الهَمُّ: اجتماعُ المقاصد قَصْداً واحداً.

الكَوْنُ: حدوث الشيء بعدما لم يكن.

البَوْنُ: تفرقةٌ بين الحقّ والمجازِ.

التجريدُ: تنزيهُ السرّ عن الغَيْرِ.

الإفرادُ: تنزيه القِدَمِ عن الحدوثِ.

الذَّهابُ: الغيبوبَةُ عن شعورِ المشاعِرِ.

المَحْوُ: ذهابُ الشيء مع أثرِهِ، فإن بقيَ أثرُهُ فهو طَمْسٌ وحيث لم يبق أثرُ الذهاب ـ أيضاً ـ فهو مَحْقٌ.

الفناءُ: ذهابُ الأوصاف البشرية في ثباتِ الأوصاف الإلٰهية.

فناءُ الفناءِ: اندفاعُ هذا الفناءِ لتستحقَّ الروحُ بوجود البقاءِ.

البقاءُ: اندراجُ الأوصاف البشرية في الأخلاق الإلٰهية الثابتة، وظهور حقيقة الشخص مع زوال مجازِهِ.

بقاءُ البقاءِ: عيانُ عَيْنِ الشيء مع خفاءِ رُسومِهِ.

العَيْنُ: حقيقةُ الشيء، وما به يتعيَّن الشيءُ.

الجَمْعُ: حقيقة كليَّة الحقائق.

الأزَلُ: هو معنى القِدَمِ.

أزَلُ الآزالِ: وجُودُ ما بِهِ يتحقَّقُ معنى القِدَمِ وهو الحقُّ، كما أنَّ أبَدُ الآبادِ ما به

يتحقق معنى الأبديَّة، فأزَلُ الآزالِ إشارَةٌ إلى أن لا ابتداء لِما تصوَّرت ابتداءً، فأبَدُ الآبادِ إشارةٌ إلى عدم تناهي الأبديَّةِ.

## فصلٌ

الشُّرْبُ: وِجدانُ اللذَّةِ من كأس المحبَّة.

والذَّوْقُ: إحساسٌ بتلك اللذَّةِ.

الانزعاجُ: تحرُّكُ القلبِ مِن سِنَةِ الغفلةِ إلى نعْتِ اليقظَةِ.

المُرابَطَةُ: رَبْطُ القلوبِ في مكامِنِ الغُيُوبِ.

الصّفاءُ: ما يَخْلُصُ عن مُمَازجَةِ الطَّبْعِ.

الحُرِّيَّةُ: خلاصٌ عن أسرارِ الشهوة ورِقِّ الهَوى.

العبوديَّة: الإقامَةُ لحَقِّ الرُّبُوبيَّةِ، وهي حريَّةٌ عن غيرِ الألوهِيَّةِ.

الوَطَنُ: سُكُونُ القلبِ في حالِ القُرْبِ.

نَفْيُ الصِّفاتِ الحجابيَّةِ.

## فصلٌ

الامتحانُ: إيراد شيءٍ على المُسْتبصِر لامتياز غَثِّهِ عَنْ سَمِينِهِ.

الغيْنُ: عارِضٌ غريبٌ يَغْشِي نُورَ البصيرةِ ويَنْجَلُو عن قريبٍ.

الرَّيْنُ: صَدَءٌ يمنعُ إدراكَ العوارِفِ.

الغَيْم: حجابٌ بين الشخص والحقيقة.

الطَّبْعُ: حائِلٌ طَبْعِيٌّ لا يُمكن زوالُهُ.

المَسْخُ: طَمْسُ عُيونِ السِّرِّ عن الاسْتِبْصارِ.

## فصلٌ

الإلهامُ: خِطابٌ خَفِيٌّ مِنَ الله للعارِفِ.

الهاتِفُ: ما يقْرَعُ سَمْعَ القلبِ مِن الواردات المُنَبِّهَةِ.

الفراسَةُ: إصابَةُ البصِيرَة بمكمَنِ الغَيْبِ.

الكرامَةُ: اتِّصافٌ بالقُدْرَةِ.

النُّبُوَّة: خلافَةٌ إلٰهية لإصلاح المعاشِ والمعادِ مع فِعْلٍ خارِقٍ للعادة، مقارِنٌ للتحدِّي.

الولايَةُ: خِلافَةٌ إلٰهيَّة لإصلاح المعادِ وأنَّهُ مُؤَدٍّ إلى إصلاح المعاشِ.

السَّلطنةُ: إظهارُ قُدْرَةٍ فاضلة مُقْتَبسةٍ من ذي حِكْمَةٍ بالِغةٍ.

التَّصَوُّف: تصفِيَةُ السرِّ عن الحَدَثانِ.

الصُّوفِيُّ: مَنْ صُوفِيَ سِرَّهُ عن الشَّوائِبِ الغريبَةِ.

الرَّمْزُ: معنًى خَفِيٌ تحت كلامٍ ظاهرٍ صادِرٍ من عاشِقٍ.

الإيماءُ: إشارَةٌ بجارِحَةٍ.

الوَحْيُ: إلقاءُ الله الحقائق في رَوْعِ السِّرِّ؛ إما بلا واسطة، أو معها مقارِناً للأمْرِ بالدَّعوة وتبليغِهِ، فالنَّبِيُّ غالِبٌ على الأحْوالِ، والوَلِيُّ مغْلُوبٌ.

الشَّطَحُ: كلامٌ عجيبٌ صادِرٌ عن وَجْدٍ غالِبٍ مرموزٌ من حيث الظاهِرِ صحيحٌ من حيث المعنى؛ وأكثره يكون مع غلبَةِ الأحوالِ ويكون معها طوالِعُ وهي أنوارٌ من طلُوعِ شمسِ التَّجَلّي طامِسَةٌ لآثارِ العقلِ والوَهْمِ.

واللَّوامِعُ: أنوارٌ من طلوعِ نُورِ الشمس، وهي مبادٍ للطَّوالِعِ.

واللَّوائِحُ: أضواءٌ من طلوعِ ذلك النور، وهي مبادٍ للوامِعِ كما أنَّ اللوامِعِ مبادٍ للطوالِعِ.

والطَّوارِقُ: أعْلامٌ لتلك الأضواءِ، وهي مبادٍ للَّوائِحِ.

## فصلٌ

الرُّوحُ: نُورُ طلوعِ الشمس الثابِتَةِ الأزلِيَّةِ.

السِّرُّ: هو الروح باعتبار سكونها مع ما يتوجَّه إليه.

النَّفسُ: هو الروح باعتبار استعمالها البدن.

العقلُ: هو الروح باعتبار إدراكِهَا المعاني.

القلبُ: هو الروحُ حينَ يَنْقَلِبُ.

## فصلٌ

مُكاشِفَةُ روحِكَ واحدة غير حالَّةٍ في عُضْوٍ من أعضائك مع أنَّه لا يخلو عضوٌ منها ولا مُتَقدِّرَةٌ بتقدُّرِ الأعضاءِ ولا متعددة بتعدُّدها وهي أنانِيَّتُكَ المُدْرِكَة والمحرِّكة

والمُفكِّرَة والمُدَبِّرَة، والأعضاء مُظْهِرُها وكسْوَةٌ لها، وهي قِوامٌ للأعضاء وحقيقتها، ونِسبة حقيقة روحِكَ إلى روحِكَ كنِسبَةِ روحِك إلى قُواك وأعضائِكَ، ونسبة جميع الأرواح والطِّباع إليها كنِسبة روحك إليها، فتكون حقيقة الأرواح واحدة غير حالَّة في روح، مع أنَّه لا يخلو روح منها، وغير متعددة بتعدُّدها ولا مُتقدِّرة بتقدُّرِها، وتكون تلك الحقيقة ـ بالحقيقة ـ هي المُدْرِكُ والمحرِّك والمُفكِّر والمُدبِّر، وإنه قِوامٌ للأرواح وحقيقة لها؛ فمن ها هنا من عرَفَ نفسه فقد عرَفَ رَبَّهُ، وليس في الوجود إلاَّ الله.

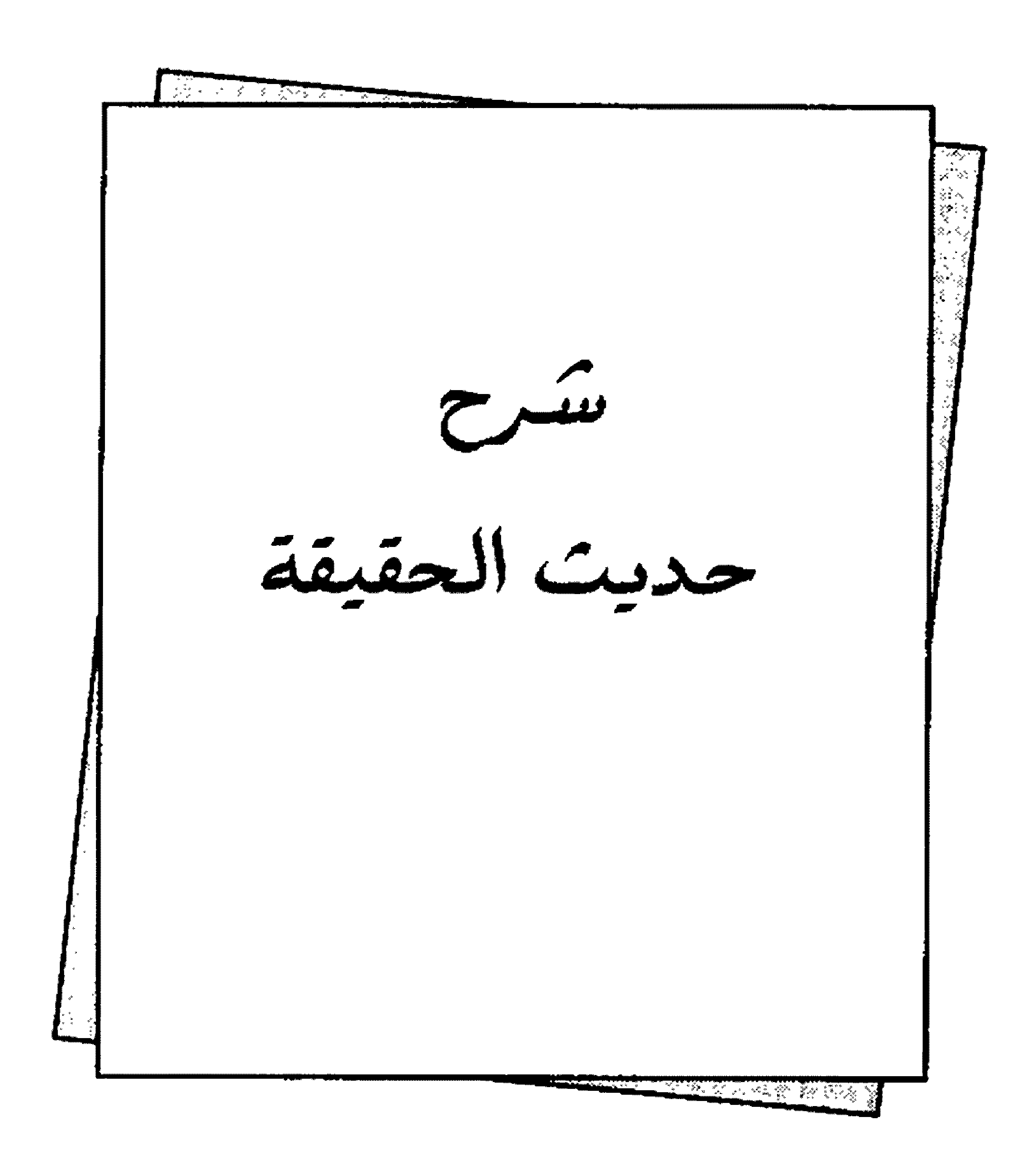
ولأنَّ روحَكَ هي المُبْصِرُ والسامع والباطِشُ والماشي لظهر معنى «بي يسْمَعُ وبي يُبْصِرُ وبي يَبْطِشُ»؛ وكذا: «أنا الحَقُّ»؛ و«سُبْحاني».

## فصلٌ

الحقيقَةُ رَوِيَّةٌ ولا رُؤْيَةٌ، عيانٌ لا بيانٌ، كشفٌ لا كشفٌ، مُشاهَدَةٌ لا مُواصَفَةٌ، أحَدٌ لا واحِدٌ، وحْدَةٌ لا توحيدٌ، وصْلٌ لا فَصْلٌ.

جعلنا الله وإيّاكم من الفائزين بها الواصلين إليها، فهذه هي السوانِحُ التي حضرتْنا في الحالِ مع شرح ألفاظهم الشّريفة المُتداولة بين أهل العيان بأوضح بيانٍ. كتبتها تذكرةً للحضرة الروحانيّة تأكيداً للأخوّة الربانية والإرادة الرحمانية.

نفعنا الله وإيّاكم وجميع السامعين والمُتوسّمين بها. ثم لكلِّ مَن وصلت إليه هذه السّوانح وعنده من أخواتها أو السّنح بعد هذه أن يلحق بموضعٍ، مستعيناً بالله وحامداً له ومُصَلّياً على خير خلقه ومسلّماً على أهل الحَقّ والشّهود.



# شرح
# حديث الحقيقة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشارح قدّس الله سرَّه:

الحقيقة هنا هو الشيء الثابتُ الواجب بذاته، الذي لا يمكن تغيّره بوجهٍ ما.

ولمّا كان كميل رضي الله عنه من أصحاب القلوب، طالباً لمقام الولاية ـ الذي هو مقام الفناء في الذّات الأحديّة ـ اقتضى حاله السّؤال عن الحقيقة، فأجاب أمير المؤمنين رضي الله عنه وكرم وجهه بما يدلُّ على أنها مقامٌ عالٍ، بعيدٌ عن مقام صاحب القلب، لا يرتقي إليه إلاّ أصحاب الاستعداد الكامل منهم لقائد نور التوفيق والهداية، وسائق سابقة الحبّ والعناية، بطريقٍ يختصّ بهم وسيرٍ يليق بحالهم، ورياضةٍ خاصةٍ قلبيّةٍ لا نفسيّة، وهو قوله رضي الله عنه وكرم وجهه: «ما لك والحقيقة؟». يعني: أين أنت من ذلك المقام حال كونك في مقام القلب واقفاً مع وجودك؟.

وهذا تشويق منه رضي الله عنه وكرم وجهه وتحريضٌ له على السِّرِّ، فقال: «أوَ لستُ صاحب سرّك؟»، أي: ألم أكن مستعداً لذلك المقام مع اطّلاعي على سرّك؟!.

والسّرُّ، هو المعنى الذي لا يمكنُ ظهورهُ على المشاعر النفسانية حتى القوى الفكرية، فلا يطّلع عليه إلاّ مَن ترقّى عن مقام النفس. وقد يقال على القلب الواصل إلى مقام الرُّوح عند ترقّي الروح إلى مقام الوحدة لشدّة لطافته ونوريّته وغاية تجرُّده وبُعده عن مقام النفس والقوى، وحينئذٍ لا يطلع على ذلك المعنى إلاّ مِن تلك الجهة، ولا ينتقش السّرّ إلاّ في وجهه الذي يلي الرُّوح، لا في وجهه الذي يلي النفس، ولهذا يطلق عليه السرّ مجازاً.

والمرادُ ها هنا هو المعنى الأول؛ فأخبر عن استعداده لذلك بترقّيه عن مقام النفس بدليلِ اطّلاعه على سرّه، وقوله رضي الله عنه وكرمِ وجهه في جوابه: «بلى ولكن يرشّح عليك ما يطفح مني» تصديقٌ له بأنه مستعدٌ لذلك المقام، لكنه غير واصلٍ إليه، لأن رشح النور من صاحب الكمال لا يكون إلاّ على المستعدّ القابل.

وهذا الكلام يدلُّ على أنه رضي الله عنه وكرم وجهه في مقام التكميل والاستقامة والتمكين، وأن كميلاً في مقام القلب، قابلاً مترقّياً لم يصل - بعد - إلى مقام الفناء حتى يدرك الحقيقة، إذ لو لم يكن له رضي الله عنه وكرم وجهه مقام الاستقامة والتمكين في الولاية - وهو مقام البقاء بعد الفناء في عين الجمع - بل كان مستغرقاً في الذات الأحديّة - لم يكن له وجودٌ حتى يطفح منه شيء. وكذا لو كان كميلٌ في مقام الولاية مستغرقاً في عين الجمع، لم يرشّح عليه شيءٌ. فكان رضي الله عنه وكرم وجهه في مقام البقاء بعد الفناء موجوداً بالوجود الموهوب الحقانيّ ممتلئاً بالنور الأحدي، كما وصفه النبي ﷺ: «أنه ممسوسٌ في ذات الله»[1]، يطفح منه ذلك النور عند قيامه بحقّ المعبود، ويرشّح على المستعد السالك.

فانظر، كم بين سرّه - الذي هو النور الأحديّ الذاتيّ، وهو نور الوجه الباقي - وبين سرّ كميل - الذي هو نور تجليّات الصفات في مقام القلب أو السر - وهو نور المكاشفة والمطالعة، لا المشاهدة، فسرّ كميل هو مِن أوائل أسراره رضي الله عنه وكرم وجهه وطوالعها لا مِن حقائقها.

وقول كميل: «أوَ مثلك يُخيّب سائلاً؟» معناه: أنّ للسائل حقّاً، إذ لو لم يُشْعِر بالمسؤول عنه بوجهٍ لم يسأل عنه ولم يطلبه. ولو لم يستعدّ لإدراك المطلوب، لم يشعر به، ولهذا قيل: الطلب والوجدان توأمان. وقال بعض العرفاء: ما لم يكن الله ليعطيه لم يكن ليعطي داعيه، ويصدّقه قوله تعالى: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: الآية ٦٠]، وقوله: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم: الآية ٣٤].

والكامل المكمّل المطّلع على مقتضيات الاستعدادات، يجب عليه التكميل على حسب اقتضاء الاستعداد، فلا يخيّب السائل قطعاً. ولهذا أجابه أولاً بقوله رضي الله عنه وكرم وجهه: «الحقيقة كشف سُبُحات الجلال من غير إشارةٍ». وهو جوابٌ على حسب رتبة السائل، إذ السائل كان صاحب القلب، وهو مقام تجليات الصفات.

و«الجلال» هو احتجاب الوجه الباقي بحجُب الصفات، كما «أنّ الجمال» هو نور الوجه مِن دون الحجاب، و«الوجه» هو الذات الموجودة مع جميع لوازمها.

و«السُّبحات» هي الأنوار. وأنوار تجليات الصفات هي حُجُب الوجه، وتُسمّى سُبُحات الجلال، كما أن أنوار تجلّي الذات تسمى سُبُحات الجمال.

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الأوسط، عن كعب بن عجرة عن أبيه، حديث رقم (٩٣٦١) [٩/ ١٤٢] والهيثمي في مجمع الزوائد، باب منه جامع فيمن يحبه ومن يبغضه [٩/ ١٣٠] ورواه غيرهما.

وقوله رضي الله عنه وكرم وجهه: «من غير إشارة» أي: بلا إشارةٍ ما، ولو عقليّة أو روحية، لأنها تُشعر بإثنينيّةٍ، وهي عبارة عن مقام الفناء المحض، أي: الحقيقة هي طلوع الوجه الباقي بكشف حُجُب الصفات عنه لتنفي سُبُحات وجهه ما سواه، فلا تبقى الإشارة إلى شيء، كما قال الله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: الآيتان ٢٦، ٢٧]، وقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: الآية ٨٨]. ومصداقُ ذلك قول النبي ﷺ: «إنَّ لله تعالى أربعين ألف حجاباً من نورٍ وظلمةٍ، لو كُشفَتْ لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»[1]، فهداه رضي الله عنه وكرم وجهه إلى مقام الفناء والبروز من وراء حجب الصفات إلى عرصة كشف الذات، ولم يكتف بذلك لوفور استعداده، وعلمه بأن ذلك الكشف قد يكون مع كون صاحبه في مقام التلوين، ولا يدلُّ على مقام الوحدة إلاَّ بالالتزام، فإنّ الذات الأحديّة لا تخلو عن الصفات التي يلزمها دائماً.

فاستزاد البيان، فقال رضي الله عنه وكرم وجهه: «محو الموهوم مع صحو المعلوم»، فأشار رضي الله عنه وكرم وجهه بالأول إلى أن التلوين إنما يكون بحسبان صاحبه وجود غيره بالتوهّم، وليس وجود الغير في الحقيقة إلاَّ نقشاً موهوماً استقرّ ورشّح عليه باستيلاء قوّة الوهم وسلطان الشيطان على القلب، فمن أخلصه الله تعالى من عباده محى عنه ذلك الوجود الموهوم الذي ليس إلاَّ نقشاً خيالياً لا وجوداً حقيقياً يحتاج إلى الفناء.

ولهذا قال بعض العرفاء: الباقي باقٍ في الأزل، والفاني فانٍ لم يَزَلْ. وبالثاني إلى أن الإيهام اللازم ـ للدلالة الالتزامية ها هنا ـ إنما يكون لسلطنة القوّة العقلية، واعتبار العقل تكثّر الصفات، وامتناع عروجه عن الحضرة الواحدية إلى الحضرة الأحديّة، فمن عرف الحقّ بالطريق العلمي لم يخلص عن حُجُب الصفات إلى عين الذات ولم يرتقِ عن الحضرة الواحدية إلى عرصة الأحديّة فلا تنكشف الحقيقة إلاَّ لمن عُزِل عَقْلُهُ بنور الحقّ، وجنَّ بالجنون الإلٰهي، كما قال الإمام المحق جعفر الصادق رضي الله عنه وكرم وجهه: «العشق جنونٌ إلٰهيٌّ»؛ فصحا عن غمام كثرة

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، باب في قوله عليه الصلاة والسلام: «إن الله لا ينام» حديث رقم (١٧٩) [١/ ١٦١] ولفظه: عن أبي موسى قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: «إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور ـ وفي رواية أبي بكر: النار ـ لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه».

الصفات وصفا عن كدورة الاعتبارات، وارتفعت الكثرات العقلية عنه بنور العشق الحقيقي والحب الذاتي حتى بلغ صاحبه مقام الإخلاص، الذي أشار إليه بقوله رضي الله عنه وكرم وجهه: «وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه». إلى آخره. فصار علمه عيناً وعينه حقاً، وتوحيده شهوداً وعياناً لا علماً وبياناً.

ولما نفى سلطان الوهم والعقل لطردهما عن طريق الحق، عرف السائل أن ذلك لا يكون إلاَّ بظهور سلطان العشق، وذلك لا يكون اختيارياً ولا منوطاً بسعي السالك وإرادته، فأشكل ذلك عليه، فطلب زيادة الوضوح! فقال رضي الله عنه وكرم وجهه: «هتك السّتر لغلبة السّرّ»، أي: إنك زعمت أنَّ لك سرّاً، ولا شك في وجوده، فما دام ذلك السرّ ضعيفاً كامناً، يقدر العقل أن يستره، والقلب أن يخفيه، فلست صاحب حقيقةٍ، بل عالماً عارفاً غير مُحِبٍّ. وإذا قوي وغلب وظهر سلطانه على العقل وانطمس نور العقل بنوره ـ كما ينمحي نور القمر بنور الشمس ـ صرت مغلوباً محكوماً أسيراً في قبضته، فكان حالك في الجذبة والمغلوبيّة كحال المجانين، وإن هتك سرّ العقل والشرع بقوّة الحب صرت ذا حقيقةٍ. فحدس السالك أنّ ذلك مقام السّكر، وهو على حسب حال السالك، فقد يسكر بعض السالكين بما لا يسكر به غيره، وقد يشرب أحدهم من شراب الحب أضعاف ما يشربه غيره ولم يسكر، لقوّة استعداده وكمال حاله، وسكر غيره بأقلّ منه كثيراً، كما كان حال موسى رضي الله عنه وكرم وجهه عند قوله: ﴿أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف: الآية ١٤٣] بالنسبة إلى حال محمد ﷺ عند قوله تعالى فيه: ﴿مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧﴾ [النجم: الآية ١٧]. ولا يلزم من غلبة السِّر حصول الحقيقة، كما قال أحدهم:

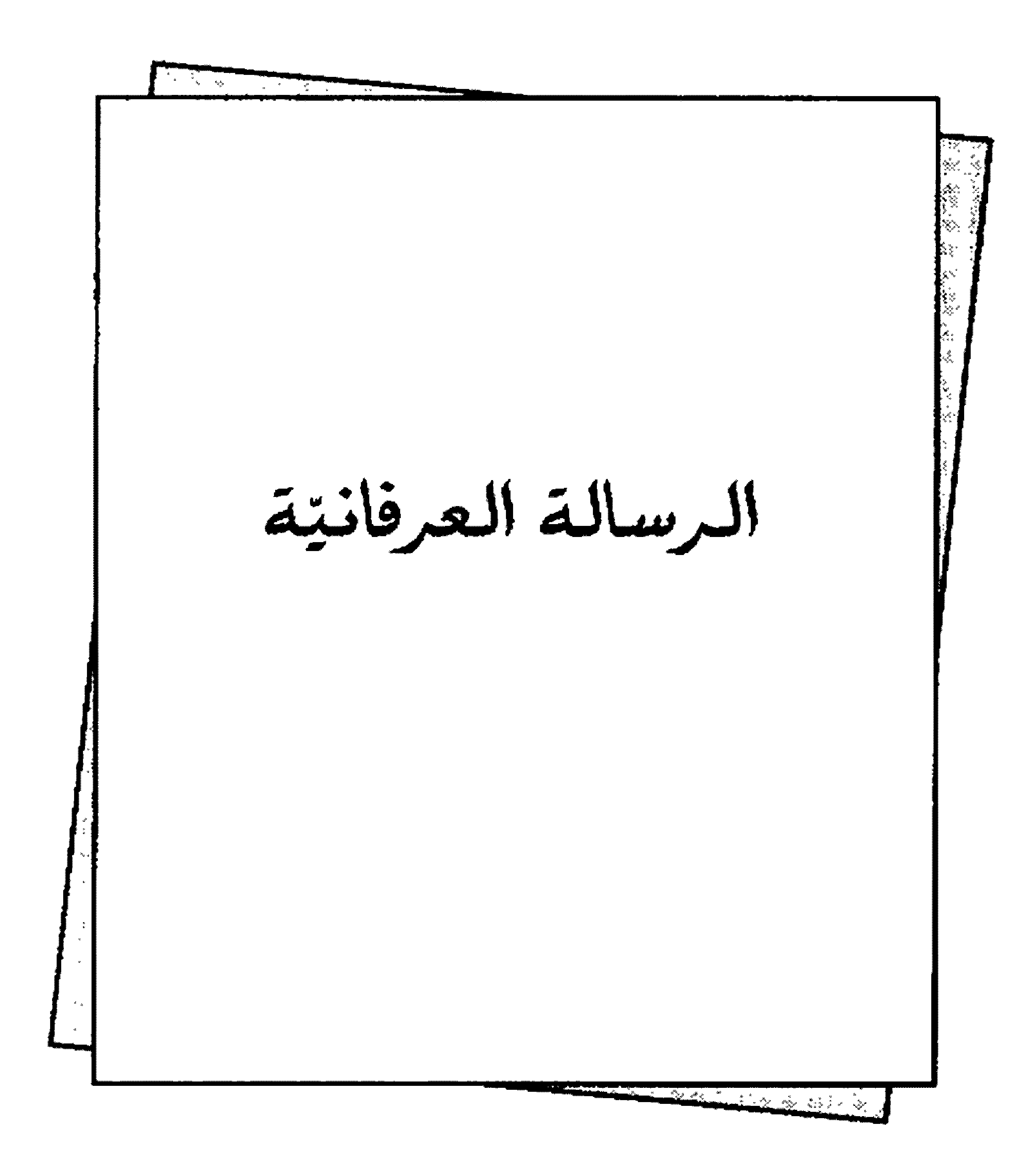
شَرِبْتُ الحبَّ كأساً بعدَ كأسٍ فما نَفِدَ الشَّرابُ وما رَوِيتُ

فاستزاد البيان، فعلم رضي الله عنه وكرم وجهه غلبة قوّة استعداده، فقال رضي الله عنه وكرم وجهه: «جذب الأحديّة لصفة التوحيد»، أي: النهاية في غلبة السرّ قوّة جذب نور الذات في الحضرة الأحديّة التي لا اعتبار للكثرة فيها أصلاً لصفة التوحيد المشعرة بالكثرة الاعتبارية في الحضرة الواحدية التي هي منشأ الأسماء والصفات، وذلك النور هو العين الكافوريّ الذي هو مشرب المقرّبين خاصة، فلا يبقى مع هذا الجذب والشرب الحقانيّ للغير عينٌ ولا أثرٌ.

ولما كان كميلٌ عارفاً بأن مقام الوحدة والفناء في الذات ـ وإن كان مقام الولاية ليس كمالاً تامّاً، لأن صاحبه لا يصلح للهداية والتكميل ما لم يرجع من الجمع إلى التفصيل، ومن الوحدة إلى الكثرة، ولم يصل إلى مقام الصحو بعد

السّكر، ولم يحصل له مقام الاستقامة المأمور بها النبيُّ ﷺ في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هُود: الآية ١١٢] ـ استوضح واستزاد البيان، فقال رضي الله عنه وكرم وجهه: «نورٌ يُشرق من صبح الأزل، فتلوح على هياكل التوحيد آثارهُ»، أي: ظهور النور الذاتي الأحديّ ـ الذي سمّيناه نور الوجه المشرق من أزل الآزال الظاهر على مظاهر صفات الحق وذاته التي هي مظاهر أعيان الموجودات، وسمّاها رضي الله عنه وكرم وجهه: «هياكل التوحيد»، أي: صور أسماء الله تعالى في مقام التوحيد، نفياً لتوهُّم الغيرية، «آثاره»، أي: صفاته وأفعاله، يعني ظهور الذات في مظاهر الصفات، وشهود الوحدة في صورة الكثرة، وحضور الجمع في عين التفصيل، ووجود التفاصيل في عين الجمع.

وعند ذلك غلب حال كميل؛ فسكر وجذب الشوق عِنان تماسكه، فاستزاد البيان! فقال رضي الله عنه وكرم وجهه: «اطفِ السراج فقد طلع الصّبح»، أي: دع البيان العلميّ واترك الحدَّ العقلّي، واطفِ نور العقل ـ الذي هو بالنسبة إلى نور الحقّ كالسراج بالنسبة إلى الشمس ـ فقد طلع عليك تباشير نور الحق وأوائله التي هي بالنسبة إليه كنسبة نور الصبح إلى نور الشمس وقت الاستواء، وعند الانبلاج، لا يُحتاج إلى السّراج!.



# الرسالة العرفانيّة

بسم الله الرحمن الرحيم

سلامٌ على أهل الصّفاء سلامٌ        به لذوات الباقيات قوام
سلامٌ إن اعترّت زمام أوائل        روائحه يوماً إذا هم قيام
عليكم و [. . .][1] السّلام يخصّكم        لأنّ اسم أصحاب الصّفاء سلام

أهلاً بإخوان الصّدق والصفا حيث ما وصلوا! ومرحباً بأرباب المقة والوفاء أينما نزلوا! أنسيتم يا مجامع شمل الشتّات ومنابع عين الحياة أنّا كنا في الستة السرمدية بالبلد الأمين؟! أصحاب اليسار واليمين، متّكئين على سُرُرٍ مصفوفةٍ، قد أصبح الحدثان عنّا بأيدٍ مكفوفةٍ نأكل من حيث شئنا رغداً ولا يضمن أحدٌ مِنّا على أخيه حسداً! يطّلع كلٌّ منّا على سرّ الآخر ويوافقه في المرفوض والمستأثر، متحابّين في الله متواصلين إخواناً على سررٍ متقابلين، لا يختلف أوقاتنا بشروقٍ وغروبٍ، لا يمسّنا فيها نصبٌ ولا يمسينا فيها [. . .][2]، نلتذّ بلقاء الأحباب ونأمن مثل يوم الأحزاب، نبتهج بالسرور الدائم ونحتظي بنيل الملائم، في خفض عيشٍ ونعيمٍ مقيمٍ نرتاح عند الملك القديم.

شعر:

كنّا هنالك معشراً في واحد        أو واحداً في معشرٍ أمثال
متعاشقين بحسنهم في ذاتهم        متبجّحين بزينةٍ وجمال
متنعّمين بلذّةٍ ذاتيّةٍ        متواصلين بشيمةٍ وفعال
بل واحداً لا فرق بين ذواتنا        في الأصل والأوصاف والأحوال
في بهجةٍ وسعادةٍ من طلعةٍ        [. . .][3] شوق إليها سال

فما بالنا صرنا متفرّقين؟! وفي المهامة متغرّبين! لا نتذكّر من تلك المعاهد

---

(١) و(٢) و(٣) بياض في الأصل.

فنرجع، ولا نسأم من هذه المتاعب فنرتدع، نروح في بلاءٍ ونغتدي في عناءٍ، انكدرت الطباع أم تغيّرت فألفت ضدّ ما ضربت به وتحيّرت، كأنّا مللنا من العيش الهنيّ فرحلنا عن المنزل السّنيّ، فمثلنا في اتّباع الأهواء كمثل أصحاب السّبأ، إذا بطرتهم النعمة والغنى، فقالوا: ﴿رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ [سَبَإ: الآية ١٩]؛ والله ما أرى هذا السفر إلاّ عذاباً أشدّ من سقرٍ!.

لماذا نتوقف في هذه البلايا ولا نركب أسنحة المطايا؟ لنرتدّ على أعقابنا ونتّصل بأحبابنا، فإن العود إليه أحمد والعيش ثمة أبرد، أما نستوحش في ديار الغربة فنشتاق إلى إزاحة الكربة؟ أما نستنكف عن ملابسة الأقدار والأكدار ونحن هنالك أولو الأخطار والأقدار؟ أنستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خيرٌ؟ فإذاً لا يصدر منّا على أنفسنا إلاّ الضّير! بالاختيار صدرت عنّا هذه الحركة فنعتذر أم بالإجبار وقعت علينا فنصطبر؟!.

كلاّ! والله لقد ألزمنا وإلاّ فهمنا حين قدّمنا، فتعالوا نتذاكر كيفية الهبوط وهلمّو نتشاور في تدبير الصعود! . أفيدونا ما وعيتم وأخبروا عما رأيتم، وها أنا! قد كشفت لكم سرّي وعرضت عليكم ما حفظه ذكري!.

اعلموا إخواني ـ أيّدكم الله وإيّانا بنورٍ منه ووفّقنا لعمل مَن رضي الله عنهم ورضوا عنه ـ أني إذا فارقت خدمتكم وخليت عرصتكم صرت أتفرّج في رياض القدس ذاهلاً عن لذّة الأنس، فنسيت عهد الملك الذي لم يزل وكان ذلك ظهيرة يوم الأزل، فقابلني شخصٌ في هيئة الصالحين ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ [الأعراف: ٢١]، فدلّني على ثمرةٍ تدلت من شجرة أغصانها مورقة، أزهارها مونقة، منظرها بهيّ ومطعمها شهيّ، فزعم أنها شجرة الخلد وزغت بها عن الرشد. فلما ذقت منها لحظةً أحدثت في طباعي غلظة وشاب الكدر صفائي واختلط بالظلمة ضيائي، فصرت كمن حدث به وجمٌ وهاج به إلى خلاف ما اعتاده نهم، أو كاليوم الذي تكدّرت جوهر روحه فاستحب الدّجى على الضوء مع وضوحه، اشتقت إلى الجواهر الفاسقة وآثرت اللذات الجسمانية على الروحانية، ومالت عن الباقية منها بالفانية، فبدا لي عواري وسؤالي وانكشف علي مساقي، وطفقت أحصف عليها لا واق، وأضمرني نفسي تلك الأشواق إلى أن أمرني الملك بالهبوط وأجبرني على النزول، ففصّلت عن ذلك الجناب العليّ، وحصلت في هذا الحضيض السفلي [. . .][1] لي قرناء غير

---

(١) بياض في الأصل.

متشاكلة كلٌ يعمل على شاكلته، وجعلوا إليّ أعواناً كلٌ يتحمل عني شأناً، فكنت غريباً بين أظهرهم وحشياً في زمرتهم، إذ هم أخلاط الزمر أثلاثٌ في النظر، بعضهم من صنف السودان، وآخرون بيض الأبدان، ومتوسّطون إذا التقى الجمعان، فقعدت أتحسّر على ما فات وأتصبّر في تحمّل المقاساة!.

شعر:

أقولُ لنفسي وهِيَ في عشِ كُرْبَتي　　اقِلّي فقدْ بانَ الحبيبُ أو اكْثري

إذا لَم يَكُنْ للأمْرِ عندك حِيلَةٌ　　ولم تَجِدْ منه سوى الصَّبْرِ فاصْبِري

أتأسّف تارة على تلك الكرامة والنعم، وأتسلّى أخرى بالهشيم كالنّعم، إلى أن نسيت تلك المنازل بالكليّة، وأغفلت عما فيها من النعمة الهنيئة، واختلطت بأولٰئك الأعوان واتخذتهم بمنزلة الخلاّن، يجاذبني هذا إلى ما يوافقه وينازعني ذاك فيما أرافقه، يجرّني أحدٌ إلى موافاته ويرد عني الآخر عن موالاته، فاشتغلت بتحصيل مطالبهم وسعيت في إنجاح مآربهم، منهمكاً في لذّاتهم حريصاً على كمالاتهم، حتى استأنست بالأباطيل الزّور واستجلبت متاع الغرور و[...][1] على ذلك مدّةً لا أعد الرجوع عدّةً، ولبثت فيهم برهة لا أهيّيء لنفسي [...][2] ثم أدركني رحمة ربي بمقتضى «سبقت رحمتي غضبي»[3]، وهداني بحسن التوفيق إلى شيخ من أهل التحقيق، خبيرٍ بكل خبيةٍ، بصيرٍ بكل خفيّةٍ، عالم بحقائق الأشياء دليل في البيداء لكل سائر العمياء، مشفق على أهل الحرمان، متعوّد بالإحسان، عطوف على كل مسكين، أنيس لكل حزين. فقصدته قصدَ العاشق معشوقه حتى وجدته وجدان التوامق موموقه، فسلّمت عليه وبادرت على تقبيل يديه، فردّ عليّ الجواب وأنطقني وأجاب، وأكرمني بأنواع الألطاف وحلاّني بحلية الأشراف، ونبّهني على مبدئي ومعادي وتبيّن لي فساد اعتقادي، وقواني على أعواني وجعلهم مصلحين لشأني، وزجرني عن مطاوعة الشيخ المغوّي وعصمني عن أعوانه المردي، وعرّفني حالي ومآلي وذكرني ما غيّر من أحوالي. فلما علمت قد بدا لي فرجعت عن مقالي وفعالي، ثم أرشدني إلى علم نافعٍ وعملٍ صالحٍ، فوعيت كما علّمني وعلمت بما به أشغلني، والأعوان يعاونوني على مقصودي ويوافقوني في طاعة معبودي، إلى أن تلقّيت من ربي كلمات ودعوت بها دعوات، فتقبّل توبتي وعفى عن حوبتي، فوجهت وجهي إليه وأعرضت

---

(١) و(٢) بياض في الأصل.

(٣) هذا الحديث سبق تخريجه.

عما عكفت عليه، أتقرّب إليه بالوسائل واجتنبت عن الرذائل، والكدورات تزول شيئاً شيئاً والصّفاء يعود قليلاً قليلا، إلى أن تذكّرت معاشرتكم وتمنّيت مجاوزتكم، فهاج إليّ الشوق إلى لقائكم، وانبعثت لقصد فنائكم والنزول لحوائكم حوب كل وادٍ وأنشدكم بكل بادٍ، فما أجد إليكم من هادٍ وأستخبر كل صادرٍ وارد فلا أفوز منكم بواحد، لا أرى وجهاً إلاّ أوسّمه ولا أجد ريحاً إلاّ أتنسّمه، لأعرف أحدكم بسيماه أو أروّح قلبي برياه، فأدّاني اجتهادي في التفقد وهداني التوفيق بعد طول الترصّد إلى مَن خُصّ بالعناية الأزلية واتّصف بالهداية الأصلية، وأوتي النفس القدسية، ورُزق الكمالات الأنسيّة، وصفّى ذاته عن شوائب الطبع ورفع مقامه عن السماوات السبع، تحلّى بالفضائل وتخلّى عن الرذائل، واستفتل من أطيب الأعراق، واصطفى بمكارم الأخلاق، و[. . .][١] بلبان الفضل والعلم، وعود شيمه الجود والحلم، و[. . .][٢] بالحقائق الجليّة ولو كشف بالدقائق الخفيّة [. . .][٣] بين الكرام بأياديه العظام.

شعر:

| | |
|---|---|
| اللَّهُ أبدَعَ ذاتَهُ عَنْ جوْهرٍ | ما خالَطَتْهُ كُدُورَةُ الأكوانِ |
| نُورٌ تنزَّهَ عن دنائةِ عُنْصُرٍ | مُتقدِّسٌ عن آفَةِ النُّقصانِ |
| ما فاتَهُ شرَفٌ بِعِزٍّ وجُودِهِ | مِنْ جُمْلَةِ المعْدُودِ في الإمكانِ |
| بل ذاتُهُ خُصَّتْ بكلِّ فضيلةٍ | وكرامَةٍ من قُدْرَةِ الرَّحمٰنِ |
| قد أُنشِئت إذ أُنشِئت مطْبُوعَةً | في بَدْوِ فِطْرَتِهِ على الإحسانِ |
| فوجدْتُهُ [. . .][٤] إن مِنْ حينِ نَسِيتُمُ | من ذاتِهِ كالعَيْنِ مِنْ إنسانِ |
| والناسُ عينُ جميعِ خَلْق غيرهم | وهو الذي في العَيْنِ كالإنسانِ |

أعني: المرتضى المعظّم منبع الفضل والنعم، قدوة الأفاضل والعلماء سلطان السّادة والنقباء، معين الملّة والدين، كمال الإسلام والمسلمين، مسعود بن أحمد بن أبي الرّضا، لا زالت جنابه محفوفة بالنعمة الربانية مكنوفاً بالنصرة الرحمانية، مصروفاً عنه أيدي الحدثان، مكفوفاً عنه نوائب الدّوران، فظفرت بمصافاته وابتهجت بصفاء ذاته و[. . .][٥] معه طريقة الاتحاد، واغتنمت فيه محوضة الوداد، وكنا مذ تلاقينا وتعارفنا تمادينا في التّحاب وتضاعفنا، تزداد كل لحظةٍ مقةً ويجد كلٌّ منّا على صاحبه ثقةً، إلى أن ارتفعت البينيّة وزالت الإثنينيّة وصار الحب عشقاً وانقلب الشوق

---

(١) و(٢) و(٣) و(٤) و(٥) بياض في الأصل.

ذوقاً، يشاهد كلٌّ منّا صورة الآخر في نفسه بلا تمثّل شكله في جنسه، بل يدرك ذاته في ذاته ولا يفرّق بين حياته وحياته، ولا يحول بيننا الزمان والمكان، ربما يتعرّف الأبدان فيبطل المواصلة التفصيلية لا الكليّة، وتزول المشاهدة الحسيّة لا العقلية، فيشتعل بذلك نواير الاشتياق من لوعة وجد هذا الافتراق، فيذوق الوهم عذاب الحريق ولا نجد إلى الوصال من طريق؛ والآن هو في هذه البليّة يستحق شدايد المنيّة وإن كان لا يرضاها دون هذه الأمنيّة، يرجو الوصال تارةً فتفترق أجزاؤه فرحاً ويخاف طول الفراق أخرى، فتحترق أعضاؤه ترحاً، حيّ! لقد كنت أركن إليه شيئاً قليلاً فلا تعذّب عذاباً وبيلاً، ولولا أن ثبّتني ما علمت من الشيخ الجليل وقنعني بما أعاين من لقاء الخليل، وقد جرى هذا والسّنة السرمدية ما انقضى ربيعها، وظهيرة الأزل ما ابتدى أصيلها، كان ربيع تلك السنة دائمٌ واستوى يوم الأزل ملازم.

إخواني! هذه قصتي بطولها مع إطراح أبوابها وفصولها، فما حالكم وقصتكم؟! وكيف كانت زمرتكم؟ أتقرّرت جمعيتها وتثبّتت أم تفرّقت قلادتها وتشتّتت؟ أبشروني بانتظام أموركم وأنبئوني بصلاح شؤونكم أو أخبروني عما نابكم ونبّهوني على ما أصابكم! وها أنا أستمدّ منكم الهمم المنجية وأستجذب الحكم المفنية، وأعينوني بقوّة فائدة و[. . .][1] زائدة!.

ـ خلّصنا الله وإيّاكم من بقيّة الشّوب إنه غافر الذّنب وقابل التّوب! ـ.

---

(١) بياض في الأصل.

# الفوائد العربيّة

# في بيان قول النبيّ ﷺ:

# «الرّاحمون يرحمهم الرّحمٰن»

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم! أن الأسماء الإلٰهية تتباين باعتبار المعاني الوصفيّة التي تتحقق بها مفهوماتها وتتمايز بها وتتّحد بالذات الموصوفة بها، وكل ما كان كذلك ـ من الأمور المتغايرة في المفهوم المتوافقة في الحقيقة ـ فإمّا:

[١ ـ] أن يصدق كل واحدٍ منها على ما يصدق عليه الآخر.

[٢ ـ] أو لا يصدق، بل يصدق بعضها بدون سائرها، فيكون بينهما عمومٌ وخصوصٌ ولا سبيل إلى التباين بعد اتحادها في الذات، فهي وإن اتصف كلٌّ منها بما يتّصف به الآخر في الحقيقة لكن قد يتجلّى سبحانه في بعض المظاهر ببعضها دون البعض ـ كتجلّيه باسم العالِم والحكيم في الإنسان واستتاره بذلك الاسم في الجماد ـ فيختلف بحسب الظهور والخفاء وتتفاوت ربوبيته بها، وكل ما كان منها أخصّ ـ كالاسم الأعظم والرحيم ـ فهو أعزّ ومظاهر تجلّيه بها أقلّ؛ وكل ما كان أعمّ ـ كالموجد والرَّحمٰن ـ فمظاهره أكثر ونصيب الكل منها أوفر.

إذا تقرّر هذا فنقول: إن أعمَّ الأسماء هو «الرحمٰن» ولا اسم من أسماء الله تعالى إلاَّ وهو يلزمه في ظهوره ولا شيء إلاَّ وله حظٌّ منه، فإن أول فيض هذا الاسم هو الوجود، ولا يخلو منه شيء لا في عالَم الغيب ولا في عالَم الشهادة، ولهذا قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: الآية ١٥٦].

ولم يطلق هذا الاسم إلاَّ على الله، فإن الإحاطة والشمول للكل والإفاضة لجميع الأشياء لا يكون إلاَّ له، وهو الاسم الذي يلي الله ـ الذي هو اسم الذات المندرج تحت جميع أسمائه ـ ولهذا قال عليٌّ رضي الله عنه وكرم وجهه: «الرحمٰن اسمٌ خاص بصفةٍ عامّة».

ولمّا كان القرب والبُعد من الله تعالى والشّرف والخسّة في الموجودات لم يكن إلاَّ بحسب وفور حظّها منه وقلّته وشدّة ظهور آثار أسمائه تعالى عليها، وضعفه وربوبيته لها بأكثر أسمائه أو بأقلّها ـ لأن القرب والبعد بحسب المسافة ثمّة محال ـ

حثّ الله تعالى عباده على الاستفاضة من أكثرها والتجرّد عن موانع الاتّصاف بها والتقيّد بما يحجب به منها حبّاً لظهوره بهم وظهورهم به تعالى على أكمل ما يمكن وأتمّ ما يتيسّر لكلٍّ منهم، فحرّضهم لينالوا سعادة القرب والكمال، ولا يقعدوا خلف حجب النقص والتقصير في مهوى الشقاوة والوبال، ولم تكن الاستفاضة إلاّ بحسب الاستعداد.

وحصول ذلك:

١ ـ إما بمحض العطاء.

٢ ـ وإما بالكسب.

وإن كان مرجعه أيضاً إليه عند البحث والاستقصاء ـ؛ والقسم الأول أزليٌّ ذاتي بحسب العناية الأولى والفيض الأقدس، والعناية الأزلية كفايةٌ أبديّة، فمَن أوتي الاستعداد التامّ في الأزل كفاه ومَن لم يؤت فإن كان نقصه في مقابلة التام فلم ينجبر بالسعي والجهد، وإن كان متوسّطاً بينهما فبحسب مراتب البعثة والدعوة والصحبة وتأثير الاجتهاد والعمل والكسب، فتتجرّد الاستعدادات وتتواتر بحسبها الكمالات، فإن ساعده التوفيق يوافق الأسباب الموصلة إلى الكمال اللائق به، فكان محدوداً سعيداً، وإلاّ كان مخذولاً شقيّاً، ولتفاوت الاستعدادات بتنوّع الدعوات ـ كما قال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: الآية ١٢٥].

فإنه إن كان المدعوّ قويّ الاستعداد فدعوته بالحكمة، وإلاّ فإن كان مقرّاً فبالموعظة، وإن كان منكراً فبالمحاربة، وما أكمل وأتمّ من الحديث المذكور في الدعوة والموعظة! فإن الرحمة الرحمانية تتناول جميع النعم الظاهرة والباطنة. ومنها قوله تعالى: ﴿وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ﴾ [لقمان: الآية ٢٠]، ولهذا أطلق «الرَّاحمون» وما قيّده بمفعولٍ خاص للتعميم الشامل لما يحتاج إليه كل مَن في الجهة السفلية، فناسب الاستعداد بهذه الصفة اسم الرحمٰن، ويتعوّد كل مَن يسمع ويطيع بإفادة كل ما يقدر عليه، ومن الفوائد على كل مَن يجده محتاجاً إليه، فيستفيض بهذه المناسبة من الرحمة الرحمانية الشاملة لكل الأسماء؛ فانظر إلى عموم هذه الكلمة وشمول فائدتها لكل أحدٍ مع إيجازها! فإنها الباعثة لكل أحدٍ على الاتصاف بالجود الإلٰهي بإفادة كل ما يمكنه من المنافع والخيرات الصوريّة والمعنويّة على مَن في الجهة السفليّة. فإن «مَن في الأرض» يشمل الإنسان وغيره، و«مَن» لتغليب العقلاء لا للتخصيص، لقوله: في كل كبدٍ حريٍّ أجرٌ ولكل ذي عينين حقٌّ، ولشهادة الرحمٰن،

ولحذف المفعول من «الرَّاحمون» فإنه يحذف للتعميم، ألا ترى المفسرين ـ كلهم ـ فسّروا «ربّ العالمين» ربّ الكلّ، وأشاروا إلى أنّ العالَم يشمل كلّ مخلوقٍ وأنّ الجمع بالياء والنون للتغليب!.

والرَّحمٰن هو الذي يربّ كل شيءٍ من المخلوقات باسم يقتضي استحقاق ذلك الشيء الاستفاضة منه ويحتاج إليه، فيرحم الراحم بكل ما يُمكنه أن يرحم به على غيره، ولا معنى ألطف وأدقّ في القرآن والحديث من مواقع الأسماء الإلٰهية، فإن اختصاص كل اسم بموقفه الذي ذكر فيه بحيث لو جُعل مكانه غيره لاختلّ المعنى؛ فقوله: «الرَّاحمونَ يرحمهم الرحمٰن»[1] تمهيد قاعدةٍ يبعث المخاطب بالأمر الذي بعده، وهو: «ارحموا مَن في الأرض»[2] على امتثاله، فإنه إذا سمع هذه الكلمة وطّن نفسه على الرحمة على مَن تحته ويشوّقه إلى ما يقبل منه الرحمة الرحمانية، فإذا سمع الأمر سارع إلى الامتثال بعد التشوّق التامّ قبل سماع الجزاء، وإذا سمع قوله: «يرحمكم مَن في السماء»[3] جدّ في العمل واستقام وتمكّن وقويت نيّته وصممت عزيمته.

والمراد بـ«مَن في السماء» مَن في الجهة العلويّة من عوالم الملكوت والجبروت؛ والأظهر أن المراد به الحق تعالى بقرينة ذكر «الرَّحمٰن» قبله، وإذا رحمه الرَّحمٰن قبله ـ أمدّه بالملكوت السماويّة والجبروت العالية.

ولا يلزم من التقييد بقوله: «في السماء» كونه تعالى في الجهة، للدليل العقلي الصارف عن حمله على الحقيقة، فهو مجازٌ عن العلوّ بحسب المكانة لا بحسب المكان، وهو علوّ القهر والملك والسلطنة، لقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: الآية ١٨]، وقوله: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: الآية ١٠]. ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾﴾ [الزخرف: الآية ٨٤]! فلو كانت لفظة «في» بمعنى الظّرفيّة والجهة لكانت ألوهيّته في السماء منافيةٌ للألوهية في الأرض ـ تعالى عن ذلك وتنزّه! ـ. وفيه مع المطابقة اللفظيّة لطيفةٌ أخرى معنويّة هي أنه لما أراد تحريك دواعي السامعين إلى استجلاب الرحمة العامة وبعث هممهم على التّخلق بكل ما في الحضرة الرحمانية من الأخلاق بحسب الإمكان أورد اسم

---

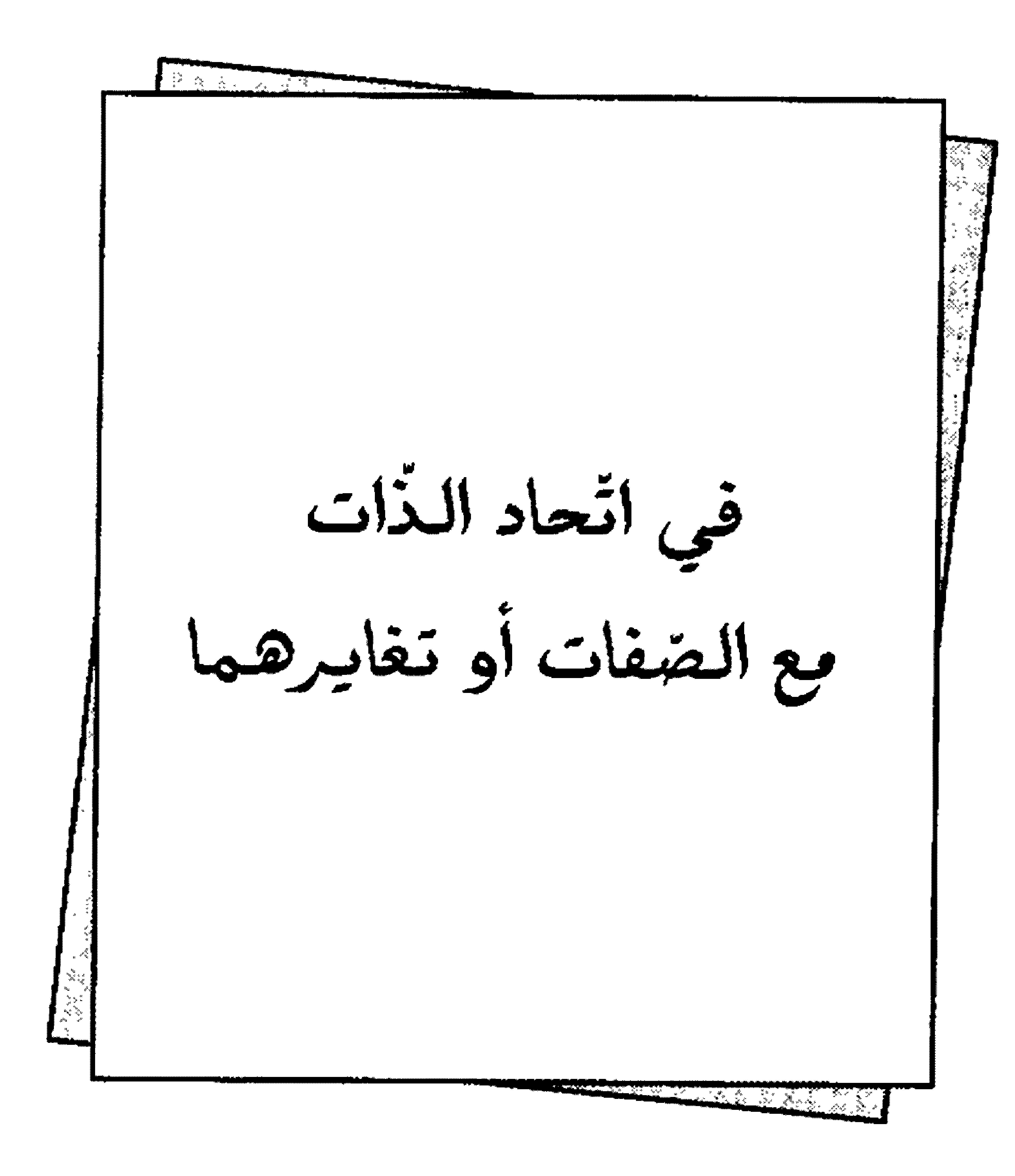
(١) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب البر والصلة، حديث رقم (٧٢٧٤) [٤/ ١٠٥] وأبو داود في سننه، باب في الرحمة، حديث رقم (٤٩٤١) [٤/ ٢٨٥] ورواه غيرهما.

(٢) و(٣) انظر الهامش السابق.

الرَّحمٰن، وذلك الاسم هو الذي لا يكون الاستواء على العرش ـ الذي هو صورة تدبير المُلك ـ إلاّ به، والعرش هو السماء الأول الشامل لكل ما في العالم، فلا ينزّل الفيض إلى كل ما حواه العرش ولا يفيض التدبير الإلٰهي للملك إلاّ منه، كما قال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ [السَّجدَة: الآية ٥]، فلهذه المناسبة خُصت السماء بالذّكر لابتداء نزول الفيض الرحماني منه، فمعنى «مَن في السماء» ظهوره باسم الرحماني عليها، ولا ينافي ذلك ظهوره في سائر الأشياء بسائر الأسماء، ولما سمّاها باسمه الرَّاحم فُهِمَ منه أمران:

١ ـ ظهور الرَّحمة عليهم ـ لما في اسم الفاعل مِن الحدوث.

٢ ـ واتصافهم بالصفات الإلٰهية وتخلّقهم بخُلقه، لينبّه على أن الغرض مِن قوله: «يرحمكم مَن في السماء» ليس أنْ يجعلهم مرحومين فقط ـ إذ لا شيء في هذه الحضرة إلاّ وهو مرحومٌ ـ بل أن يجعلهم راحمين، وإذا تناهوا في الاتّصاف بهذا الاسم الشامل بجميع الأسماء بقدر سعة استعداد كلٌ منهم وتساموا إلى ما هنالك من النعيم، كان ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشرٍ. والله أعلم بحقائق الأمور!.



# في اتّحاد الذّات
# مع الصّفات أو تغايرهما

بسم الله الرحمن الرحيم

سأل بعض الأجلّة عن مولانا كمال الدين عبد الرزاق رضي الله عنه، صفات الله تعالى:

[١ ـ] إن كانت عين ذاته.

[أ ـ] لزم اتّحاد المتضادّين ـ كالقابض والباسط ـ أو المتخالفين ـ كالعالم والقادر.

[ب ـ] أيضاً تعدّد الذات وافتقارها لتعدّد الصفات المتحدّدة بها وافتقارها إلى القيام بموصوفٍ، وبوجهٍ آخر عدم افتقار الصفات مطلقاً أو إلى الذات.

[٢ ـ] وإن كانت غير ذاته.

[أ ـ] لزوم التعدد فيها بوجه آخر.

[ب ـ] أيضاً التسلسل أو تأثير الذات في صفةٍ ـ أي قيّوميّتها إيّاها بغير واسطة صفةٍ أخرى ـ لأنها إذا كانت كذلك ـ أي: غير الذّات ـ كانت مفتقرة إليها، فهي مؤثّرةٌ فيها؛ وتأثيرها لا يخلو:

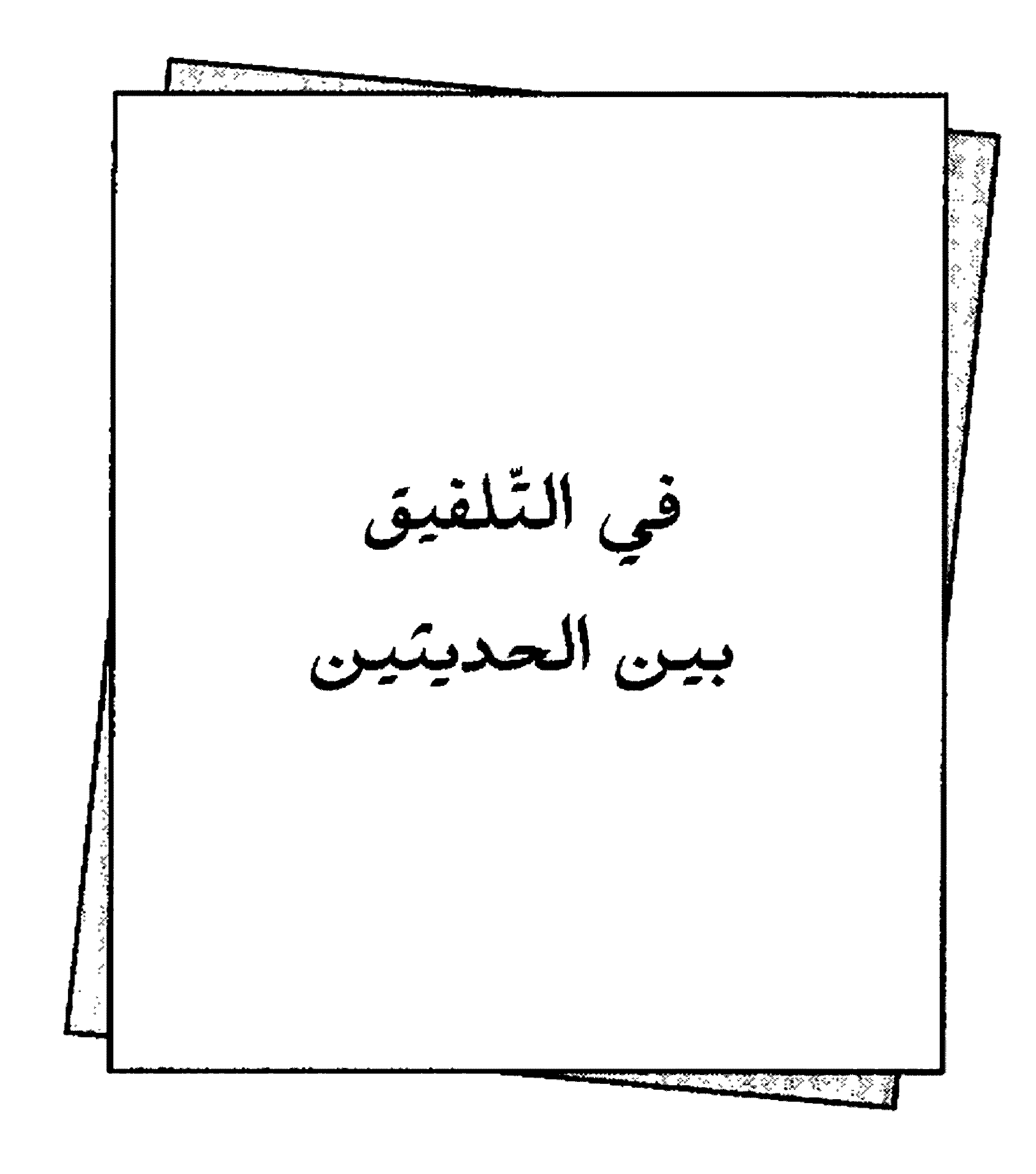
[١ ـ] إما أن يكون بواسطة صفةٍ أخرى.

[٢ ـ] أو لا، فإن كان الأول لزم التسلسل، وإلاّ فالتأثير المذكور.

بأنّا نختار القسم الأول ونقول: إنما يلزم المحالات أن لو كانت أموراً وجوديّة، أما إذا كانت أموراً اعتبارية فلا، لأنها نسبٌ للذات إلى الأشياء، فإنه تعالى يعلم الأشياء بأعيانها لا بصورةٍ زائدةٍ عليها، فعلمه نسبٌ لذاته إلى معلوماته فهي غير ذاته في العقل عين ذاته في الخارج، فهي ذاتٌ واحدة بالحقيقة متكثّرة بالاعتبارات، كما تقول: الواحد نصف الاثنين وثلث الثلاثة وربع الأربعة ـ وهلّم جرّا ـ فلا يتكثّر

بها الواحد؛ وإلى هذا المعنى أشار أمير المؤمنين عليٌّ رضي الله عنه وكرم وجهه بقوله: «العلم نقطةٌ كثّرها الجاهلون»[1]. وكذا جميع الصفات، فإن أوّل الصفات بعد الحياة ـ التي لا تقتضي النسبة إلى الغير ـ هو العلم، وهو إن كان زائداً على الذات لكان الذات مقتضية له إما بالعلم والاختيار، أو لا، فإن كان بالعلم لزم أن يكون قبل صفة العلم موصوفاً بالعلم، والكلام في ذلك العلم كالكلام في العلم الأول؛ فإما أن يتسلسل وإما أن ينتهي إلى علمٍ تقتضيه الذات بلا علمٍ، فكان موجباً بالذات غير مختارٍ وهو القسم الثاني بعينه فلم يكن قادراً مختاراً. وإن انتهى إلى علمٍ هو عين الذات فليكنِ العلم الأول كذلك؛ وقد حصل المطلوب إذ العلم صفةٌ واحدة لا صفات كثيرة.

(١) أورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (١٧٦٠) [٢/ ٨٧] وأورده الأمير الصنعاني في سبل السلام، باب الزهد والورع [٤/ ١٧٨].



# فِي التّلفيقِ بين الحديثين

بسم الله الرحمن الرحيم

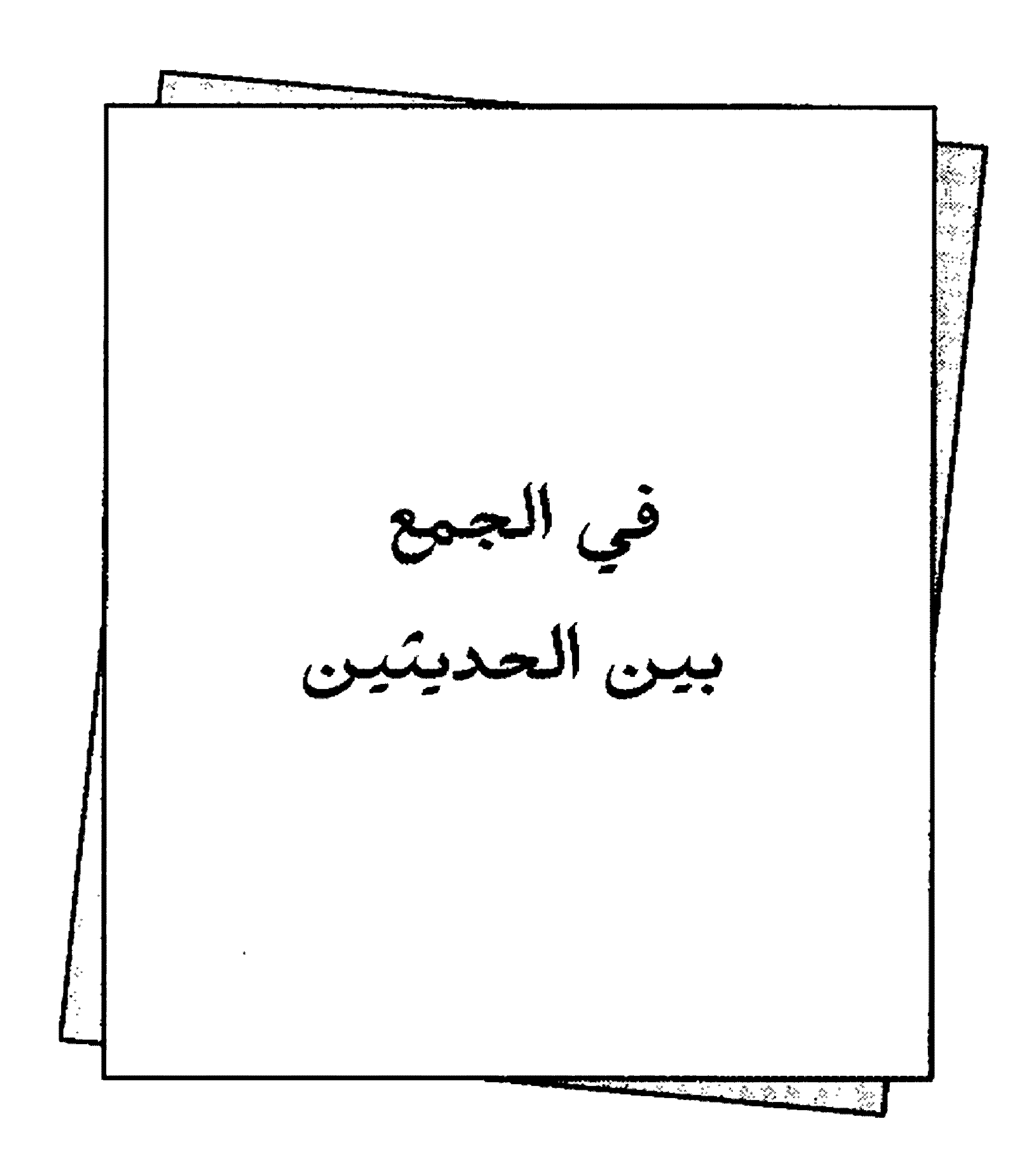
قال النبيّ ﷺ: «إنّ الله يحبّ العبد ويبغض عمله، ويحبّ العمل ويبغض بدنه»[1]. وقال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه: ما طاب ظاهره طاب باطنه، وما خبث ظاهره خبث باطنه».

طرفا كل واحد من التخصيصين في قول أمير المؤمنين رضي الله عنه وكرم وجهه لايتوافقان في الجهة، بل يتناقضان؛ لأن معناهما ما طاب ظاهره غالباً طاب باطنه دائماً، وما خبث ظاهره غالباً خبث باطنه دائماً، فلا يناقض الأول قولنا: بعض ما طاب ظاهره في الجملة خبث باطنه دائماً، وبعض ما خبث ظاهره في الجملة طاب باطنه دائماً، إذ جهة الجزء الأول فيهما يتخالف، كما يقال: بعض اللامتنفّس حيوانٌ دائماً وكلّ اللامتنفّس ليس بحيوانٍ دائماً، فإنهما صادقتان، لعدم استحالتهما على شرائط التناقض كما ذُكر فيهما بعينه. وكذا قولنا: كل ما هو حيوان فهو متنفّس وليس بعض ما هو حيوانٌ فهو متنفّس، وكذا كل كاتبٍ فهو متحرّك الأصابع وبعض الكاتب ليس بمتحرّك الأصابع.

والمبغوض العمل خبيث الظاهر والمحبوب طيّب الباطن، والمحبوب العمل بالعكس، فيصدق بعض ما خبث ظاهره طاب باطنه، وبعض ما طاب ظاهره خبث باطنه، ويلزمه ليس بعض ما خبث ظاهره خبث باطنه وليس ما طاب ظاهره طاب باطنه.

---

(١) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.


في الجمع
بين الحديثين

بسم الله الرحمن الرحيم

قال النبيّ عليه السلام: «إنّ الله يحِبُّ العبد ويبغض عمله، ويحب العمل ويبغض بدنه»؛ وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إنَّ لكلِّ ظاهرٍ باطناً على مثاله، فما طاب ظاهره طاب باطنه وما خَبُثَ ظاهره خبث باطنه».

التوفيق بين الحديثين أنّ العبد المحبوب هو الذي طاب باطنه دائماً، فيجب أن يطيِّب ظاهره غالباً، إذ الظاهر عنوان الباطنِ والباطن علّة الظاهر، والمعلول يجب أن يناسب العلّة، لكن طيب الظاهر ـ اللازم لطيب الباطن ـ لا يستلزم حسن العمل دائماً حتى في زمان الصّبى والشباب، فإنّ المحبوب قويّ الاستعداد ومِن لوازم قوّة الاستعداد قوة الطبيعة والنفس، كما قال عليه السلام: «أنا كالدّيك النّكّاح!»[1]، وأشار به إلى قوّة روحه المقدّسة عليه السلام، ولهذا قال ﷺ: «خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام»[2]؛ فقد يفرّط فيه في بدايته عند كونه في مقام النفس قبل الوصول عند الكمال إلى جناب القدس فرطاتٌ كما فرط عن موسى، حيث قال في قتله القبطي: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٢٠﴾ [الشُعَراء: الآية ٢٠]، وقال يوسف عليه السلام لإخوته: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ۝٨٩﴾ [يوسُف: الآية ٨٩]، و﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ۝٩١﴾ [يوسُف: الآية ٩١]. أو في أثناء سلوكه عند ظهور نفسه بصفاتها وتلويناتها بوهن عزائمه وفتراتها، كقوله تعالى لآدم عليه السلام: ﴿فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: الآية ١١٥] إلى قوله: ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ۝١٢٢﴾ [طه: الآية ١٢٢]، وكقوله لداود عليه السلام:

---

(١) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

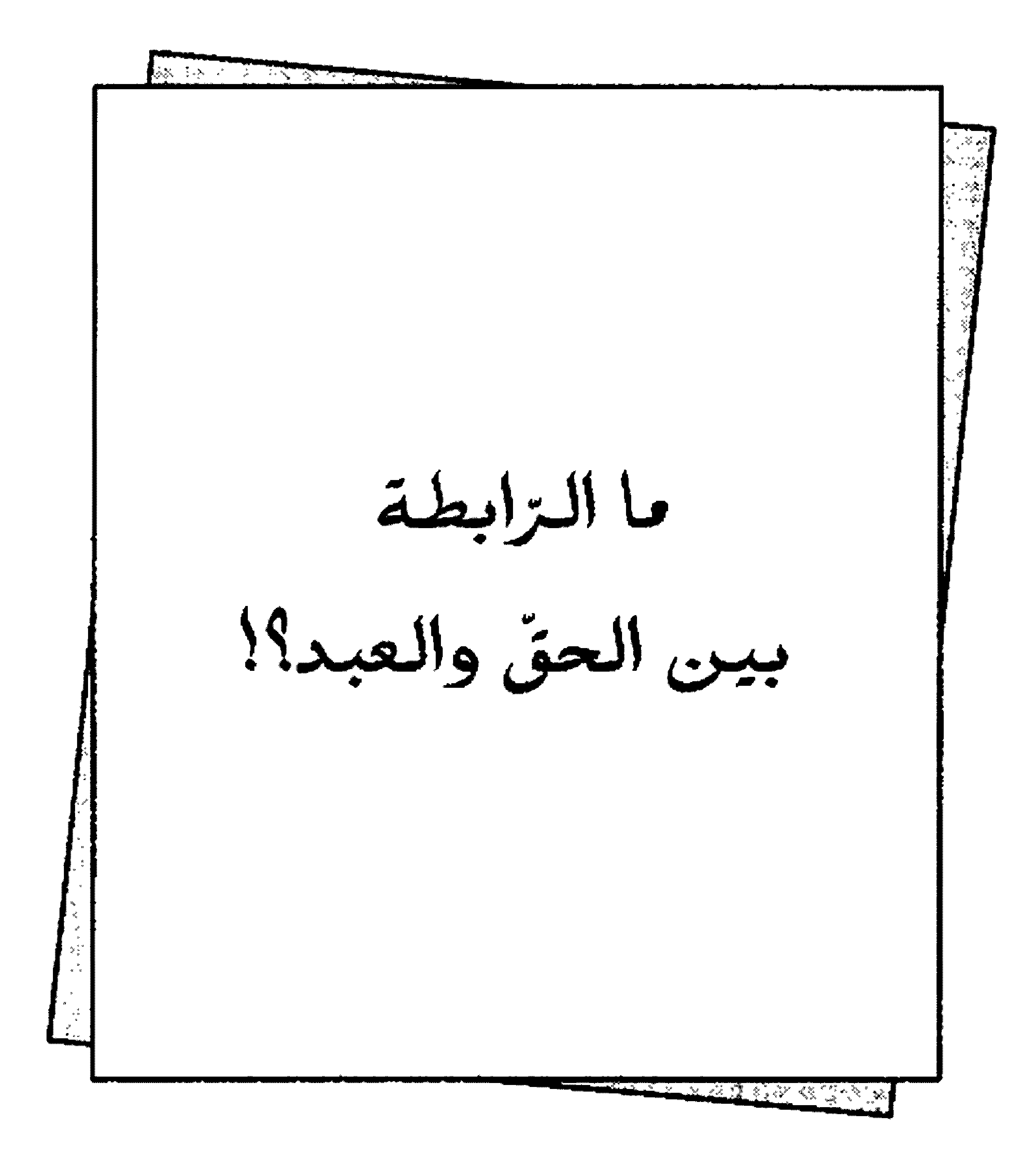
(٢) رواه البخاري في صحيحه، باب ﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت﴾ حديث رقم (٣١٩٤) [٣/١٢٣٥]، وباب ﴿لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين﴾ حديث رقم (٤٤١٢) [٤/١٧٢٩]، وابن حبان في صحيحه، ذكر البيان بأن من اتقى الله مما حرم عليه، حديث رقم (٦٤٨) [٢/٤١٦] ورواه غيرهما.

﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗاۤ وَأَنَابَ﴾ [ص: الآية ٢٤]، وقوله لسليمان عليه السلام: ﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾ [ص: الآية ٣٤]، وقوله في يونس عليه السلام: ﴿فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ ﴿١٤٢﴾﴾ [الصافات: الآية ١٤٢]. فيكون ذلك العمل مبغوضاً مع كون العبد محبوباً، ولما كان محبوباً مصنوعاً إليه مصبوغاً بالصبغ الإلهي ـ كما قال تعالى: ﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗ﴾ [البقرة: الآية ١٣٨] لم يتأثر بذلك ولم يتغيّر طيبهُ ولم يتلوّث ولم يلبث في ذلك كثيراً ويرجع إلى الحق ويتوب سريعاً، ولا ينافي زلّة آدم اجتباءه ولا فعلة موسى اصطفاءه، لكون ذلك من لوازم النّشأة غير مستلزم لكدورة الفطرة، ولا يناقض هذه الصغائر والزّلات الصادرة عن المحبوب بالذات المبغوض العمل بالعَرَض قَوْلَ أمير المؤمنين رضي الله عنه: «ما طاب ظاهره طاب باطنه»؛ فإن لفظة «ما» وإن كانت للعموم حتى يستدلّ بطيب الظاهر وحُسْنِ العمل على طيب الباطن لكن الموجبةُ الكليّة لا تنعكس كليّةً، فلا يستلزم طيبُ الباطن طيب الظاهر كلياً وإن استلزم طيب الظاهر طيب الباطن كُلياً. سواء أخذتَ شرطيّة أو حمليّة، على أن جهة طيب الباطن هو الدوام وجهة طيبِ الظاهر هو الإطلاق، بمعنى الغالب، والأمر الأكثر، فيصدق العكس كلياً أيضاً؛

وكذا المبغوض بالذات قد يتّفق منه بسبب صُحبة الأخيار ومخالطة الأبرار في بعض الأوقات أعمالٌ صالحة وأفعالٌ حسنة، فهي محبوبة وذاتُه مبغوضة لكن لمّا كانت ذاته مكدّرة، وروحه في البدن منغمسةً لا يلبَثُ على ذلك ولا يبقى، بل تقع غير مقبولةٍ إذا لم تقارن الإيمان والإخلاص، وسيعود ويرتدّ إلى الأعمال الخبيثة ويبقى على الأعمال الذّميمة بمقتضى الذات؛ والكلام في عدم منافاة أعماله الخيريّة الصادرة عنه في بعض الأحانين لشقاوته الذاتيّة ومبغوضيّته الأصلية وعدم مناقضة صدورها عمومَ ما في قول أمير المؤمنين عليه السلام: «ما خبث ظاهره خبث باطنه» كالكلام في القضية الأولى.

وقد راعى ﷺ في هذه القضية الثانية نكتةً، وهي أنه عبّر عن ذات الشقيّ المبغوض بـ«البدن» حيث قال: «ويحبُّ العمل ويبغض بدنَه» إشارة إلى عدم تجرّده عن الهيولى البدنيّة وانغماسه في الغواشي الماديّة كأنّ ذاته بدنه، بخلاف السعيد المحبوب لتجرّد ذاته.

والحاصلُ أن المحبوب نصيبه مِن عالم النور أوفر وحظّه مِن جناب القدس أكثر، ونصيبه مِن عالَم الظلمة أقلّ، فخيره ذاتيٌ باقٍ أبداً كنوره، وشرّه عارضيٌ لا يَبقى ولا يَفنى سريعاً، فيتوبُ ويتدارك ما فرط منه بالاستغفار والتوبة، ويبقى على طيب الظاهر في العاقبة، والمبغوض بالعكس. والله أعلم.


ما الرّابطة
بين الحقّ والعبد؟!

بسم الله الرحمن الرحيم

سأل الصِدِّيق الصَديق وليّ الحقّ والتحقيق، شمس الملّة والدّين، محمد بن مصلح، المشتهر بالتّبريزي ـ زاده الله توفيقاً للتوغّل في التألّه ـ عن الرابطة بين الحق والعبد، فأُلهِمتُ مِن حضرة العليم العَلاّم:

إنّ أصل الرابطة وحقيقته ظهور الأحدية الذاتية في الحضرة الأسمائية الإلٰهية، كما قال تعالى في أول كلام نزّل في التوحيد: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: الآية ١٦٣]، ثم في العالَم الروحاني الذي هو الباطن وعهده السابق ـ المُسمّى «ميثاق الفطرة» في قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢] ـ، وهو المشار إليه بقوله: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ﴾ [طه: الآية ١١٥]، ثم في العالَم الجسماني الذي هو الظاهرُ خلاقيّته إيّانا باليدين، كما قال: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: الآية ٧٥] وهذه الرّابطة هو الحبل المتين الثلاثي الفَتْل المحكم المأصون البَتْل؛ فلمّا احتجبنا بغواشي النّشأة وحجب الطبعة [. . .][1] الوحدة بالميل إلى الكثرة، أمّدنا بنور العقل أولاً وأيّدنا بقوّة التفكّر لنستدلّ بالحجج والبراهين على التوحيد ونتفكّر في مبادي الخلق ونتذكّر العهد الأول، كما قال: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرّعد: الآية ٣]، ثم لمّا لم يستقلّ العقل بذلك ولم يطّلع على حقائق ما هنالك، وجدت الاختلاف لتفاوت العقول، وغلبت العقول بالذهول، والاشتغال بالفضول أمّدنا ثانياً ببعثة النبيين والدّعوة إلى مقام الموقنين، ثم لمّا توافق الحجّة والدعوة وتظاهرُ العقل والنقل فيمن وفّق للسعادة والكمال وأوتي الحظ من معرفة صفات الجلال والجمال لسابقة حكم العناية وما أودع في قوّة استعداده من قوّة قبول العطاء من اليد الطّولى، ثلّث الإمداد بالحُبّ والجذب ورقانا رتبة [. . .][2] إلى غاية القرب، فجذبنا إلى حضرته بالسلسلة الثّلثة الوثقى وجذّدنا عن تلك العلائق المردية والغواشي المُهلكة لنُدرِكَ الكرامة الزُّلفى، وقرّبنا بعد بُعدٍ بعيدٍ وذكرنا عقيبَ

---

(١) فراغ في الأصل.

(٢) بياض في الأصل.

النسيان الشديد، ونبّهنا عن الغفلة واللّبس في خلق جديد، فقابلنا الأصل الأول بالتوجّه التام المذكور في قول خليله ـ بعد طيّ الآلهة الكثيرة ـ: ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأنعام: الآية ٧٩]، وأطعنا إذا أمرنا بالإسلام، كما قال: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: الآية ١٣١]، والعهد الأول بالوفاء، كما قال: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ۝٣٧﴾ [النجم: الآية ٣٧]، وقال: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ [الإنسان: الآية ٧]؛ والثالث بالقيام بحق العبودية والتقيّد وقضاء ما للسيد مِن الحقّ على العبيد حين يذكّرنا لما ننساه ونسمع قوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: الآية ٢٣] فنستقيم على الصراط المستقيم بمتابعة الحبيب على قدم المحبّة بقوّة العزيمة ونسير في شوارع الكثرة بسيرة العدالة، وتقودُنا المحبة في ذلّة العبودة إلى عزّة الوحدة فيطلع علينا الوجهُ الباقي ويبلغ منّا الروح إلى التّراقي، فيتخلّصُ من التقيّد إلى الإطلاق ونفوز بلذّة الوصل يوم التّلاق، ويرتفع ذلّ العبودة بالوصول إلى علّيين، كما وعد الله تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ۝٩٩﴾ [الحجر: الآية ٩٩].

# في بيان المراد
# بما وقع في كلام المحقِّقين
# مِن ذكر الوجه
# والشَّعر لمحبوبهم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على جزيل نواله والصلاة على نبيّه وآله!

وبعد، فقد أجبتك أيها الأخ في الله ـ شرح الله صدرك بنور اليقين ـ عمّا سألتني عنه من بيان المراد بما وقع في كلام المحقّقين من ذكر الوجه والشّعر لمحبوبهم ـ وحالهم أعلى وأجلّ مِن الافتتان والتقيّد بحسن الصورة ـ، وذلك أن أهل المحبّة الخاصة الإلٰهيّة [. . .][1] على صفاء حالهم وعزّة شهودهم أن يشوب بالاطّلاع الأغيار عليه فاستعاروا لبعض مواجيدهم ستراً للحال وتوريةً لغيرها ألفاظاً موضوعةً للصور الماديّة، وأشاروا بذلك إلى مرادهم لِمَن فهم الإشارة بدلالة المشابهة الواقعة بين المُستعار والمُستعار له، فأطلقوا لفظ «الوجه» وأرادوا بذلك الوجود، لأنه موقع النظر إلى الذات ـ كالوجه ـ، وأطلقوا لفظ «الشّعر» وأرادوا به العدم الثابت الذي هو ذاتُ الممكن، لأنه يستر بإمكانه وجوب الوجود الذي هو وجهُ الحقّ، كما يستر الشعر الوجه.

وأيضاً يوصفُ الوجود بالإضاءة والإشراق ـ كالوجه الجميل ـ، والعدم بالظّلمة والسواد ـ كالوجه لشعر الحسن ـ، وكما أن النور يتوقف ظهوره على ظلمةٍ ـ كتوقّف نور الشمس في ظهوره على ظلمة الأرض، كذلك يتوقف ظهور الوجود على عدمٍ قابلٍ له، والعدم لا يقبل الوجود وهو باقٍ على صرافته لتمانع المتقابلين، فلا بد من مناسبةٍ بينهما، وهو الثّبوت الذي ذهب إليه بعض العلماء وجعله واسطةً بين الوجود والعدم، وعليه المحققون.

وقولنا: الوجود موقِعُ النظر إلى الذات، لأنّا نستدل بشهود الوجود على ذاتٍ يقبله، ألم تر أن الأمور العدميّة القابلة للوجود ـ المسمّاة أعياناً ثابتة ـ كيف تستّرت في كِنّ العدم لا يتعلّق بها إلاّ العلم الأزليّ، ولا تعلّق للعلم الحادث في الإنسان ـ

---

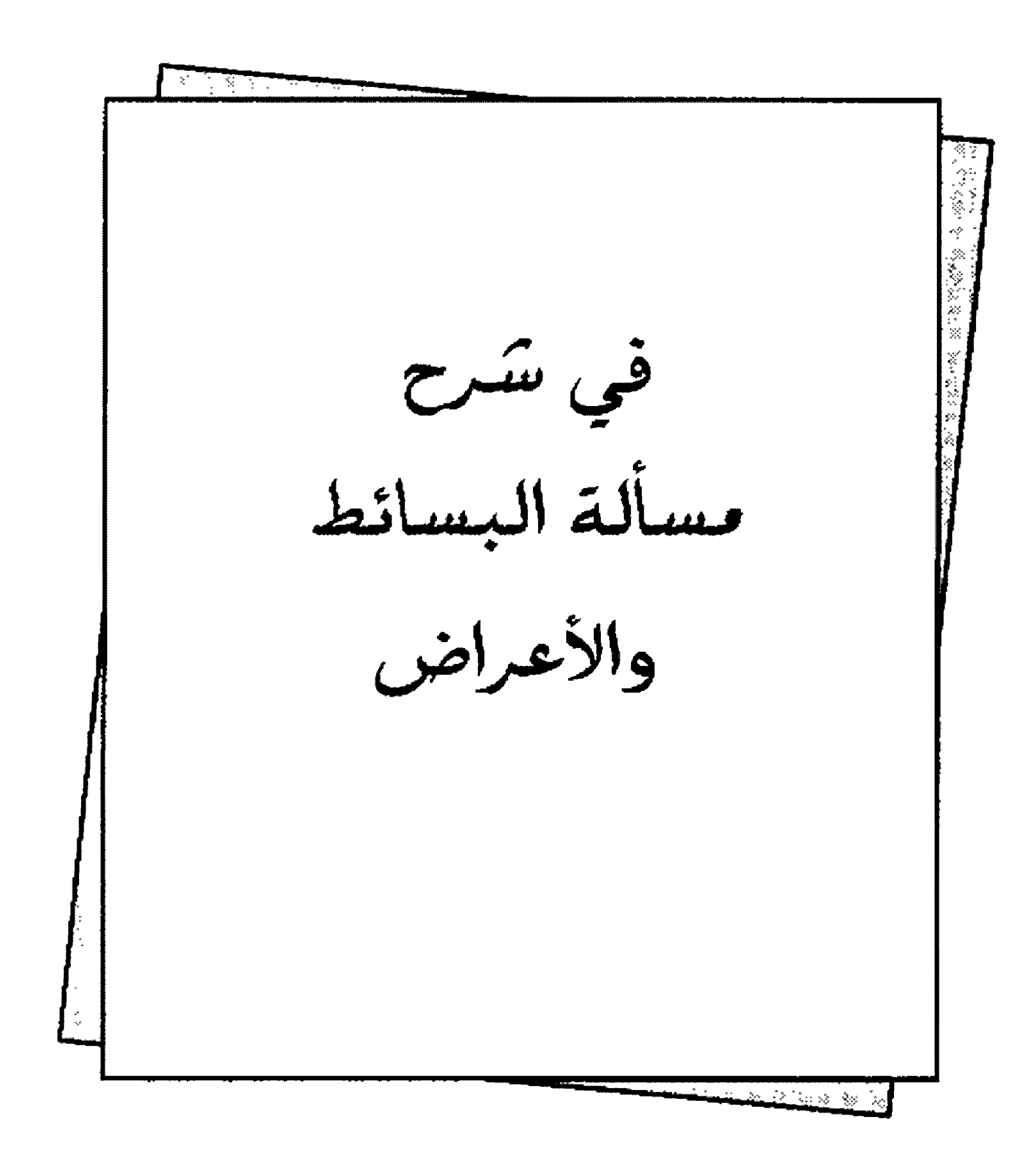
(١) بياض في الأصل.

وغيره ـ بها إلاّ بعد خروجها مِن العدم إلى الوجود، ولولا الوجود الظاهر منها وقوع النظر عليه أولاً لما وقع النظر عليها ثانياً؛ والحق سبحانه هو المُحيط بعلمه الكامل الأزليّ بكل عينٍ ثابتٍ قبل الوجود وبعده، فالإنسان لا يُحيط بعلمه الناقص الحادث إلاّ ببعضٍ فأدخل في الوجود على حسب المشيّة الإلٰهية، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٥٥] والعلم الحادثُ في الخلق هو في الحقيقة العلم الأزليّ الحادث تعلّقه بالخلق، إذ لا علم إلاّ لله!.

وقولنا: «الممكن يستر بإمكانه وجوبَ الوجود»، نعني به: أنّ الوجود المطلق قبل تقيّده بأعيان الممكنات منسوبٌ إلى الله، فيظهر وجوبه، وبعده منسوبٌ إلى الممكن، فيُقال: وجود السماء والأرض والنبات والحيوان والإنسان والملك ـ وغيرها من الممكنات ـ، وهو في الحقيقة الوجود المطلق المتعلّق بذوات الممكنات فلا حدوث فيه إلاّ من جهة التعلّق.

وقولنا: «الوجود موصوفٌ بالإضاءة كالوجه، والعدم بالسواد كالشّعر» أن الوجود نورٌ يستضيءُ به الناظر في ظلمة العدم ترى الأعيان الثابتة فيه بذلك النور، والعدم ظلمة لا يعتدي به سيّد العقل إلاّ بنور الوجود.

وأما وصف الوجه الجميل والشّعر الحسن بالإضاءة والسّواد، فظاهرٌ. والله الموفّق!.



# في شرح مسألة البسائط والأعراض

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي حقّق الحقائق بنور ذاته وجعلها مظاهر حسن صفاته، وجدّد الأشخاص بتبدّل الأعراض والمشخّصات، وقوّمها بجواهر الأنواع والمُقوّمات، والصلاة على مَن كمّل نوع البشر بالعلوم والأعمال والآداب، وعلى آله وأصحابه خير آلٍ وأصحاب!.

وبعد، فقد رسم المولى الملك الأعظم مولى ملوك العالَم، سلطان علماء الشرق والغرب، برهان حكماء العجم والعرب، صاحب الرّياستين المعنويّة والصوريّة، جامع الفضيلتين العلميّة والعمليّة، آصف العهد بل سليمان الوقت، المسخر للشياطين بالقهر والمقت، شمس الحقّ والدّين، عزّ الإسلام والمسلمين [...][1] أعزّ الله أنصار دولته وأذلّ أعداء مملكته! بأن يكتب هذا الفقير ما حضره في مسألتَي البسائط والأعراض، ويُملي بعض ما يتعلّق بلا مجعوليّة الأولى وتجدّد الثانية بالأعواض، فامتثل مرسومه حسب إشارته العالية واغتنم مأموره، لكونه مطاعاً في الأعصر الخالية، فإن وافق رأيه المنير فالعبد هو الظافر، وإلاّ فالمأمور معذورٌ من كرمه الوافر، فإنه العاذر ونعم العاذر!.

وأما البسائط؛ فقيل إنها غير مجعولةٍ أصلاً؛ والمراد بالبسيط هو الشيء الذي لا تكثّر في ذاته، فلا انقسام. وهو:

١ ـ إما حقيقيٌّ.

٢ ـ أو غير حقيقيٌّ.

والحقيقي هو الذي لا يتكثّر في الخارج ولا في العقل ـ أي: لا كثرة فيه ولا انقسام ولا تجزّي بالاعتبار العقلي أصلاً ـ؛

---

(١) بياض في الأصل.

وغير الحقيقي هو الذي يتكثّر بالاعتبار العقلي لا في الخارج ـ أي: ليس له جزءٌ في الخارج ـ.

والأول ليس إلاّ الحقيقة الأحديَّة التي هي عين الوجود من حيث هو وجودٌ، وعينه الوجودُ ليس إلاّ فوق الحضرة الواحدية المتكثّرة باعتبار الصفات والأسماء، فإنها إضافاتٌ واعتبارات تقع دُونها، ولا شك أنه غير مجعولٍ لوجوبه بذاته.

والثاني هو ماهيّات المفارقات التي وجوداتُها زائدة عليها، فإنها من حيث حقائقها لا يتكثّر في الخارج، إذ ليس لها أجزاءٌ متباينةٌ ـ كالآحاد بالنسبة إلى العشرة ـ أو متقوّمةٌ بعضها بالبعض ـ كالمادة والصورة اللّتين هما مأخذا الجنس والفصل ـ بل يمكن أن يؤخذ لها جنسٌ وفصلٌ اعتباريان كالجوهر والمجرّد والمدرك للكليّات بالذات في حدّ العقل، فإن جوهريته ليست إلاّ كونه إذا وُجد لا في موضوع، وتجرّده ليس إلاّ كونه غير مادّي، ومدركيّته بالذات ليس إلاّ حضورهُ لذاته ولغيره لتجرّده، وكلها أمورٌ اعتباريّة بخلاف الحيوانية والناطقية للإنسان، فإنَّ مأخذ أحدهما البدنُ، ومأخذ الثاني النفس الناطقة، وهما جوهران متميّزان في الخارج جزءان مقوّمان للإنسان.

أحدهما: المادّة.

والثاني: الصُورة.

فهي ـ أعني: الجواهر المفارقة ـ غير مجعولةٍ باعتبار حقائقها البسيطة ـ أي: من حيث أعيانها بلا اعتبار كونها موجودة ـ، لأنها صورٌ من صُور معلومات الله تعالى، وعلمه بها ليس إلاّ حضوره لها لا صورةً لها زائدة تقومُ بذاته تعالى، فليس علمه إلاّ عين ذاته باعتبار حضوره لذاته ولما بحضرته، فلا تكون صفةً زائدةً على ذاته في الخارج قائمةً بذاته لازمةً لها توجب إثنينيّة فيه ـ تعالى عن ذلك! ـ.

وتلك الصور من حيث هي هي غيرُ موجودة بالوجود الخارجي، فلا تكون مجعولةً؛ وأما الوجود العلميُّ فهو عينُ ذات المعلوم باعتبار تعيّنه العلميّ وعينُ ذات العالم باعتبار حقيقته التي هي عين وجوده ـ أي: وجود العالم ـ. ومن حيث كونها موجودةً في الخارج فهي مركبّة من الماهيّة والوجود، فلا تكون بسيطةً، فإذن البسيطُ غيرُ مجعولٍ أصلاً.

ولكون الموجودات العقليّة عينَ الماهيات تمم بعضهم، وقال: الماهيّات غير مجعولةٍ، بل وجوداتها إنما تكون بجعل الجاعل فقط! إذ كونُ الماهيّة ماهيّةً لو كان بجعل جاعلٍ لكان عند الشك في وجود الجاعل حدث الشك في كون الماهيّة ماهيّةً،

ككون السواد سواداً، وكون الإنسان إنساناً مثلاً، وليس كذلك؛ لأنها صور علمية اعتبارية إذا عقلناها لا نشك في حقائقها عند الذهول عن فواعلها، بل نشك في وجوداتها، وتلك الوجودات إضافات وقيودٌ للوجود المطلق الذي هو بسيطٌ واجبٌ بلا اعتبار هذه الإضافة، ومركّبٌ ممكن باعتبارها، فهو حقٌّ باعتبار الحقيقة، وخَلْقٌ باعتبار التّعيّن. وليست تلك التعيّنات إلاّ نقصان بعض صفات الوجود المطلق واختفاء بعض كمالاته بتلك القيود والإضافات، فيكون كل متعيّنٍ مخلوقاً مجعولاً محتاجاً ممكناً باعتبار كونه متعيّناً وخالقاً جاعلاً غنيّاً واجباً باعتبار حقيقته من حيث هي هي بوحدتها الذاتيّة المميّزة لهما عما عداها من العدم المحض. والله الحقّ!.

وأما الأعراض وقولهم فيها: أنها لا تبقى زمانين.

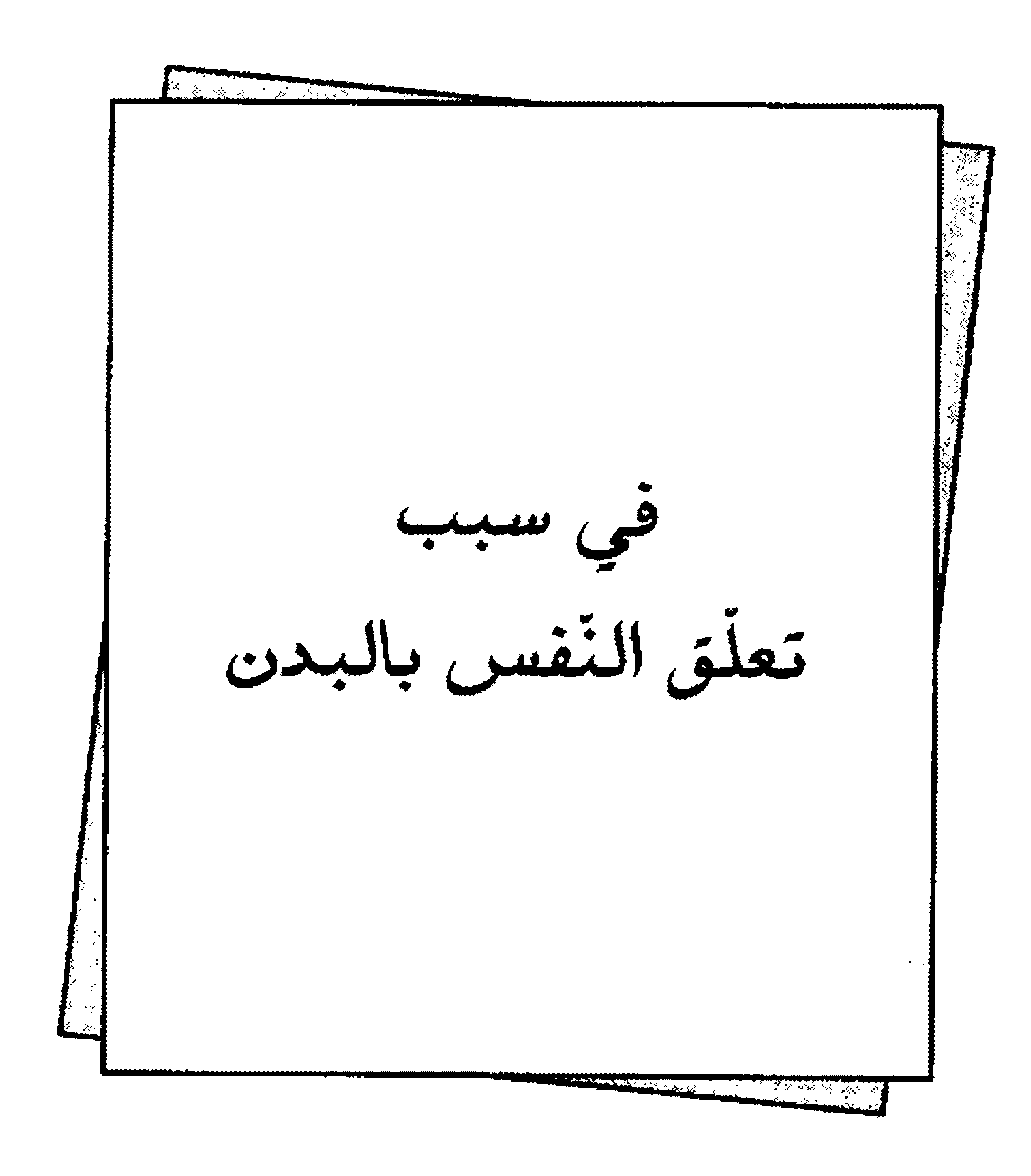
فلا اعتماد على ما قال في بيانه المتكلّمون لضعف [...][1]، والتحقيق فيه أن الحقائق النوعية لا تتغيّر عن حالها أبداً، لكونها طبائع كليّة والكلّيات لا تتغيّر، كما قال تعالى: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: الآية ٦٤]، وقال: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ﴾ [الروم: الآية ٣٠]؛ ولا يتشخّص إلاّ بالأغراض، والأعراضُ من حيث ماهيّاتها لا يفيد التشخّص، لأنها ـ أيضاً من تلك الجهة ـ حقائقُ نوعيّة، وانضمام الكلّيّ إلى الكلّي لا يوجب التشخّص، فهي تتشخّص بأعراضٍ متعيّنة متشخّصةٍ بتشخّص مواد متعيّنةٍ بتشخّصاتٍ أخرى سابقةٍ لا إلى أول، وأزمنةٍ معيّنةٍ مسبوقةٍ بأزمنةٍ أخرى معيّنةٍ، فكل مشخّصٍ هو إنما تشخّص بأعراضٍ متغيّرةٍ بتغيّر الحركات السماوية والأوضاع المتعاقبة المقتضية لغير جميع العوارض المشخّصة على تعاقب الأزمنة التي هي مقادير تلك الحركات.

وكيف لا؟! ومن جملة المشخّصات هو المتى، وهو كون الشيء في زمانٍ معيّنٍ، وذلك الزمانُ غير قارّ الذات وبتغيّره تتغيّر سائر المشخّصات مِن الكيف المعيّن والكمّ المعيّن والفعل والانفعال المعينين ـ وكذا سائر الأعراض ـ، فكلّ مشخّصٍ في زمانٍ معيّنٍ فهو غيره في الزمان الثاني كما قال تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: الآية ١٥]. فالأشخاص متغيّرةٌ في كلّ آنٍ، متبدّلةٌ متجدّدةٌ في كل زمان لتغيُّر مشخّصاتها التي هي الأعراض المتصرّمة المتجدّدة بتصرُّم أجزاء الزمان وتجدُّدها، وهي أجزاء الأشخاص ومقوّماتها من حيث كونها أشخاصاً، فيلزم من انتفائها في كل زمانٍ انتفاء تلك الأشخاص.

---

(١) بياض في الأصل.

وأمّا من حيث حقائقها النوعية، فهي عوارضُها لا يلزم من فنائها وتجدّدها تغيّرها؛ بل هي ثابتةٌ مِن تلك الجهة بحالها غير مجعولةٍ بجعل جاعلٍ، لكون الوجود الحقّاني في العالَم القدسيّ عالماً بها على الوجه الكلّي، وذلك الوجود عينها ليس بزائدٍ، كما ذُكر. والله الموفق!.



# فيِ سبب
# تعلّق النّفس بالبدن

بسم الله الرحمن الرحيم

اتّفقوا على أن سبب تعلّق النّفس بالبدن هو اعتدال المزاج لحصول التّناسب بين عالم الكثرة وعالم الوحدة به، إذ التضادّ في غاية البعد عن عالم القُدس، ولقد شهد عليه التنزيل بقوله: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السّجدة: الآية ٥]، إذ الإبداء بالتّدبير مِن عين الوحدة لا يكون إلاّ بتعيّنات الصفات والأسماء الإلٰهية التي يترتّب بها الوجود ويناقض كماله، فيحدث فيه التعدّد حتى تنتهي غايته إلى عالم العناصر ـ المعبّر عنه بالأرض ـ، فالرجوع إنما يكون بحدوث نور الوحدة، ووقوع ظلّها ـ الذي هو الاعتدال ـ بسبب امتزاج العناصر بالحركات السماويّة شيئاً فشيئاً، حتى يتمّ به الرجوع عند وجود الإنسان الكامل الأعدل مزاجاً بالنسبة إلى أشخاص نوعه، الأعدل مِن جميع أنواع الكائنات، إذ كلّما كان الاعتدالُ أقرب إلى المعتدل الحقيقيّ كان الممتزج أقرب إلى الواحد [. . .][1] وأتمّ كمالاً.

ثم اختلفوا في أن أوّل تعلّق الروح بأي أجزاء البدن؟

فقال بعضهم: بالقلب، وبعضهم: بالروح الحيواني، مع اتّفاقهم على أن آخر أجزاء البدن هو القلبُ والروح الحيواني، وأنّ أقرب المزاج الإنساني إلى المعتدل الحقيقي إنما هو بتكافؤ الأعضاء الحارّة والباردة والرّطبة واليابسة. وأما بحسب أعضائه المفردة فلا يكون ذلك القرب إلاّ للجلد.

والحق في هذا، إن الاعتدال لو كان سبباً للتعلّق المذكور بالتناسب لما تعلّق بالآخر، بل بالأعدل، وأنّ المعتدل باعتبار التكافؤ لا يكون هو المزاج الذي عرّفوه بأنه كيفيّةٌ متشابهة في أجزائها، حادثة عن تفاعل كيفيّاتٍ متضادّةٍ موجودة في عناصر متصغّرة الأجزاء المماسّة أكثر، وكلٌّ منها أكثر [. . .][2] الكيفيّة المتشابهة لا يوجد إلاّ في محلٍّ تتشابه فيه أجزاء العناصر، والمجموع الذي فيه تتكافأ أمزجة الأجزاء

(١) بياض في الأصل.

(٢) بياض في الأصل.

حتى يحصل له المزاج المعتدل ليس كذلك، فلا يكون له المزاج المذكور إلاّ اعتبارياً لا موجوداً بالحقيقة قائماً به، بل القوّة المولّدةُ [. . .][1] مِن صفاوة الهضم الرابع بعد تشبّه الغذاء بكلّ واحدٍ واحدٍ من الأعضاء المختلفة في مزاجه بالفعل دون القوام ما يجعله مادّة ستحض من نوعه، ويجمعه بين الصّلب والترائب إلى الكليتين، ثم إلى [. . .][2]، فيطبخ فيها انطباخاً تامّاً، فتتّحد فيه تلك الكيفيات المختلفة التي لكل واحدٍ من الأعضاء، فيخرج المزاج ـ المعتبر اعتدالُه ـ بالتكافؤ إلى الفعل لاتحاد تلك الأمزجة المتكافئة في ذلك المحلّ المتشابه الأجزاء، فيحصل في أوعية المنيّ إلى أن يصل إلى الرّحم، ولما كان المنيّ الذكوريّ يميل بإفراط النضج في المحال الحارّة جداً إلى الرحم، لم يبق كل واحدٍ بانفراده على اعتداله الأول، فلا تصلح كل واحد منهما بانفراده لأن تصير مادة شخصٍ تتعلّق به نفسٌ إلاّ نادراً، فيمتزجا فيه ويتخمّر الممتزج ويعتدل بالتّخمير اعتدالاً تامّاً يستدعي تعلّق النفس به، فتتعلّق به مقبلةً إليه بالتدبير، لكن الأفعال النفسانية مختلفة، بعضُها ينتسب إلى الحركة لا يتمّ إلاّ بالحرارة واليبوسة، وبعضها ينتسب إلى الإدراك لا يتمّ إلاّ بالرطوبة أو الاعتدال، فلا يمكن ظهورُها في محلٍّ واحدٍ بل في محالٍّ مختلفة مخصوصة بأمزجةٍ متفاوتةٍ.

فأوّلُ ما يظهر فيه من آثار تعلّق النفس هو الحرارة الغريزية التي بالنسبة إليها كالشُعاع بالنسبة إلى الشمس، فتعمل النفسُ بها في النُّطفة أعمالها، ولهذا قيل: إنها حرارةٌ سماويةٌ لا ناريّةٌ، إذ لو كانت ناريّةً ـ كما ذهب إليه جالينوس ومَن دان بدينه ـ لكان كلما كان المزاج منحرفاً إلى الحرارة كان أقوى، إذ الميل إلى الحرارة لا يكون إلاّ بزيادة الناريّة، لكن التالي باطلٌ! لأنّ توفّر الحرارة الغريزية إنما يكون بالاعتدال، والمزاج الحارّ ينطفي بانطفائها بسوء المزاج البارد كما في الدّق، ولما قاومت الحرارة الغريبة كما يقاوم البرودة لكنها تقاوم وتردّها إلى الاعتدال بل ما وجدت حرارةٌ غريبةٌ أصلاً! لأن الحرارة المزاجية حينئذٍ تقوّي مِن العارضة الخارجية لكونها من جنسها فيزداد بها، وليس كذلك.

وتلك الحرارة الحيوانيّة آلةٌ للنفس في أفعالها واسطةٌ بينها وبين البدن فتفعل بها أوّلاً في المنيّ ـ الذي هو مادّة البدن ـ الأفعال النباتيّة فتجذب إليه الغذاء من مادّة الطّمث فينمو وتظهر فيه القوّة المغيّرة الأولى، فيفصّل فيه موادّ الأعضاء، وتميّز

(١) بياض في الأصل. (٢) بياض في الأصل.

أمزجتها الموجودة فيه بالقوّة بعضها مِن بعضٍ كما كانت أوّلاً ثم يظهر فيه من قوى النفس القوة المصوّرة، فيخلق بإذن الله تعالى صور الأعضاء ـ التي كانت فيها بالقوّة ـ، وأول ما يخلق هي الأعضاء الرئيسة سيما القلب فيجذب إليه أخسّ الأجزاء وألطفها من الدّم فيفعل فيه بالحرارة الغريبة ـ التي يتوفّر فيه بالقياس إلى سائر الأعضاء ـ حتى يكون هو كالمنبع لها، فيرتفع منه البخار اللطيف والمسمّى بالروح الحيواني وتظهر فيه القوّة الحيوانية مِن قوى النفس فيصير حيّاً ويبتدي مِن أفعال النفس وآثار الحياة بالانقباض والانبساط بالحركة الغير الاختياريّة التي لا يكون إلاّ بشدّة الحرارة في الشهر الرابع، وكذلك ينجذب الدم المذكور إلى كبد الجنين من طريق السّرّة، فيتكيّف بالرطوبة الغريزية المستفادة من المنيّ تكيّف اللّبن بالأنفحة في مزاجه ويتشبّه بأعضاء بدنه وأصفاه الدم و[. . .][(١)] فيستمدّ منه الروح الحيواني، لكنه ما دام في القلب لا يصلح مِن شدّة حرارة مزاجه لأن يظهر فيه الإدراك، لأنه يجب أن يتحرّك حتى يرتقي إلى الدماغ ويوصل الحياة إلى سائر الأعضاء ولا يمكن الحركة الدائمة إلاّ بالحرارة، فإذا ارتقى واجتمع في الشّبكة المنتسجة من الشرايين والأوردة تحت الدماغ ثم الدماغ فيستدير و[. . .][(٢)] متحرّكة فيها وفي نفس الدماغ، حتى يلطف بطول الحركة يتصفّى صفاءً تاماً ويعتدل اعتدالاً صالحاً لأن تظهر فيه القوّة النفسانية ظهرت فيه ولاحت منه آثار الحسّ والحركة الإراديّة وسرى بطريق الأعصاب إلى جميع أعضاء البدن، فيحدث فيه الحسّ والحركة الإرادية ويكمل بها أفعال الحيوان من الحركات الاختيارية والإدراكات كما سرت الروح الحيوانية بطريق الشرايين إليها من القلب، فحصلت فيها الحياة وسرت الروح النامية بطريق الأوردة إليها من الكبد، فحصلت فيها الأفعال النّباتية.

فأوّل ما تتعلّق به النفس هو النطفة لاعتدال مزاجها لا عضو خاص؛ وأول ما يظهر فيه الروح والحياة هو القلب، كما أن أوّل ما يظهر فيه الحسّ والحركة الإرادية هو الدماغ، ومن هذا ظهر أنّ المزاج المعتدل الشخصي لا يكون بالفعل إلاّ لهذا الروح الساري من الدماغ إلى جميع البدن ـ أعني: الرّوح النفساني ـ وهو الذي كان أوّلاً للنطفة ثم للرطوبة الغريزية، وأن الجامع للأجزاء الأصلية الأولية ـ التي هي نفس الوالدين ـ والجامع للأجزاء الكماليّة الغذائية ـ التي هي دم الطّمث ـ إليها بالجذب هي نفسه، وهي الحافظة لمزاجه المخصوص به، والمحدثة لمزاج أعضائه ـ

(١) بياض في الأصل.

(٢) بياض في الأصل.

التي هي تكافؤ أمزجتها ـ يحصل المزاج الاعتباري الذي كان في النطفة الأولى موجوداً بالفعل.

ولما انتسج الجلد مِن ليفات الأعصاب الباردة وامتزج بشعب الأوردة والشرايين وجرى إليه من الدم والروح الحارّين واختلط واعتدل بامتزاج الجواهر الحارّة والباردة والرّطبة واليابسة واستمدّ من الروح النفساني المعتدل الجاري إليه من الدماغ كان قريباً من المعتدل الحقيقي، وصار كله مظهراً للحسّ دون الحركة ـ التي لا يكون إلاً بغلبة الحرارة ـ ولكون اعتدال مزاجه اعتبارياً لا حقيقيّاً ـ بتكافؤ برودة ليفات الأعصاب والشرايين والأوردة وحرارة مزاج الدم والروح الجاري فيها إليه ـ لم يكن محلّ تعلّق النفس كالنّطفة.

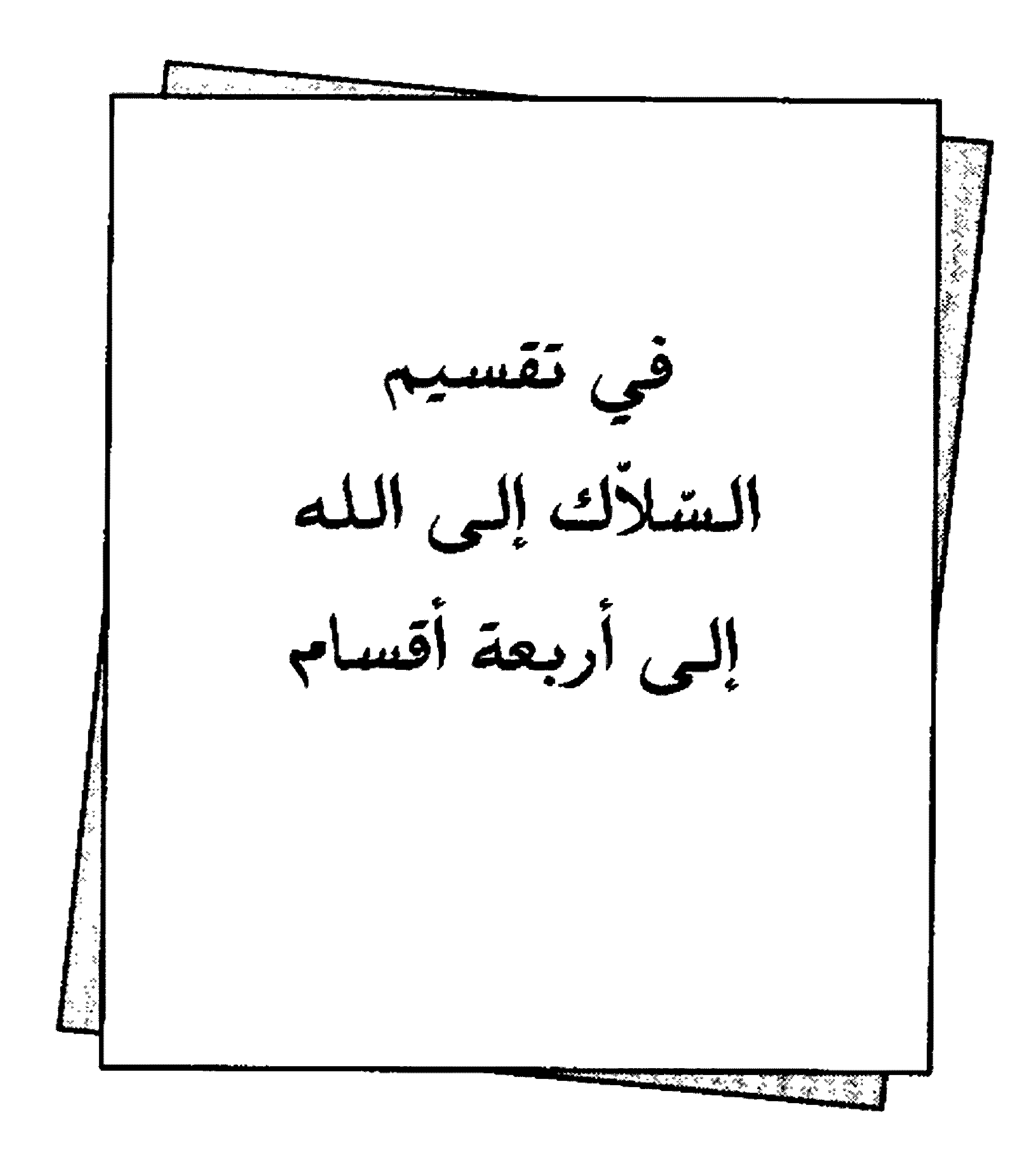
هذا ما حضرنا في الحال، والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب!.

# فِي ما يتَعلّق ببطون الآية الكريمة:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ [الأحزاب: الآية ٧٢]

بسم الله الرحمن الرحيم

المراد بالعَرْض: التجلّي؛ وبالأمانة: الذّات مع الصفات ـ أي: الأسماء الإلهية ـ. يعني تجلّينا بأسمائنا الحُسنى لسماوات العالَم العلوي وأرض العالَم السفلي وجبال الكائنات بينهما ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا﴾ [الأحزاب: الآية ٧٢] بنسبتها إلى أنفسهن ووقفهنّ عند حدودهنّ وأقمن على صلاتهن وتسبيحهنّ ـ كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ [النّور: الآية ٤١]، ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ﴾ [الأحزاب: الآية ٧٢] بنسبتها إلى نفسه ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا﴾ [الأحزاب: الآية ٧٢] بذلك حيث وضعها في غير موضعها بإضافة الوجود والكمال إلى نفسه ﴿جَهُولًا﴾ [الأحزاب: الآية ٧٢] حيث لم يعرف قدرَ ما تجلّى أو تجلّينا بها للكل ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا﴾ [الأحزاب: الآية ٧٢] بقبول ذلك ومعرفته، فلم تعرفها لعدم استعدادهنّ وأشفقن منها لضعفهنّ ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ﴾ [الأحزاب: الآية ٧٢] أي: قَبِلَها بقوّة استعداده الأزليّ الفطريّ حين قال لذوات الأرواح وأعيانها: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢] إنه كان ظلوماً إذ كان مطيقاً باستعداده الأصليّ للعدل والعلم وأداء الحقّ إلى الحقّ بالحقّ حتى يكون واضعاً لها في موضعها، عارفاً بها وقدرها، فلم يفعل ووقف عند نقصه، ﴿جَهُولًا﴾ [الأحزاب: الآية ٧٢] حيث لم يعرف قدرها فكانت العاقبة تعذيب المترددين بين جهتي الربوبية والسّفالة المتذبذبين ذوي الوجهين: وجهٍ إلى الحقّ، ووجهٍ إلى الباطل؛ والمشركين المثبتين الوجود الغير المحجوبين عن الحق بإثبات الوجود والكمال للغير، وقبول توبة الصدّيقين الراجعين إلى الحق الموحّدين بالبراءة عن الباطل ونفي الغير والشهادة بالوحدانيّة بشهود الحق بالحق ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ [النّساء: الآية ٩٦] بستر ذواتهم عنهم بذاته لفنائهم فيه، رَحِيماً يرحمهم بالوجود الحقّاني ببقائهم به بعد الفناء في مقام فناء الفناء ونفيهم الغير، وفنائهم فيه هو أداء الأمانة التي حملها الإنسان إلى أهلها، وذلك لكونه مأموراً بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النّساء: الآية ٥٨]؛ وأداء الأمانة إلى أهلها هو الفتوّة، ولهذا قال الله تعالى لموسى عليه السلام حين سأله عن الفتوّة: «الفتوّة أن تردّ نفسك إليّ طاهرةً كما قبلتها منّي طاهرةً». والله الموفّق.


في تقسيم
السّلاّك إلى الله
إلى أربعة أقسام

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم! إن طالبي طريقة السّلوك إلى الله على أربعة أقسام:

١ ـ **أوّلها**: الذين مارسوا العلوم الإلٰهية واجتهدوا في طلبها والوصول إلى دقائقها بالأنظار الدقيقة والأفكار العميقة، فحصل لهم شوقٌ جديد وانجذابٌ تامٌ إلى الجانب الأعلى، فحملهم حبّ الاستكمال في ذلك على الرّياضة.

٢ ـ **وثانيها**: النّفوسُ التي مالت بأصل فطرتها وغريزة جوهرها إلى ذلك الجانب، مِن غير أن يتعلّموا علماً ومارسوا بحثاً ونظراً، حتى أنهم في حال ساذجيّتهم متى سنح لهم انقطاع قليلٌ عن المحسوسات ـ إما في سماعٍ أو في فكرٍ ـ استولى الوجدُ عليهم واشتدّ الحنينُ فيهم وغشيهم مِن الأحوال النفسانية والسوانح القدسيّة ما يشغلهم عن الجسمانيات وعلائقها.

٣ ـ **وثالثها**: النفوس الموصوفة بالصّفتين جميعاً ـ أعني: التي تكون بأصل فطرتها جبلت على الحنين إلى جانب العزّة، ثم استكملت ذلك الشوق بالارتياض بالمعالم الإلٰهية والمباحث الحقيقية.

٤ ـ **ورابعها**: النفوسُ الخالية عن الصّفتين، إلاّ أنها لكثرة سماعها كمالَ هذه الطريقة وأنّ قُصارى السعادة البشرية وملاكَ البهجة الإنسانية ترتبط بها مالت إليها واعتقدت فيها.

فهذه أقسامٌ أربعة لطالبي هذه الطريقة لا مزيد عليها؛ والرّياضة اللائقةُ لكل واحدٍ منها غير اللائقة بالآخر، ونحن نشير إلى معاقد قواعدها، لكن بعد تقديم مُقَدّمتين!.

## المقدمة الأولى

أنّ النفحات الإلٰهية دائمةٌ مستمرة وأنّ كل مَن توصّل إليها وصلَ إليها، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: الآية ٦٩].

## المقدمة الثانية

إنّا بيّنا في سائر كتبنا أنه ما قامت دلالة على اتحاد النفوس البشرية، بل الظن الغالبُ أنها قد تكون مختلفةً، فإذا كان كذلك فربما كان بعضُ النفوس مستعداً استعداداً تاماً لهذا المطلب، وربما لم يكن مستعداً البتّة، وبين طرفي الكمال والعدم أوساطٌ مختلفة بالقوّة والضعف؛ وإذا عرفت ذلك فنقول:

أما القسمان الأولان ـ أعني: التي حصل الشوقُ لها بالعلم دون الفطرة، والتي حصل لها الشوق بالفطرة دون العلم ـ فلكل واحدٍ منهما ما ليس للآخر، فلا جرم يُخالف كلٌّ واحدٍ منهما الآخر في الكسب والمكتَسَب؛

أما الكسبُ فلأنّ صاحب العلم الأولى له العزلةُ والانقطاع عن الخَلْقِ، لأن الحاجة إلى الغير لأجل أن يكون له مَنْ يهديه وعن الضّلالات يقيه، ولا مرشدَ فوق العلم!.

وأما صاحبُ الفطرة إذا لم يكن عالماً احتاج ـ لا محالة ـ إلى المعلّم والمرشد، لئلاّ ينحرف عن سواء السبيل، ولا يقع في المتأسّف والمعاطب.

وأمّا المكتسب فلأن صاحب العلم إذا شغل بالرياضة كانت مكاشفاتُه ومشاهداته أكثر كميَّةً وأقلّ كيفيَّة مما لصاحب الفطرة.

أما أنها أكثر كميّةً: فلأن قُوّته النظرية تُعينه عليه؛

وأما أنها أقلّ كيفيّةً: فلأنّ القوة النفسانية [. . .](١) على تلك الكثرة، وكلما كانت الكثرة أكثر فكان كلٌّ واحد أضعف ـ لِما عرفت أنّ الجزء الأكبر من القُوّة أقوى ـ.

وإذا عرفت ذلك علمْتَ أنّ في جانب الفطرة بالضدّ مِن ذلك.

وأما القسم الثالث ـ وهو النفس المُستجمعة فيها القوّة الفطريّة والمعارف الاكتسابيّة ـ فهي النفس الشريفةُ الكاملة القُدْسية التي ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ [النور: الآية ٣٥]، وهذه الأقسام الثلاثة مشتركة في أنّ رياضتها القلبيّة يجب أن تكون زائدةً في الكمّ والكيف على رياضتها البدنيّة، لأن المقصود من الرياضات البدنية حصول الرياضات القلبيّة، وإذا حصل المقصود كان الاشتغال بالوسيلة عبثاً،

(١) بياض في الأصل.

بل ربما كان عائقاً، لكن لا بدّ مِن المحافظة على وظائف الفرائض لئلا تتعوّد النفس الكسل، فيصير عدم الرياضة البدنية سبباً لزوال الرياضة القلبيّة.

وأما القسم الرابع: ـ وهو النّفسُ الخاليةُ عن الصّفتين ـ فهذه النّفسُ لا ينبغي أن تشتغل أولاً إلاّ بتهذيب الظاهر ـ مِن الأعمال التي يشتمل على شرحها كتب الأخلاق ـ حتى إذا تمرّنت ولانت واستيقظت من سنة الغفلة ورقدة الجهالة، استعدّت للنفحات والبوارق الربانيّة، وإذا فارقت تلك اللّذة انجذبت إليها وأقبلت ـ بالكلّيّة ـ عليها. وبالله التوفيق!.


في العلم
الاستدلالي

بسم الله الرحمن الرحيم

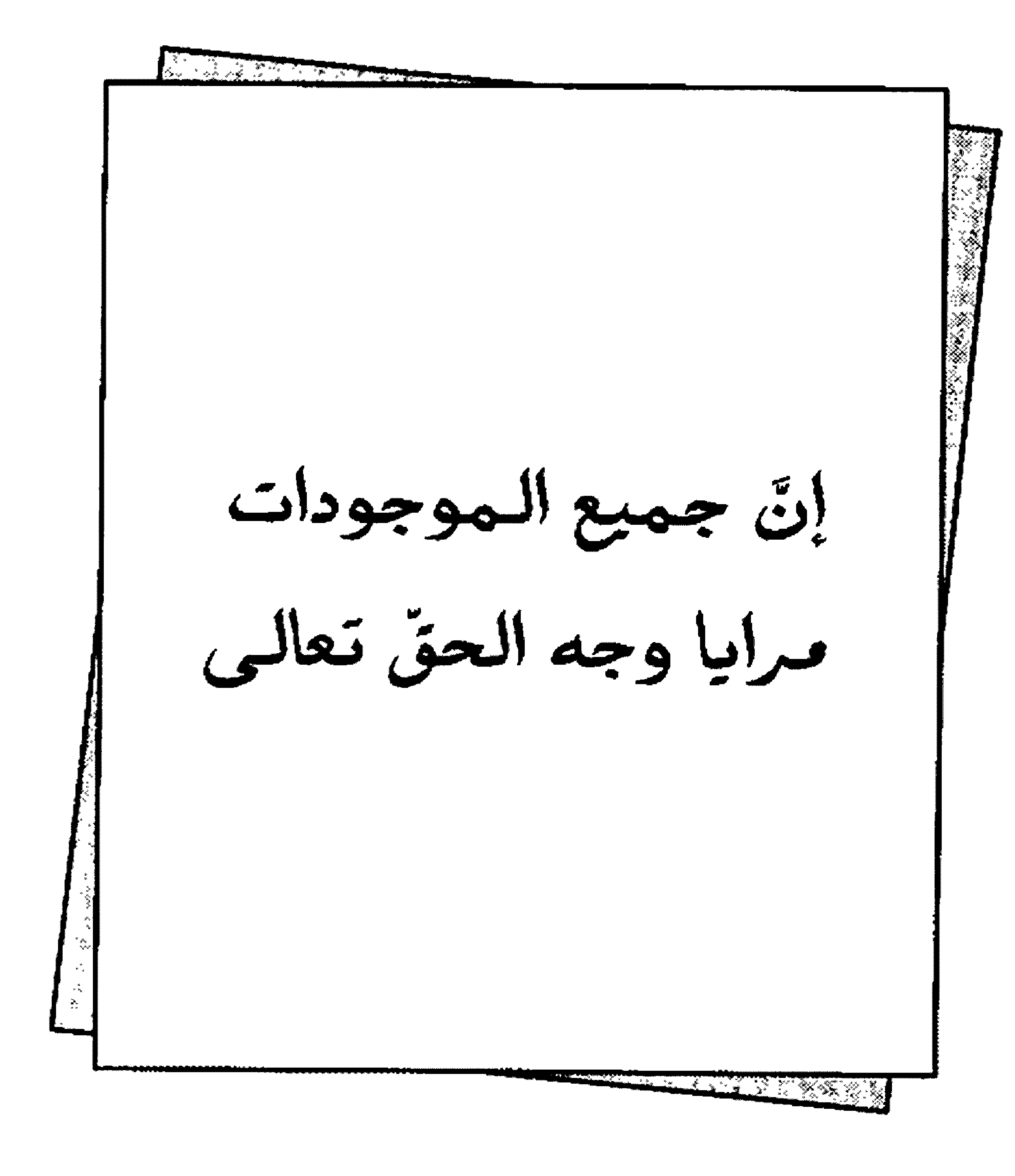
رَبِّ أفض ولا تكلني إلى نفسي وعلمي في تقريري!.

اعلم، أنَّ العلم الاستدلالي ـ المستفاد من النظر في الخَلْق ـ هو بالاستدلال من جهات النّقص والانفعال ـ التي في الخلائق ـ على جهات الكمال والفعل ـ التي للحقّ ـ كالاستدلال بالحادث على المُحدث، وبالإمكان على الوجوب، وبالرّجاء والخوف على الرّضا والغضب، وبالأنس والهيبة على الجمال والجلال، كما ذكر الشيخ محيي الدين قدَّس الله روحه في أولْ «الفُصوص»؛ والعلم الشهودي هو الاستشهاد بجهات الكمال التي في الممكن على كمالاته، لأنّ الشاهد لما رأى الممكن بعين الفناء ـ على ما هو عليه ـ رأى كل ما شاهد في صورته مِن الحقّ، فشهد الحق في صورته، كما قال أمير المؤمنين رضي الله عنه: «تُشهد له أعلام الوُجود على إقرار قلب ذي الجحود». فشاهد شهادة قلب الجاهد بوجود على وجود الحق تعالى؛

وكما قال الشيخ رحمه الله في «فصّ الحكمة المالكية في الكلمة الزّكرياوية» ما معناه: أنّ المحجوبين يسألون الله أن يرحمهم ليكونوا راحِمين.

فلهذا قال في التأويل في معنى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد: الآية ١] أظهر كل موجودٍ تنزيهه عن الإمكان وقبول الفناء بوجوده الإضافي وثباته، لأن الوجود الإضافي هو الوجود المُقيّد بالإضافة إلى ذلك الممكن المُفتقر المعدوم إذا فرض بلا موجده، فهو الوجود الذي إذا سقطت منه الإضافة الإمكانية كان هو الحقَّ تعالى، فشهد مِن حيث إنه مقيّد بالقيد الإضافي الإمكاني للحق بوجوب وجوده ـ وهو عين تنزيهه عن الإمكان ـ وثباته، أي: بقاؤه على وجوده ببقاء مطلق الوجود، القيّوم الذي هو به باقٍ ببقائه وهو عين تنزيهه عن الفناء، فهو تسبيحٌ في عين التحميد، كما قال تعالى في غير هذا الموضع: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: الآية ٤٤].

ولما فسّر باطنيّته تعالى باحتجابه بماهيات الأشياء بذاته، عُلم أنّ حقائق الماهيّات ـ حتى الجوهر الأول ـ هو تجلّيه بذاته لذاته، فذاته عين تلك الحقائق باعتبار تجلّيه في صورة الجوهر الأول، وعين عمله باعتبار تجلّيه في صور الأعيان الثابتة فيه، فكان علمه بتلك الحقائق عين علمه بذاته. والله أعلم!.


إنَّ جميع الموجودات
مرايا وجه الحقّ تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

مِن مشهورات العرفاء «أنّ جميع الموجودات مرايا وجه الحق تعالى»؛ ويدل عليه قوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: الآية ٥٣]؟.

والوجه، هو الذات الموجودة مع لوازمها، واللوازم هي الصفات، فالموجودات بأسرها هي مرايا الذّات والصفات، والذّات مع اعتبار أيّة صفةٍ كانت معه اسمٌ من أسمائه، فالموجوداتُ مرايا أسمائه وكلُّ ما وُجد في الخارج لا بد وأن يكون شخصاً مندرجاً تحت ماهيّته المعرّاة مِن المشخّصات، وتلك الماهيّة هي الصورة النوعيّة المقوّمة لأشخاصه، فكل مشخّصٍ هو مرآة صورته النوعيّة؛ إذ لا يوجد في الشخص إلاّ هي وكل ما هو مرآة صورةٍ نوعيّةٍ فهو مرآة اسمٍ من أسماء الله تعالى، لأنه موجودٌ شخصيٌّ وقد ثبت أنّ كل موجودٍ من الموجودات مرآة اسمٍ مِن أسمائه، فتلك الحقيقة النوعية ـ التي برزَتْ في الشخص ـ هو اسمٌ من أسمائه تعالى، فالصور النوعيّة ـ كلها أسماء الله تعالى، يتجلّى بها في خلقه لعباده المخلَصين، الذين عرفوه فيه به، ولو تحقّقت الصور النوعية لما وجدتَها إلاّ العين الواحدة التي هي الجَوْهر الأوَّل مع أعراضٍ شتّى يتبيّن ذلك في الحدود، فإن الإنسان هو الحيوانُ الناطقُ، ومعنى النّاطق هو ذو النُطق وليس مفهوم «ذو» إلاّ الإضافة المخصوصة ـ التي هي من الأعراض العارضة للحيوان ـ فإن الشيء ـ الذي له النّطق ـ إن لم يكن عين الحيوان في الحقيقة ـ لا في المفهوم ـ لم يكن محمولاً عليه بـ«هو هو»، والنّطق المحمول بواسطة «ذو» أوْلى بأن يكون عرضاً، لأنه معنًى فيه والجوهر لا يتقوّم بالعرض، فالإنسانُ هو الحيوانُ مع إعراضٍ؛ والحيوان جسمٌ نامٌ حساس متحرّك بالإرادة، أي: جسمٌ ذو نُمُوٍّ وحسٍّ وحركةٍ إراديةٍ.

والكلامُ في الإضافات والمُضاف إليها كالكلام في الإضافة إلى النُطق،

فالحيوانُ هو الجسم مع أعراضٍ شتّى. فثبت أن الكل جوهرٌ واحدٌ مع أعراضٍ، وذلك هو العين الواحدةُ التي هي مظهر الذّات الأحديّة بجميع صفاتها، فكُلّ ما يُسمّى صورةً نوعيّة هو الذات مع بعض الصفات؛ والذات مع بعض الصفات بعض أسمائه تعالى على ما عرفت!. والله أعلم!.

# في تحقيق ما فعل آصف بن برخيا من حصول عرش بلقيس عند سليمان عليه السلام

# تأويل وتحقيق

عالِم الإنس هو آصف بن برخيا، وهو مع فنون علومه كان مؤيّداً من عند الله تعالى، مُعاناً مِن عالَم القدرة بإذن الله وتأييده، أعطاه الله التصرّف في عالَم الكون والفساد بالهمّة والقوّة الملكوتيّة، فتصرف في عرش بلقيس بخلع صورته عن مادته في سبا وإيجاده عند سليمان، فإن النقل بالحركة أسرع من ارتداد طرف الناظر إليه محالٌ، إذ الانتقال زمانيٌ وحركة البصر نحو المبصر وعنه آنيةٌ، لوقوع الإبصار مع فتح البصر في وقتٍ واحدٍ، فإذن ليس حصول عرش بلقيس عند سليمان بالنقل من مكانٍ إلى مكانٍ ولا بانكشاف صورته على سليمان في مكانه لقوله: ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾ [النمل: الآية ٤٠]، فلم يبق إلاَّ أنه كان بالتصرُّف الإلٰهي مِن عالم الأيد والقدرة؛ فكان وقت قول آصف عليه السلام: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: الآية ٤٠] عين وقت انعدام العرش في سبأ وإيجاده عند سليمان عليه السلام.

وهذا التصرّف أعلى مراتب التصرّف الذي خصّ الله به من شاء مِن عباده وأقدره عليه، وما كان ذلك إلاَّ كرامةً لسليمان عليه السلام حيث وهب الله لبعض أصحابه وأحد خاصته هذا التصرف العظيم، وهو مِن كمال العلم بالخلق الجديد، فإنّ الفيض الوجوديّ والنفس الرحماني دائم السريان والجريان في الأكوان، كالماء الجاري في النهر، فإنه على الاتصال يتجدّد على الدوام؛ فكذلك تعيّنات الوجود الحقّ في صور الأعيان الثابتة في العلم القديم لا يزال يتجدّد على الاتصال، فقد ينخلع التعين الأول الوجودي عن بعض الأعيان في بعض المواضع ويتّصل به الذي يعقبه في موضع آخر، وما ذلك إلاَّ ظهور العين العلميّ في هذا الموضع واختفاؤه في الموضع الأول مع كون العين بحاله في العالم وعالَم الغيب.

ولمّا كان آصف عارفاً بهذا المعنى معيناً به من عند الله، مخصوصاً منه بالتّصرف في الوجود الكونيّ ـ وقد آثر الله تعالى سليمان عليه السلام بصحبته وآزره وقوّاه بمعاونته إكراماً له وإتماماً لنعمته عليه في تسخير الجنّ والأنس والطّير والوحش

وإعلاءً لقدره وإعظاماً لملكه ـ سلّط الغيرة على آصف، فغار على سليمان وملكه ـ الذي آتاه ـ من أن يتوهّم الجنّ أن تصرّفهم ـ الذي أعطاهم الله تعالى ـ أعلى وأتمّ من تصرّف سليمان وذويه؛ فأعلمه أنّ الملك والتّصرف الذي أُعطي بعض أصحابه من خوارق العادات أعلى وأتمّ من الذي خُصّ الجنّ به من الأعمال الشاقّة الخارجة من قوّة البشر والخارق للعادة بحسب الفكر والنّظر.



# تعليقة على
# «المفصل في علم العربية»

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الأستاذ الإمام الأجل، فخر خوارزم أبي القاسم، محمود بن عمر الزمخشري:

الكلمة هي اللّفظة الدّالة على معنًى مفرد بالوضع، وهي جنسٌ تحته ثلاثة أنواع. . .

قال المولى كمال الملّة والدّين عبد الرزاق الكاشي أدام الله ظلّه: إن كان مراده باللفظة:

١ ـ الواحدة منها ـ كالضّربة ـ سواءً كانت معيّنة أو غير معيّنة، فهو غير مستقيم لوجهين:

ألف ـ أحدهما: إنَّ المعرِّف يجب أن يُطابِقَ المعرَّف، فيلزم أن تكون الكلمة أيضاً كذلك، إما واحدة معيّنة أو غير معيّنةٍ، والتّعريف الحدّي أو الرّسمي لا يكون إلاّ للمائية المطلقة، لا لفرد من أفرادها.

ب ـ الثاني أنه يناقض قوله: «هي جنسٌ تحته ثلاثة أنواع»، لأن الواحد لا يكون جنساً لوجوب اشتراك الجنس بين أنواعه، وامتناع اشتراك الواحد الشخصي كذلك، أما الواحد المعيّن فظاهرٌ، وأما غير المعيّن فلأنَّ المراد منه فردٌ من أفراد المهيّة لا على التعيين؛ فهو يقع على جميع الأفراد على سبيل البدل ـ أي: يقع على كلّ واحدٍ منها بشرط أن لا يقع على آخر ـ، والجنس يقع على كل واحد منها مع وقوعه على الباقي، فهو شامل وذلك غير شاملٍ.

٢ ـ وإن كان مراده ما يتلفّظ به مطلقاً، فهو عين ما أراد به ابن الحاجب رحمه الله، وذلك أخفت وأدلّ!.

قال: ثم قال: اللاّم في الكلمة للمهيّة لا للاستغراق، كما في قولك: الرّجل خيرٌ من المرأة، والتّاء لمجرّد التأنيث، كما في الغرفة والظلمة والمعدة، أو لتأكيد الجنسية كما في الجماعة والذّكورة لا للفرق بين المذكّر والمؤنّث كما في القائمة والرّجلة، ولا للواحدة كما في النّخلة والتمرة، كما ذكرناه. انتهى.

# فهرس المحتويات

# ᶜĀDĀB AṬ-ṬARĪQAH WA-ᶜASRĀR AL-ḤAQĪQAH

FĪ RASAᶜIL AŠ-ŠAYH̱ ᶜABDIR-RAZZĀQ AL-QĀŠĀNI

The sufistic letters of
Al-Qashani

**Edited by**
Dr. ᶜĀsim Ibrāhīm Al-kayāli

DAR AL-KOTOB AL-ILMIYAH
Beirut-Lebanon